مجاني الأدب
في
حماسة العرب

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

Princeton University Library
32101 043490240

SYG
2260
.252
.11
v.2

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

NOT TO BE TAKEN FROM

Jones Hall Library
(SY-SYG)
Princeton University
Princeton, New Jersey 08540

Cheikho, Louis, 1859-1927, ed.

مجاني الأدب

في

حدائق العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الثاني

المطبعة الكاثوليكية
بيروت

32101 028331161

2260
.252
.11
v.2

كل الحقوق محفوظة

الباب الأول
في التدين

في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه

١ إنَّ اللهَ تعالى واحدٌ لا أوَّلَ لوجودِهِ ولا آخِرَ لأبديَّتِهِ. قيُّومٌ لا يُفنيهِ الأبدُ. ولا يُغيِّرُهُ الأمدُ. بل هو الأوَّلُ والآخِرُ والظاهِرُ والباطِنُ. مُنزَّهٌ عن الجسميَّةِ ليس كمثلِهِ شيءٌ. وهو فوقَ كلِّ شيءٍ. فوقيَّتُهُ لا تزيدُهُ بُعدًا عن عبادِهِ وهو أقربُ إلى العبيدِ من حبلِ الوريدِ. وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ. وهو معكُمْ أينما كنتُمْ. لا يُشابِهُ قُربُهُ قُربَ الأجسامِ. كما لا يُشابِهُ ذاتُهُ ذواتِ الأجرامِ. مُنزَّهٌ عن أن يحُدَّهُ زمانٌ. مُقدَّسٌ عن أن يُحيطَ بهِ مكانٌ. تراهُ أبصارُ الأبرارِ. في دارِ القرارِ. على ما دلَّتْ عليهِ الآياتُ والأخبارُ. حيٌّ قادرٌ. جبَّارٌ قاهرٌ. لا يعتريهِ عجزٌ ولا قصورٌ. ولا تأخُذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ. لهُ الملكُ والملكوتُ. والعزَّةُ والجبروتُ. خلقَ الخلقَ وقدَّرَ أرزاقَهُمْ وآجالَهُمْ. لا تُحصى مقدوراتُهُ. ولا تتناهى معلوماتُهُ. عالِمٌ بجميعِ المعلوماتِ. لا يعزُبُ عنهُ مثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماواتِ. يعلَمُ السرَّ والخفيَّ ويطَّلِعُ على هواجسِ الضمائرِ. وخفيَّاتِ السرائرِ. مُريدٌ للكائناتِ. مُدبِّرٌ للحادثاتِ. لا يجري في مُلكِهِ قليلٌ ولا كثيرٌ. جليلٌ ولا حقيرٌ. نفعٌ أو ضرٌّ إلَّا بقضائِهِ وقدرِهِ وحكمِهِ. فما شاءَ كانَ ومالَمْ

يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. فَهُوَ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ. الْفَاعِلُ لِمَا يُرِيدُ. لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ. وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ. وَلَا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ. إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ. سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ خَلْقِهِ. وَكُلُّ مَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ حَادِثٌ أَوْجَدَهُ بِقُدْرَتِهِ. وَمَا مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ إِلَّا وَلَهُ فِي ذٰلِكَ حِكْمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ. قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلٰـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَـةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّـهُ الْوَاحِدُ
وَلِلّٰهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدُ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

كُلُّ مَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ بِوَهْمٍ مِنْ جَلَالٍ وَقُدْرَةٍ وَسَنَاءِ
فَالَّذِي أَبْدَعَ الْبَرِيَّةَ أَعْلَى مِنْهُ سُبْحَانَ مُبْدِعِ الْأَشْيَاءِ

(مستقطف الابشيهي)

تنزيه الخالق تعالى

٢ إِعْلَمْ أَنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ وَلَا قَالَبٌ. وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْزِلُ وَلَا يَحُلُّ فِي قَالَبٍ. وَأَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْكَمِّ. وَعَنِ لِمَاذَا وَلِمْ. وَأَنَّهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ. وَكُلَّمَا يَخْطُرُ فِي الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ وَالْفِكْرِ مِنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّمْثِيلِ. فَإِنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذٰلِكَ. لِأَنَّ تِلْكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَهُوَ خَالِقُهَا فَلَا يُوصَفُ بِهَا. وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ لَيْسَ

في مكان ولا على مكان . فإن المكان لا يحصره وكل ما في العالم فإنه تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره فإنه قبل خلق العالم كان منزها عن المكان . وليس العرش بحامل له بل العرش وحملته يحملهم لطفه وقدرته . وأنه تقدس عن الحاجة إلى المكان قبل خلقه العالم وبعد خلقه وأنه متصف بالصفة التي كان عليها في الأزل . ولا سبيل للتغير والانقلاب إلى صفاته . وهو سبحانه متقدس عن صفات المخلوقين منزه . وهو في الآخرة مرئي كما نعلمه في الدنيا بلا مثل ولا شبه . كذلك نراه في الآخرة بلا مثل ولا شبه . لأن تلك الرؤية لا تشابه رؤية الدنيا . ليس كمثله شيء

(التبر المسبوك للغزالي)

عظمة الخالق

٣ قال الإمام علي :

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار بالقدم
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعا فكيف يدركه مستحدث النسم

قال آخر :

تبارك الله في علياء عزته فكل كل لسان عن تعاليه
لا كون يحصره لا عين تنظره لا كشف يظهره لا جهر يبديه
حارت جميع الورى في كنه قدرته فليس يدرك معنى من معانيه
سبحانه وتعالى في جلالته وجل عزا ولطفا في تساميه

٤ قَالَ حَكِيمٌ : أَشْهَدُ أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ آيَاتٌ دَالَّاتٌ . وَشَوَاهِدُ قَائِمَاتٌ . كُلٌّ يُؤَدِّي عَنْهُ ٱلْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَهُ بِٱلرُّبُوبِيَّةِ . وَقَالَ اخَرُ : سَلِ ٱلْأَرْضَ مَنْ غَرَسَ أَشْجَارَكِ . وَشَقَّ أَنْهَارَكِ . وَجَنَى ثِمَارَكِ . فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ إِخْبَارًا . أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا . وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لَقَدْ جِئْتُ أَبْغِي لِنَفْسِي مُجِيرًا فَجُبْتُ ٱلْجِبَالَ وَجُبْتُ ٱلْبُحُورَا
فَقَالَ لِيَ ٱلْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ فَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرِيرٌ ضَرِيرَا

رحمة الله

٥ سَمِعَ ٱلْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَجُلًا يَشْكُو بَلَاءً نَزَلَ بِهِ فَقَالَ : يَا هٰذَا أَتَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ (العقد الفريد لابن عبد ربّه)

أَبْيَاتٌ عَنْ فَمِ ٱلرَّحْمَانِ :

فَكَمْ لَيَّتُ عَبْدِي إِذْ دَعَانِي وَرَاعَيْتُ ٱلْوَدَادَ وَمَا رَعَانِي
أَنَا ٱلْمُرْخِي ٱلسُّتُورَ عَلَى ٱلْمَعَاصِي عَلَى ٱلْعَبْدِ ٱلْجَسُورِ إِذَا عَصَانِي
وَأَصْفَحُ لِلْأَثِيمِ إِذَا أَتَانِي وَعَاتَبَ نَفْسَهُ عَمَّا جَفَانِي
وَإِنْ نَادَانِيَ ٱلْخَاطِي بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ حَوَى كُلَّ ٱلْمَعَانِي
فَمَنْ يَأْتِي إِلَيَّ يَنَالُ عِزًّا وَيَحْظَى بِٱلْمَسَرَّةِ وَٱلْأَمَانِي

(فِي ٱلْخَبَرِ) إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى خَلَقَ جَهَنَّمَ مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ سَوْطًا يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . (وَفِي ٱلْخَبَرِ أَيْضًا) إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا خَلَقْتُ ٱلْخَلْقَ لِيَرْبَحُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لِأَرْبَحَ عَلَيْهِمْ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

محبة الخالق

٦ كُلُّ فِعْلٍ يُقَرِّبُ صَاحِبَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ بِرٌّ . وَلَا يَحْصُلُ التَّقَرُّبُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالتَّبَرِّي مِمَّنْ سِوَاهُ . فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَقَدْ حُجِبَ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَأَشْرَكَ شِرْكًا خَفِيًّا لِتَعَلُّقِ مَحَبَّتِهِ بِغَيْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ (للقاشاني)

دَخَلَ هَارُونُ عَلَى بَعْضِ النُّسَّاكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتُحِبُّ اللهَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْصِيهِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَذَبْتَ وَاللهِ فِي حُبِّكَ إِيَّاهُ إِنَّكَ لَوْ أَحْبَبْتَهُ لَمَا عَصَيْتَهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ :

تَعْصِي الْإِلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هٰذَا لَعَمْرِي فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ

(سراج الملوك للطرطوشي)

قَالَ عِزُّ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ فِي الْهِيَامِ بِحُبِّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ :

قَبِيحٌ عَلَى قَلْبٍ يَذُوبُ صَبَابَةً
وَتَنْظُرُ عَيْنَاهُ لِمَنْ لَيْسَ هُوَ اللهُ
أَيَجْمُلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَدَّعِي
سِوَاهُ وَمَا فِي الْكَوْنِ يُعْشَقُ إِلَّا هُوْ
فَإِنْ كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ فِي الْحُسْنِ وَاحِدًا
فَكُنْ وَاحِدًا فِي الْحُبِّ إِنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ

٧ مِنْ كَلَامِ ابْنِ زُهْرَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ : لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُحِبًّا لِخَالِقِهِ حَتَّى يَبْذُلَ نَفْسَهُ فِي مَرْضَاتِهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً . فَيَعْلَمُ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّاهُ . وَسُئِلَ مَا عَلَامَةُ الْعَارِفِ فَقَالَ : عَدَمُ الْفُتُورِ عَنْ ذِكْرِهِ وَعَدَمُ الْمَلَالِ مِنْ حَقِّهِ وَعَدَمُ الْأُنْسِ بِغَيْرِهِ . وَقَالَ : لَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ حُبِّي لَكَ وَأَنَا عَبْدٌ فَقِيرٌ . وَلَكِنِ الْعَجَبُ مِنْ حُبِّكَ لِي وَأَنْتَ مَلِكٌ قَدِيرٌ (لبهاء الدين العاملي)

حمد الله

٨ قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بِقَدْرِ اللهِ ... لَا قَدْرِ وُسْعِ الْعَبْدِ ذِي التَّنَاهِي

قَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ :

إِلٰهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... عَلَى نِعَمٍ مَا كُنْتُ قَطُّ لَهَا أَهْلَا
أَزِيدُكَ تَقْصِيرًا تَزِدْنِي تَفَضُّلًا ... كَأَنِّي بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ الْفَضْلَا

وَلَهُ أَيْضًا :

أَيَا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدْأَةً ... إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
فَمَنْ كَانَ ذَا عُذْرٍ إِلَيْكَ وَحُجَّةٍ ... فَعُذْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرُ

قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ عَنِ الْحَوَائِجِ حَاجَةً ... فَادْعُ الْإِلٰهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَا
إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ ... بِيَدِ الْإِلٰهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَا
فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَابِهِمْ ... لَهِجًا تُضَعْضِعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَا

وَمِمَّا أَوْرَدَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ قَوْلُهُ :

لَا تَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَاكَ مُضِرٌّ مِثْلُكَ بِالدِّينِ
وَارْغَبْ إِلَى اللهِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
أَمَا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرْجُو وَتَأْمُلُهُ مِنَ الْخَلَائِقِ مِسْكِينَ ابْنُ مِسْكِينِ

(الاغاني)

الرجاء بالله والتوكل عليه

٩ لَمَّا حَضَرَ بِشْرَ بْنَ الْمَنْصُورِ الْمَوْتُ فَرِحَ فَقِيلَ لَهُ : أَتَفْرَحُ بِالْمَوْتِ فَقَالَ : أَتَجْعَلُونَ قُدُومِي عَلَى خَالِقٍ أَرْجُوهُ كَمُقَامِي مَعَ مَخْلُوقٍ أَخَافُهُ

قَالَ الشَّيْخُ شِهَابٌ :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَانِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَمَا خَابَ حَقًّا مَنْ عَلَيْهِ تَوَكَّلَا
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللهِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ تَفُزْ بِالَّذِي تَرْجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلَا

وَلِلشَّافِعِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ وَقَدْ مَرِضَ : إِنَّكَ تَمُوتُ . قَالَ : وَإِذَا مُتُّ فَإِلَى أَيْنَ يُذْهَبُ بِي . قَالُوا : إِلَى اللهِ . قَالَ : فَمَا كَرَاهَتِي أَنْ يُذْهَبَ بِي إِلَى مَنْ لَمْ أَرَ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ

الدعاء الى الله

١٠ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا وَهُوَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ عَمَلَ الْخَائِفِينَ وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرْكِ النَّعِيمِ طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتَ . اللّٰهُمَّ أَعِذْنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ وَأَجِرْنِي مِنْ نَقَمَاتِكَ . سَبَقَتْ لِي ذُنُوبٌ وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ إِلَيْكَ بَلْ أَتَوَسَّلُ وَأَفِرُّ مِنْكَ إِلَيْكَ

العفو من الله

١١ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ :

إِلٰهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
فَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي بِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ الْخَلْقِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

(دُعَاءٌ) اللّٰهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَرْجَى مِنْ عَمَلِي وَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ مِنْ ذَنْبِي . اللّٰهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ فَرَحْمَتُكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي لِأَنَّهَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

١٢ (دُعَاءٌ آخَرُ) . اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ . وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَضَايِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ انْفَرَجَتْ . وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ . وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْوَاتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ . وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى كَشْفِ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ . وَبِجَلَالِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ .

وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ . الَّذِي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ . وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ . وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ . وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ . مِنْ مَخَافَتِكَ . وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي تُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِكَ . وَتُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا . وَبِمَشِيئَتِكَ الَّتِي دَانَ لَهَا الْعَالَمُونَ . وَبِكَلِمَتِكَ الَّتِي خُلِقَتْ بِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ . وَبِحِكْمَتِكَ الَّتِي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجَائِبَ وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَهَا لَيْلًا . وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَنًا . وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهَارًا . وَجَعَلْتَ النَّهَارَ نُشُورًا مُبْصِرًا . وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِيَاءً . وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُورًا . وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَوَاكِبَ وَجَعَلْتَهَا نُجُومًا وَبُرُوجًا وَمَصَابِيحَ وَزِينَةً وَرُجُومًا . وَجَعَلْتَ لَهَا مَشَارِقَ وَمَغَارِبَ . وَجَعَلْتَ لَهَا مَطَالِعَ وَمَجَارِيَ . وَجَعَلْتَ لَهَا فَلَكًا وَمَسَابِحَ وَقَدَّرْتَهَا فِي السَّمَاءِ مَنَازِلَ . فَأَحْسَنْتَ تَقْدِيرَهَا . وَصَوَّرْتَهَا فَأَحْسَنْتَ تَصْوِيرَهَا . وَأَحْصَيْتَهَا بِأَسْمَائِكَ إِحْصَاءً . وَدَبَّرْتَهَا بِحِكْمَتِكَ تَدْبِيرًا . فَأَحْسَنْتَ تَدْبِيرَهَا . وَسَخَّرْتَهَا بِسُلْطَانِ اللَّيْلِ وَسُلْطَانِ النَّهَارِ وَالسَّاعَاتِ وَعَدَدِ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ . وَجَعَلْتَ رُؤْيَتَهَا لِجَمِيعِ النَّاسِ مَرْأًى وَاحِدًا (لبهاء الدين)

اغراء بايثار الدين

١٣ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَرِيضٌ قَدْ هَلَكَ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ . فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ سَفِينَتَكَ تَقْوَى اللهِ وَعُدَّتَكَ

ٱلتَّوَكُّلُ عَلَى ٱللهِ وَزَادُكَ ٱلعَمَلُ ٱلصَّالِحُ فَإِنْ نَجَوْتَ فَبِرَحْمَةِ ٱللهِ وَإِنْ هَلَكْتَ فَبِذُنُوبِكَ (لابن عبد ربّه)

أَرَى رِجَالًا بِأَدْنَى ٱلدِّينِ قَدْ قَنِعُوا
وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي ٱلعَيْشِ بِٱلدُّونِ
فَٱسْتَغْنِ بِٱلدِّينِ عَنْ دُنْيَا ٱلْمُلُوكِ كَمَا
ٱسْتَغْنَى ٱلْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ ٱلدِّينِ

مِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ:

أَبَنِيَّ إِنَّ مِنَ ٱلرِّجَالِ بَهِيمَةً فِي صُورَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلسَّمِيعِ ٱلْمُبْصِرِ
فَطِنٌ لِكُلِّ رَزِيَّةٍ فِي مَالِهِ فَإِذَا أُصِيبَ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرِ

قَالَ ٱلرَّافِعِيُّ:

أَقِيمَا عَلَى بَابِ ٱلرَّحِيمِ أَقِيمَا
وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِهِ فَتَهِيمَا
هُوَ ٱلْبَابُ مَنْ يَقْرَعْ عَلَى ٱلصِّدْقِ بَابَهُ
يَجِدْهُ رَؤُوفًا بِٱلْعِبَادِ رَحِيمَا
(لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

حَتَّى مَتَى ذُو ٱلتِّيهِ فِي تِيهِهِ أَصْلَحَهُ ٱللهُ وَعَافَاهُ
يَتِيهُ أَهْلُ ٱلتِّيهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَاهُوا
مَنْ طَلَبَ ٱلْعِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَإِنَّ عِزَّ ٱلْمَرْءِ تَقْوَاهُ

ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال

١٤ ٱلْأَعْمَالُ ٱلَّتِي هِيَ فُرُوعُ ٱلْإِيمَانِ هِيَ تَجَنُّبُ ٱلْمَحَارِمِ وَأَدَاءُ ٱلْفَرَائِضِ . وَهِيَ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ تَعَالَى مِثْلُ ٱلصَّوْمِ وَٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ وَٱلْعِفَّةِ عَنِ ٱلْحَرَامِ . وَٱلْأُخْرَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْخَلْقِ وَهِيَ ٱلْعَدْلُ فِي ٱلرَّعِيَّةِ وَٱلْكَفُّ عَنِ ٱلظُّلْمِ . وَٱلْأَصْلُ فِي ذٰلِكَ أَنْ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْخَالِقِ تَعَالَى مِنْ طَاعَةِ أَمْرِهِ وَٱلِٱزْدِجَارِ بِزَجْرِهِ مَا تَخْتَارُ أَنْ يَعْتَمِدَهُ عَبْدُكَ فِي حَقِّكَ . وَأَنْ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ مَا تُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ مَعَكَ مَنْ سِوَاكَ إِذَا كَانَ غَيْرُكَ ٱلسُّلْطَانَ وَكُنْتَ مِنْ رَعِيَّتِهِ . وَٱعْلَمْ أَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْخَالِقِ تَعَالَى فَإِنَّ عَفْوَهُ قَرِيبٌ وَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَظَالِمِ ٱلْخَلْقِ فَإِنَّهُ لَا يَتَجَاوَزُ بِهِ عَنْكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . وَخَطَرُهُ عَظِيمٌ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ هٰذَا ٱلْخَطَرِ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُلُوكِ إِلَّا مَلِكٌ عَمِلَ بِٱلْعَدْلِ فِي رَعِيَّتِهِ (للغزالي)

قَالَ ٱلْمَعَرِّيُّ :

لَوْ يَعْلَمُ ٱلْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرِ ٱلْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَٱلْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ
وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا ٱلَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدِهِ

١٥ كَانَ يَزِيدُ ٱلرَّقَاشِيُّ يَقُولُ : يَا يَزِيدُ مَنْ يَقُومُ عَنْكَ أَوْ يُصَلِّي لَكَ أَوْ يَتَرَضَّى لَكَ رَبَّكَ إِذَا مُتَّ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ يَقُولُ :

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا
ندمت على التفريط في زمن البذر

مما ينسب لحضرة الإمام الشافعي :

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

من كلام بعض الأكابر : ليس العيد لمن لبس الجديد . إنما العيد لمن أمن الوعيد . سئل بعض الرهبان متى عيدكم . فقال : يوم لا نعصي الله سبحانه وتعالى فذلك عيدنا . ليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة . إنما العيد لمن أمن عذاب الآخرة . ليس العيد لمن لبس الرقيق . إنما العيد لمن عرف الطريق (لبهاء الدين)

١٦ قال أبو العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

وقال الآخر :

إعمل وأنت من الدنيا على حذر وأعلم بأنك بعد الموت مبعوث
وأعلم بأنك ما قدمت من عمل يحصى عليك وما خلفت موروث

وقال غيره :

إحزن على أنك لا تحزن ولا تسي إن كنت لا تحسن
وأضعف عن الشر كما تدعي ضعفا عن الخير وقد يمكن

قَالَ ٱلْحَسَنُ : بَادِرُوا بِٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ قَبْلَ حُلُولِ ٱلْأَجَلِ. فَإِنَّ لَكُمْ مَا أَمْضَيْتُمْ لَا مَا أَبْقَيْتُمْ

الحجاج والاعرابي

١٧ خَرَجَ ٱلْحَجَّاجُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَضْحَرَ وَحَضَرَ غَدَاؤُهُ. فَقَالَ : أَطْلُبُوا مَنْ يَتَغَدَّى مَعَنَا. فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَعْرَابِيًّا فِي شَمْلَةٍ فَأَتَوْهُ بِهِ. قَالَ لَهُ : هَلُمَّ. قَالَ لَهُ : قَدْ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَكْرَمُ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ. قَالَ : وَمَنْ هُوَ. قَالَ : ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَانِي إِلَى ٱلصِّيَامِ فَأَنَا صَائِمٌ. قَالَ : صَوْمٌ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ عَلَى حَرٍّ. قَالَ : صُمْتُ لِيَوْمٍ هُوَ أَحَرُّ مِنْهُ. قَالَ : فَأَفْطِرِ ٱلْيَوْمَ وَتَصُومُ غَدًا. قَالَ : أَوَيَضْمَنُ لِي ٱلْأَمِيرُ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ. قَالَ : لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَيَّ. قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِآجِلٍ لَيْسَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ. قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ. قَالَ : وَٱللهِ مَا طَيَّبَهُ خَبَّازُكَ وَلَا طَبَّاخُكَ وَلٰكِنْ طَيَّبَتْهُ ٱلْعَافِيَةُ. قَالَ ٱلْحَجَّاجُ : تَاللهِ مَا رَأَيْتُ كَٱلْيَوْمِ (لابن عبد ربه)

الصلاة

١٨ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ عِمَادُ ٱلدِّينِ وَعِصَامُ ٱلْيَقِينِ وَرَأْسُ ٱلْقُرُبَاتِ وَغُرَّةُ ٱلطَّاعَاتِ. قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَضَرُّعٌ وَتَأَوُّهٌ وَتَنَادُمٌ. وَرُوِيَ عَنِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ فِي ٱلْكُتُبِ ٱلسَّالِفَةِ أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ أَتَقَبَّلُ صَلَاتَهُ. إِنَّمَا أَقْبَلُ صَلَاةَ مَنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي وَلَمْ يَتَكَبَّرْ عَلَى عِبَادِي وَأَطْعَمَ ٱلْفَقِيرَ ٱلْجَائِعَ لِوَجْهِي (احياء علوم الدين للغزالي)

تَفَقَّدَ هِشَامٌ بَعْضَ وُلْدِهِ لَمْ يَحْضُرِ الْجُمُعَةَ فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ مِنَ الصَّلَاةِ . قَالَ : نَفَقَةُ دَابَّتِي . قَالَ : أَفَعَجَزْتَ عَنِ الْمَشْيِ . فَمَنَعَهُ الدَّابَّا سَنَةً . (لابي الفرج)

خَسِرَ الَّذِي تَرَكَ الصَّلَاةَ وَخَابَا وَأَبَى مَعَادًا صَالِحًا وَمَآبَا
إِنْ كَانَ يَجْحَدُهَا فَحَسْبُكَ أَنَّهُ أَضْحَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مُرْتَابَا
أَوْ كَانَ يَتْرُكُهَا لِنَوْعِ تَكَاسُلٍ غَطَّى عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ حِجَابَا

١٩ (بَيَانُ اخْتِلَافِ الْخَلْقِ فِي لَذَّاتِهِمْ) . أُنْظُرْ إِلَى الصَّبِيِّ فِي أَوَّلِ حَرَكَتِهِ وَتَمْيِيزِهِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِيهِ غَرِيزَةُ لَهَا يَسْتَلِذُّ اللَّعِبَ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَهُ أَلَذَّ مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ اسْتِلْذَاذُ اللَّهْوِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ الْمُلَوَّنَةِ وَرُكُوبِ الدَّوَابِّ الْفَارِهَةِ فَيَسْتَخِفُّ مَعَهُ اللَّعِبَ بَلْ يَسْتَهْجِنُهُ . ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَذَّةُ الزِّينَةِ وَالْمَنْزِلِ وَالْخَدَمِ فَيَحْتَقِرُ مَا سِوَاهَا لَهَا . ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَذَّةُ الْجَاهِ وَالرِّئَاسَةِ وَالتَّكَاثُرِ مِنَ الْمَالِ وَالتَّفَاخُرِ بِالْأَعْوَانِ وَالْأَتْبَاعِ وَالْأَوْلَادِ وَهَذَا آخِرُ لَذَّاتِ الدُّنْيَا . وَإِلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ أَشَارَ الْقَائِلُ : إِنَّمَا حَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَدْ تَظْهَرُ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِاللهِ تَعَالَى وَالْقُرْبِ مِنْهُ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ وَالْقِيَامِ بِوَظَائِفِ عِبَادَاتِهِ وَتَرْوِيحِ الرُّوحِ بِمُنَاجَاتِهِ فَيَسْتَحْقِرُ مَعَهَا جَمِيعَ اللَّذَّاتِ السَّابِقَةِ وَيَتَعَجَّبُ مِنَ الْمُنْهَمِكِينَ فِيهَا . وَكَمَا أَنَّ طَالِبَ الْجَاهِ وَالْمَالِ يَضْحَكُ مِنْ لَذَّةِ الصَّبِيِّ بِاللَّعِبِ بِالْجَوْزِ مَثَلًا كَذَلِكَ صَاحِبُ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ يَضْحَكُ مِنْ لَذَّةِ

الطَّالِبِ الْجَاهِ وَالْمَالِ . وَانْتَهَى بِوُصُولِهِ إِلَى ذَلِكَ

لذات الجنة

٢٠ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ (لبهاء الدين)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَا قُلْ لِسُكَّانِ وَادِي الْحِمَى هَنِيئًا لَكُمْ فِي الْجِنَانِ الْخُلُودْ
أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ فَيْضًا فَنَحْنُ عِطَاشٌ وَأَنْتُمْ وُرُودْ

الباب الثاني
في الزهد

حدّ الزهد

٢١ قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ مَا الزُّهْدُ . قَالَ : أَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ تَشْعِيثَ اللِّمَّةِ وَلَا قَشَفَ الْهَيْئَةِ . وَلَكِنَّهُ صَرْفُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَقِيلَ لِآخَرَ : مَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَالَ : أَنْ لَا يَغْلِبَ الْحَرَامُ صَبْرَكَ . وَلَا الْحَلَالُ شُكْرَكَ . وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ : مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَا يُبَالِي بِيَدِ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَمْ يَطْلُبِ الْمَفْقُودَ حَتَّى يَفْقِدَ الْمَوْجُودَ

(لابن عبد ربّه)

ذلّة الدنيا

٢٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ كُلَّمَا ازْدَادَ صَاحِبُهُ شُرْبًا ازْدَادَ عَطَشًا. وَكَالْكَأْسِ مِنَ الْعَسَلِ فِي أَسْفَلِهِ السُّمُّ فَلِلذَّائِقِ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَفِي أَسْفَلِهِ الْمَوْتُ الذُّعَافُ. وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ الَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ انْقَطَعَ الْفَرَحُ. وَكَالْبَرْقِ الَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا وَيَبْقَى رَاجِيهِ فِي الظَّلَامِ مُقِيمًا. وَكَدُودَةِ الْإِبْرِيسَمِ الَّتِي لَا يَزْدَادُ الْإِبْرِيسَمُ عَلَى نَفْسِهَا لَفًّا إِلَّا ازْدَادَتْ مِنَ الْخُرُوجِ بُعْدًا وَفِيهِ قِيلَ:

كَدُودٍ كَدُودِ الْقَزِّ يَنْسُجُ دَائِمًا ... وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسْطَ مَا هُوَ نَاسِجُهْ

الراهب والمسافر

٢٣ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ الرُّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئًا فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا عَنْهُ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَالْفِكْرُ لَا يَفْتُرُ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَقَالَ: يَا هٰذَا قَدْ عَلِمْتُ مَا تُرِيدُ. حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ. فَاحْذَرْ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَارْغَبْ فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ. وَتَضَرَّعْ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَهَبَ لَكَ تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ. قَالَ: فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذٰلِكَ. قَالَ: كَانَ جَدِّي رَجُلًا مِنَ الْحُكَمَاءِ قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ فَشَبَّهَهَا بِالْمَاءِ الْمِلْحِ يَغُرُّ وَلَا يُرْوِي. وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. وَبِالْبَرْقِ الْخُلَّبِ يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. وَبِسَحَابِ الصَّيْفِ يَمُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. وَبِظِلِّ الْغَمَامِ يَغُرُّ وَيَخْذُلُ.

وَبِزَهْرِ الرَّبِيعِ يَنْضُرُ. ثُمَّ يَصْفَرُّ فَتَرَاهُ هَشِيمًا. وَبِأَحْلَامِ النَّائِمِ يَرَى السُّرُورَ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إِلَّا الْحَسْرَةُ. وَبِالْعَسَلِ الْمَشُوبِ بِالسُّمِّ الزُّعَافِ يَغُرُّ وَيَقْتُلُ

٢٤ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سُلَيْمَانَ إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ لَمْسُهَا وَيَقْتُلُ سُمُّهَا. فَأَعْرِضْ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا. وَدَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيَقَّنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا. وَكُنْ أَسَرَّ مَا تَكُونُ فِيهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا. فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَ مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ. وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَذَى وَالْقَذَى ... وَدَارُ الْغُرُورِ وَدَارُ الْغِيَرْ
فَلَوْ نِلْتَهَا بِحَذَافِيرِهَا ... لُمْتَ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا الْوَطَرْ
أَيَا مَنْ يُؤَمِّلُ طُولَ الْحَيَاةِ ... وَطُولُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ خَطَرْ
إِذَا مَا كَبِرْتَ وَبَانَ الشَّبَابُ ... فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرْ

مِنَ الدِّيوَانِ الْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ:

حَلَاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ ... فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسَمْ
فَكُنْ مُوسِرًا شِئْتَ أَوْ مُعْسِرًا ... فَمَا تَقْطَعُ الدَّهْرَ إِلَّا بِهِمْ
إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ ... تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمْ

٢٥ قَالَ حَكِيمٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: تُرِيدُ أَنْ أُرِيَكَ الدُّنْيَا. فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَانْطَلَقَ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى مَزْبَلَةٍ فِيهَا رُؤُوسُ الْآدَمِيِّينَ مُلْقَاةٌ. وَبَقَايَا عِظَامِ نَخِرَةٍ وَخِرَقٍ قَدْ تَمَزَّقَتْ وَتَلَوَّثَتْ بِنَجَاسَاتٍ. فَقَالَ:

هٰذِهِ رُؤُوسُ النَّاسِ الَّتِي تَرَاهَا كَانَتْ مِثْلَ رُؤُوسِكُمْ كَانَتْ مَمْلُوَّةً مِنَ الْحِرْصِ وَالِاجْتِهَادِ عَلَى جَمْعِ الدُّنْيَا. وَكَانُوا يَدْجُونَ مِنْ طُولِ الْأَعْمَارِ مَا تَرْجُونَ. وَكَانُوا يَجِدُّونَ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَعِمَارَةِ الدُّنْيَا كَمَا تَجِدُّونَ. فَالْيَوْمَ تَعَرَّتْ عِظَامُهُمْ وَتَلَاشَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا تَرَى. وَهٰذِهِ الْخِرَقُ كَانَتْ أَثْوَابَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَتَزَيَّنُونَ بِهَا عِنْدَ التَّجَمُّلِ وَقْتَ الرُّعُونَةِ وَالتَّجَمُّلِ وَالتَّزَيُّنِ. فَالْيَوْمَ قَدْ أَلْقَتْهَا الرِّيحُ فِي النَّجَاسَاتِ. وَهٰذِهِ عِظَامُ دَوَابِّهِمِ الَّتِي كَانُوا يَطُوفُونَ أَقْطَارَ الْأَرْضِ عَلَى ظُهُورِهَا. وَهٰذِهِ النَّجَاسَاتُ كَانَتْ أَطْعِمَتَهُمُ اللَّذِيذَةَ الَّتِي كَانُوا يَحْتَالُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لَا يَقْرَبُهَا أَحَدٌ مِنْ نَتْنِهَا. فَهٰذِهِ جُمْلَةُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا كَمَا تُشَاهِدُ وَتَرَى. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى الدُّنْيَا فَلْيَبْكِ فَإِنَّهَا مَوْضِعُ الْبُكَاءِ. (قَالَ) فَبَكَى جَمَاعَةُ الْحَاضِرِينَ

وَلِلّٰهِ الْحَرِيرِيُّ حَيْثُ قَالَ:

يَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا ... شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ

دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَدًا تَبًّا لَهَا مِنْ دَارِ

غَارَاتُهَا لَا تَنْقَضِي وَأَسِيرُهَا ... لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ

فَاقْطَعْ عَلَائِقَ حُبِّهَا وَطِلَابِهَا ... تَلْقَ الْهُدَى وَرَفَاهَةَ الْأَسْرَارِ

٢٦ مَثَلُ أَهْلِ الدُّنْيَا وَاشْتِغَالِهِمْ وَاهْتِمَامِهِمْ بِأَحْوَالِهَا وَنِسْيَانِ الْآخِرَةِ وَإِهْمَالِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا مَرْكَبًا فِي الْبَحْرِ فَعَدَلُوا إِلَى جَزِيرَةٍ لِأَجْلِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ. فَنَزَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ وَالْمَلَّاحُ يُنَادِيهِمْ لَا تُطِيلُوا الْمُكْثَ

لِئَلَّا يَفُوتَ الْوَقْتُ وَلَا تَشْتَغِلُوا بِغَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الْمَرْكَبَ سَائِرٌ. فَمَضَوْا وَتَفَرَّقُوا فِي الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا فِي نَوَاحِيهَا فَالْعُقَلَاءُ مِنْهُمْ لَمْ يَمْكُثُوا وَعَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ. فَوَجَدُوا الْأَمَاكِنَ خَالِيَةً فَجَلَسُوا فِي أَطْهَرِ أَمَاكِنِهِ وَأَوْفَقِهَا. وَأَطْيَبِ مَوَاضِعِهِ وَأَرْفَقِهَا. وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نَظَرُوا إِلَى عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ. وَوَقَفُوا يَتَنَزَّهُونَ فِي زَهْرِهَا وَأَثْمَارِهَا. وَرَوْضِهَا وَأَشْجَارِهَا. وَيَسْمَعُونَ تَرَنُّمَ أَطْيَارِهَا. وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ حَصْبَائِهَا الْمُلَوَّنَةِ وَأَحْجَارِهَا. فَلَمَّا عَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ لَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَوْضِعًا وَلَا رَأَوْا مُتَّسَعًا. فَقَعَدُوا فِي أَضْيَقِ مَوَاضِعِهِ وَأَظْلَمِهَا. وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَقَفُوا مَعَ عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ فَتَحَيَّرُوا. وَفِي الرُّجُوعِ لَمْ يَتَفَكَّرُوا. حَتَّى سَارَ الْمَرْكَبُ فَبَعُدُوا عَنْهُ وَانْقَطَعُوا وَفِي أَمَاكِنِهِمْ تَخَلَّفُوا. إِذْ لَمْ يُصْغُوا إِلَى الْمُنَادِي وَلَمْ يَسْمَعُوا. فَمِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْجُوعِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ. وَنَهَشَتْهُ الضِّبَاعُ. فَالْقَوْمُ الْمُتَقَدِّمُونَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ. وَالْقَوْمُ الْمُتَخَلِّفُونَ الْهَالِكُونَ هُمُ الَّذِينَ نَسُوا اللهَ وَنَسُوا الْآخِرَةَ وَسَلَّمُوا كُلِّيَّتَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَرَكَنُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ. وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ الْمُتَوَسِّطُونَ فَهُمُ الْعُصَاةُ الَّذِينَ حَفِظُوا أَصْلَ الْإِيمَانِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُفُّوا يَدَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا. فَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ بِغِنَاهُ وَنِعْمَتِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ مَعَ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ. إِلَى أَنْ ثَقُلَتْ أَوْزَارُهُمْ. وَكَثُرَتْ أَوْسَاخُهُمْ وَآصَارُهُمْ

(للغزالي)

٢٧ لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَبْكُونَ

حَوْلَهُ فَقَالَ : جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجُدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ . وَتَرَكَ لَكُمْ مَا جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ لَهُ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَيَا مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا ... وَأَفْنَى الْعُمْرَ فِي قِيلٍ وَقَالِ
وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ فِيمَا سَيَفْنَى ... وَجَمَّعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالِ
هَبِ الدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْوًا ... أَلَيْسَ مَصِيرُ ذٰلِكَ لِلزَّوَالِ

(للطرطوشي)

زوال الدنيا

٢٨ إِعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا مَنْزِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ وَالْإِنْسَانَ فِيهَا عَلَى صُورَةِ مُسَافِرٍ . فَأَوَّلُ مَنَازِلِهِ بَطْنُ أُمِّهِ وَآخِرُ مَنَازِلِهِ لَحْدُ قَبْرِهِ . وَإِنَّمَا وَطَنُهُ وَقَرَارُهُ وَمَكْثُهُ وَاسْتِقْرَارُهُ بَعْدَهَا . فَكُلُّ سَنَةٍ تَنْقَضِي مِنْ عُمْرِ الْإِنْسَانِ كَالْمَرْحَلَةِ . وَكُلُّ شَهْرٍ يَنْقَضِي مِنْهُ كَاسْتِرَاحَةِ الْمُسَافِرِ فِي سَفَرِهِ . وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكَقَرْيَةٍ تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ . وَكُلُّ يَوْمٍ فَكَفَرْسَخٍ يَقْطَعُهُ . وَكُلُّ نَفَسٍ فَكَخُطْوَةٍ يَخْطُوهَا . وَبِقَدْرِ كُلِّ نَفَسٍ يَتَنَفَّسُهُ يَقْرُبُ مِنَ الْآخِرَةِ . وَهٰذِهِ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَمَنْ عَبَرَ الْقَنْطَرَةَ وَاشْتَغَلَ بِعِمَارَتِهَا فَنِيَ فِيهَا زَمَانُهُ . وَأَنْسِيَ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرُهُ وَهِيَ مَكَانُهُ . وَكَانَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ . وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي لَا يَشْتَغِلُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا بِإِعْدَادِ زَادِهِ لِمَعَادِهِ . وَيَكْتَفِي مِنْهَا بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . وَمَهْمَا جَمَعَهُ مِنْهَا فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُمًّا قَاتِلًا . وَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ خَزَائِنِهِ وَسَائِرُ

ذَخَائِرِهِ فَانِيَةً رَمَادًا وَتُرَابًا لَا فِضَّةً وَذَهَبًا . وَلَوْ جَمَعَ مِنْهُمَا جَمَعَ فَإِنَّمَا يُصِيبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا سِوَاهُ . وَجَمِيعُ مَا يُخَلِّفُهُ يَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ نَزْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَحَلَالُهَا حِسَابٌ . وَحَرَامُهَا عَذَابٌ . إِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طُلِبَ مِنْهُ الْحِسَابُ . وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَهُ مِنْ حَرَامٍ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْعِقَابَ . وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ حَسْرَةِ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِ فِي حُفْرَتِهِ وَآخِرَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ رَاحَةَ الدُّنْيَا أَيَّامٌ قَلَائِلُ وَأَكْثَرُهَا مُنَغَّصٌ بِالتَّعَبِ . وَمَشُوبٌ بِالنَّصَبِ . وَبِسَبَبِهَا تَفُوتُ رَاحَةُ الدُّنْيَا الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَةُ وَالْمُلْكُ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا نِهَايَةَ لَهُ . فَسَهْلٌ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَصْبِرَ فِي هٰذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلَائِلِ لِيَنَالَ رَاحَةً دَائِمَةً بِلَا انْقِضَاءٍ . وَالدُّنْيَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا يُدْرِكُ أَلْوَهُمُ طُولَهَا (للغزالي)

٢٩ لَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بْنُ ذِي النُّونِ وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ قَصْرَهُ وَأَنْفَقَ فِي بِنَائِهِ بُيُوتَ أَمْوَالِهِ فَجَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بُنْيَانٍ فِي الْأَرْضِ . وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ صَنَعَ فِيهِ بِرْكَةَ مَاءٍ كَأَنَّهَا بُحَيْرَةٌ . وَبَنَى فِي وَسَطِهَا قُبَّةً وَسِيقَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ حَتَّى عَلَا إِلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ عَلَى تَدْبِيرٍ قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ . وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوَالَيْهَا مُحِيطًا بِهَا مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . فَكَانَتِ الْقُبَّةُ فِي غِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكْبًا لَا يَفْتُرُ وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا . فَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ :

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا مُقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ
قَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ
فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ (للطرطوشي)

قَالَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

نَمْضِي كَمَا مَضَتِ الْقَبَائِلُ قَبْلَنَا لَسْنَا بِأَوَّلِ مَنْ دَعَاهُ الدَّاعِي
تَبْقَى النُّجُومُ دَوَائِرُ أَفْلَاكِهَا وَالْأَرْضُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ نَاعِ
وَزَخَارِفُ الدُّنْيَا يَجُوزُ خِدَاعُهَا أَبَدًا عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ

خطبة ابي الدرداء في اهل الشام

٣٠ لَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ اسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ لَكُمْ نَاصِحٍ . فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ . وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ . وَتَقُولُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا . وَأَمَّلُوا بَعِيدًا . وَجَمَعُوا كَثِيرًا . فَأَصْبَحَ أَمَلُهُمْ غُرُورًا . وَجَمْعُهُمْ بُورًا . وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا

وَرَوَى الْجَاحِظُ قَالَ : وُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ : إِبْنَ آدَمَ . لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ . لَزَهِدْتَ فِي طُولِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ . وَلَرَغِبْتَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ . وَلَقَصَّرْتَ عَنْ حِرْصِكَ وَمَيْلِكَ . وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدَمُكَ . وَقَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ . وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ . وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ . وَانْصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ . فَلَا أَنْتَ فِي عَمَلِكَ زَائِدٌ . وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ (للطرطوشي)

قَالَ فَخْرُ الدِّينِ الْبَكْرِيُّ :

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَامِلُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ عَنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلُ
أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ
وَإِنَّ افْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلُ

وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ الَّذِي لَيْسَ تَارِكِي أَرِحْنِي فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَلِيلِ
أَرَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أُحِبُّهُمْ كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَلِيلِ

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي ضَبَّةَ :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِيَ حَرَّةً
أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ
أَخِلَّايَ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ

(للطرطوشي)

٣١ الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ . وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ . يُقَالُ كَانَ عَلَى قَبْرِ

يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ مَكْتُوبٌ. هٰذِهِ الْأَبْيَاتُ عَمِلَهَا قَبْلَ مَوْتِهِ وَأَمَرَ أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ هٰذِهِ:

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ ... كَأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرْبَةً ... وَلَمْ يَأْكُلُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسِ
فَقَدْ جَاءَنِي الْمَوْتُ الْمَهُولُ بِسَكْرَةٍ ... فَلَمْ تُنْجِنِي مِنْهُ أُلُوفُ فَوَارِسِ
فَيَا زَائِرَ الْقَبْرِ اتَّعِظْ وَاعْتَبِرْ بِنَا ... وَلَا تَكُ فِي الدُّنْيَا هُدِيتَ بِآنِسِ

(للغزالي)

قَالَ ابْنُ سَادَةَ:

بَنُو الدُّنْيَا بِجَهْلٍ عَظَّمُوهَا ... فَجَلَّتْ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْحَقِيرَهْ
يُهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا ... مُهَارَشَةَ الْكِلَابِ عَلَى الْعَقِيرَهْ

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ:

إِذَا عَاشَ الْفَتَى سِتِّينَ عَامًا ... فَنِصْفُ الْعُمْرِ تَمْحَقُهُ اللَّيَالِي
وَنِصْفُ النِّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَدْرِي ... لِغَفْلَتِهِ يَمِينًا عَنْ شِمَالِ
وَثُلْثُ النِّصْفِ آمَالٌ وَحِرْصٌ ... وَشُغْلٌ بِالْمَكَاسِبِ وَالْعِيَالِ
وَبَاقِي الْعُمْرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ ... وَهَمٌّ بِارْتِحَالٍ وَانْتِقَالِ
فَحُبُّ الْمَرْءِ طُولَ الْعُمْرِ جَهْلٌ ... وَقِسْمَتُهُ عَلَى هٰذَا الْمِثَالِ

٣٢ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا تُخْدَعَنَّ كَمَا خُدِعَ مَنْ قَبْلَكَ. فَإِنَّ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ. فَلَوْ بَقِيَتِ الدُّنْيَا لِلْعَالِمِ لَمْ تَصِرْ لِلْجَاهِلِ. وَلَوْ

بقيت للأول لم تنتقل للآخر. يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلمت عليك بالخلافة وألقت إليك مقاليدها وأفلاذ كبدها ثم كنت طريدة للموت ما كان ينبغي لك أن تتهنأ بعيش. لافخر فيما يزول ولا غنى فيما يفنى

٣٣ قال مالك بن أنس: ركب ملك يوما في زي عظيم فتشرف له الناس ينظرون إليه أفواجا حتى مر برجل يعمل شيئا مكبا عليه لا يلتفت إليه ولا يرفع رأسه. فوقف الملك عليه وقال: كل الناس ينظرون إلي إلا أنت. فقال الرجل: إني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فمات هو ومسكين فدفن إلى جانبه في يوم واحد. وكنا نعرفهما في الدنيا بأجسادهما. ثم كنا نعرفهما بقبريهما. ثم نسفت الريح قبريهما وكشفت عنهما فاختلطت عظامهما فلم أعرف الملك من المسكين. فلذلك أقبلت على عملي وتركت النظر إليك. وقد قيل في المعنى:

وحقك لو كشفت التراب عنهم لما عرف الغني من الفقير
ولا من كان يلبس ثوب شعر ولا البدن المنعم بالحرير

قال التهامي:

وإنا لفي الدنيا كركب سفينة نظن وقوفا والزمان بنا يجري

وقال آخر:

لا تخدعنك بعد طول تجارب دنيا تغر بوصلها وستقطع

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلِّ زَائِلِ إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ

٣٤ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَبِسَ أَفْخَرَ ثِيَابِهِ وَمَسَّ أَطْيَبَ طِيبِهِ وَنَظَرَ فِي مِرْآةٍ فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ: أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ. وَخَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ: كَيْفَ تَرَيْنَ. فَقَالَتْ:

أَنْتَ نِعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَا لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِ

فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَصَوْتُهُ يُسْمَعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ. ثُمَّ رَكِبَتْهُ الْحُمَّى فَلَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَنْقُصُ حَتَّى لَمْ يَسْمَعْهُ مَنْ حَوْلَهُ. فَصَلَّى وَرَجَعَ فَلَمْ تَدْرِكْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ

أَنْشَدَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ:

بِاللّٰهِ رَبِّكَ كَمْ قَصْرٍ مَرَرْتَ بِهِ قَدْ كَانَ يُعْمَرُ بِاللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ
طَارَتْ عُقَابُ الْمَنَايَا فِي جَوَانِبِهِ فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ
إِعْمَلْ وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ فِي دَعَةٍ فَلَا وَرَبِّكَ مَا الْأَرْزَاقُ بِالطَّلَبِ

وَأَنْشَدَ أَيْضًا:

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدًا لَنْ تَذُودَ الْمَنُونَ عَنْكَ الْمَبَانِي
إِنَّ هٰذَا الْبِنَاءَ يَبْقَى وَتَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ أَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَيَّامَ تُطْوَى. وَالْأَعْمَارَ تَفْنَى. وَالْأَبْدَانَ فِي الثَّرَى تَبْلَى. وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَاكَضَانِ تَرَاكُضَ الْبَرِيدِ. يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ. وَيُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ (للطرطوشي)

٣٥ قَالَ حَكِيمٌ : وَجَدتُ مَثَلَ الدُّنْيَا وَالْمَغْرُورِ بِالدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةِ آفَاتٍ مَثَلَ رَجُلٍ أَلْجَأَهُ خَوْفٌ إِلَى بِئْرٍ تَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ نَابِتَيْنِ عَلَى شَفِيرِ الْبِئْرِ . وَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فَمَدَّهُمَا فَنَظَرَ فَإِذَا بِحَيَّاتٍ أَرْبَعٍ قَدْ أَطْلَعْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ جُحُورِهِنَّ . وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ الْبِئْرِ فَإِذَا بِثُعْبَانٍ فَاغِرٍ فَاهُ نَحْوَهُ . فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِ جُرَذَانِ أَبْيَضُ وَأَسْوَدُ يَقْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتُرَانِ . فَبَيْنَمَا هُوَ مُهْتَمٌّ بِنَفْسِهِ ابْتِغَاءَ الْحِيلَةِ فِي نَجَاتِهِ إِذْ نَظَرَ فَإِذَا بِجَانِبٍ مِنْهُ جُحْرُ نَحْلٍ قَدْ وَضَعْنَ شَيْئًا مِنْ عَسَلٍ فَتَطَاعَمَ مِنْهُ فَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ . فَشَغَلَتْهُ عَنِ الْفِكْرِ فِي أَمْرِهِ وَالْتِمَاسِ النَّجَاةِ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ فَوْقَ أَرْبَعِ حَيَّاتٍ لَا يَدْرِي مَنْ تُسَاوِرُهُ مِنْهُنَّ وَأَنَّ الْجُرَذَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَرْضِ الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ وَأَنَّهُمَا إِذَا أَوْقَعَاهُ وَقَعَ فِي لَهَوَاتِ التِّنِّينِ . وَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا حَتَّى هَلَكَ . قَالَ الْحَكِيمُ : فَشَبَّهْتُ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَاوِفَ بِالْبِئْرِ . وَشَبَّهْتُ الْحَيَّاتِ الْأَرْبَعَ بِالْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعِ الَّتِي فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمِرَّتَيْنِ وَالْبَلْغَمِ وَالدَّمِ . وَشَبَّهْتُ الْغُصْنَ الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ بِالْحَيَاةِ . وَشَبَّهْتُ الْجُرَذَيْنِ الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَ اللَّذَيْنِ يَقْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتُرَانِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَدَوَرَانَهُمَا فِي إِفْنَاءِ الْأَيَّامِ وَالْآجَالِ . وَشَبَّهْتُ الثُّعْبَانَ الْفَاغِرَ فَاهُ بِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهْتُ الْعَسَلَةَ الَّتِي تَطَاعَمَهَا بِالَّذِي يَرَى الْإِنْسَانُ وَيَسْمَعُ وَيَلْبَسُ فَيُلْهِيهِ ذَلِكَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ (لابن عبد ربّه)

٣٦ جاذبَ رجلٌ من كِنانةَ أبا العتاهيةِ في شيءٍ ففخرَ عليه الكِنانيُّ واستطالَ بقومٍ من أهلِه فقالَ أبو العتاهيةِ :

دَعْني مِنْ ذِكرِ أبٍ وجَدّ ونَسبٍ يُعليكَ سُورَ المَجْدِ
ما الفَخرُ إلّا في التُّقى والزُّهدِ وطاعةٍ تُعطي جِنانَ الخُلْدِ

(للاصبهاني)

٣٧ قالَ غانِمُ الوَرّاقُ : دَخلتُ على أبي نُواسٍ قبلَ وفاتِهِ بيومٍ فقالَ لي : أمعكَ ألواحُكَ . قُلتُ : نعمْ . قالَ اكتُبْ :

دَبَّ في السَّقامُ سُفلًا وعُلوا وأراني أموتُ عُضوًا فعُضوا
ليسَ تمضي مِنْ لحظةٍ لي إلّا نَقصَتني بمرِّها بي جُزوا
ذهبتْ جِدَّتي بطاعةِ نفسي وتذكَّرتُ طاعةَ اللهِ نِضوا
لهفَ نفسي على ليالٍ وأيّا مٍ تجاوزتُهنَّ لعبًا ولهوا
قد أسأنا كلَّ الإساءةِ فاللّهمَّ صفحًا عنّا وغفرًا وعفوا

(للشريشي)

نوائب الدهر

٣٨ لمّا نزلَ سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ الحيرةَ قيلَ لهُ : هُهنا عجوزٌ من بناتِ الملوكِ يُقالُ لها الحرقةُ بنتُ النعمانِ بنِ المُنذرِ . وكانتْ من أجلِ عقائلِ العربِ . وكانتْ إذا خرجتْ إلى بيعتِها نشرتْ عليها ألفَ قطيفةِ خزٍّ وديباجٍ ومعها ألفُ وصيفٍ . فأرسلَ إليها سعدٌ فجاءتْ كالشَّنِّ البالي . فقالتْ : يا سعدُ كنّا ملوكَ هذا المِصرِ قبلَكَ . يُجبى

إِلَيْنَا خَرَاجُهُ وَيُطِيعُنَا أَهْلُهُ مُدَّةً مِنَ الْمُدَدِ . حَتَّى صَاحَ بِنَا صَائِحُ الدَّهْرِ فَشَتَّتَ مَلَأَنَا . وَالدَّهْرُ ذُو نَوَائِبَ وَصُرُوفٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنَا فِي أَيَّامِنَا لَأُرْعِدَتْ فَرَائِصُكَ فَرَقًا مِنَّا . فَقَالَ لَهَا سَعْدٌ : مَا أَنْعَمُ مَا تَنَعَّمْتُمْ بِهِ . قَالَتْ : سَعَةُ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَكَثْرَةُ الْأَصْوَاتِ إِذَا دَعَوْنَا . ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا ... إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ لَيْسَ نُنْصَفُ

فَتَبًّا لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ... تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ

ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَعْدُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَهْلُ بَيْتٍ بِخَيْرٍ إِلَّا وَالدَّهْرُ يُعْقِبُهُمْ حَسْرَةً حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ . فَأَكْرَمَهَا سَعْدٌ وَأَمَرَ بِرَدِّهَا

(للطرطوشي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يُعَانِدُنِي دَهْرِي كَأَنِّي عَدُوُّهُ ... وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْكَرِيهَةِ يَلْقَانِي

وَإِنْ رُمْتُ خَيْرًا جَاءَ دَهْرِي بِضِدِّهِ ... وَإِنْ يَصْفُ لِي يَوْمًا تَكَدَّرَ فِي الثَّانِي

٣٩ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

يَا دَهْرُ وَيْحَكَ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجْعَاتِي ... شَغَلْتَ أَيَّامَ دَهْرِي بِالْمُصِيبَاتِ

مَلَأْتَ أَلْحَاظَ عَيْنِي كُلَّهَا مُزُنًا ... فَأَيْنَ لَهْوِي وَأَحْبَابِي وَلَذَّاتِي

حَمْدًا لِرَبِّي وَذَمًّا لِلزَّمَانِ فَمَا ... أَقَلَّ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا مَلَذَّاتِي

قَالَ غَيْرُهُ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظِلِّ سَحَابَةٍ ... أَظَلَّتْكَ يَوْمًا ثُمَّ عَنْكَ اضْمَحَلَّتِ

فَلَا تَكُ فَرْحَانًا بِهَا حِينَ أَقْبَلَتْ وَلَا تَكُ جَزْعَانًا بِهَا حِينَ وَلَّتِ

وَقَالَ آخَرُ:

عَرِيتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكُنْتُ غُصْنًا كَمَا يَعْرَى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
وَنُحْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا نَفَعَ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

وَأَنْشَدَ آخَرُ:

مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا انْقَلَبَتْ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا
يُعَظِّمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا

٤٠ قَالَ ذُو الْكَلَاحِ الْحِمْيَرِيُّ فِي الدُّنْيَا:

إِنْ صَفَا عَيْشُ امْرِئٍ فِي صُبْحِهَا جَرَّعَتْهُ مُمْسِيًا كَأْسَ الرَّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ أَنْعَمُ الْعَالَمِ عَيْشًا قِيلَ ذَا

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَرَّجَانِيُّ:

يَقْصِدُ أَهْلَ الْفَضْلِ دُونَ الْوَرَى مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَآفَاتُهَا
كَالطَّيْرِ لَا يُحْبَسُ مِنْ بَيْنِهَا إِلَّا الَّتِي تُطْرِبُ أَصْوَاتُهَا

كَتَبَ الْبُحْتُرِيُّ إِلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا فِي السِّجْنِ:

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلٌ فَمِنْ مَنْزِلٍ رَحْبٍ إِلَى مَنْزِلٍ ضَنْكِ
وَقَدْ هَذَّبَتْكَ النَّائِبَاتُ وَإِنَّمَا صَفَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيزُ قَبْلَكَ بِالسَّبْكِ
أَمَا فِي رَسُولِ اللهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ لِمِثْلِكَ مَحْبُوسًا عَلَى الظُّلْمِ وَالْإِفْكِ
أَقَامَ جَمِيلَ الصَّبْرِ فِي السِّجْنِ بُرْهَةً فَآلَ بِهِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ إِلَى الْمُلْكِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْفَضْلِ:

هَانَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱللّٰـهِ فَأَعْطَـاهَا ٱللِّئَامَا
فَهُـمْ فِيهَا يَعِيشُو نَ وَيَلْحَوْنَ ٱلْكِرَامَا

ذكر الموت

٤١ كَانَ فِي بِلَادِ ٱلرُّومِ مِمَّا يَلِي أَرْضَ ٱلْأَنْدَلُسِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ قَدْ بَلَغَ فِي ٱلتَّخَلِّي مِنَ ٱلدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا. وَٱعْتَزَلَ ٱلْخَلْقَ وَلَزِمَ قُلَلَ ٱلْجِبَالِ وَٱلسِّيَاحَةَ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى. فَوَرَدَ عَلَى ٱلْمُسْتَعِينِ بْنِ هُودٍ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ فَأَكْرَمَهُ ٱبْنُ هُودٍ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَجَعَلَ يَعْرِضُ عَلَيْـهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَتْهُ مِنَ ٱلْبَيْضَاءِ وَٱلْحَمْرَاءِ وَأَحْجَارِ ٱلْيَاقُوتِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَأَمْثَالِهَا وَنَفَائِسِ ٱلْأَعْـلَاقِ وَٱلْجَوَارِي وَٱلْحَشَمِ وَٱلْأَجْنَادِ وَٱلْكُرَاعِ وَٱلسِّـلَاحِ. فَأَقَامَ عَلَى ذٰلِكَ أَيَّامًا فَلَمَّا ٱنْقَضَى قَالَ لَهُ: كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي. قَالَ: رَأَيْتُ مُلْكَكَ وَلٰكِنَّهُ تَعْوِزُكَ فِيهِ خَصْلَةٌ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهَا تَمَّ ٱنْتِظَامُ مُلْكِكَ. وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهٰذَا ٱلْمُلْكُ شِبْهُ لَا شَيْءَ. قَالَ: وَمَا هِيَ ٱلْخَصْلَةُ. قَالَ: تَعْمِدُ فَتَصْنَعُ غِطَاءً عَظِيمًا حَصِينًا قَوِيًّا وَتَكُونُ مِسَاحَتُهُ قَدْرَ ٱلْبَلَدِ. ثُمَّ تُرَكِّبُهُ عَلَى ٱلْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ مَدْخَلًا إِلَيْكَ. فَقَالَ ٱلْمُسْتَعِينُ: سُبْحَانَ ٱللّٰهِ أَوَ يَقْدِرُ ٱلْبَشَرُ عَلَى مِثْلِ هٰذَا. فَقَالَ ٱلْعِلْجُ: يَا هٰذَا أَفَتَفْتَخِرُ بِأَمْرٍ تَتْرُكُهُ غَدًا. وَمِثَالُ مَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَفْنَى كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَرَاهُ فِي ٱلنَّوْمِ

(سراج الملوك للطرطوشي)

٤٢ قَالَ ٱلْمُتَنَبِّي :

نَحْنُ بَنُو ٱلْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِي ٱلضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مِيتَةَ جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

وَأَرَى ٱلطَّبِيبَ بِطِبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهٍ أَتَى
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِٱلدَّاءِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِنْهُ فِيمَا قَدْ مَضَى
ذَهَبَ ٱلْمُدَاوِي وَٱلْمُدَاوَى وَٱلَّذِي جَلَبَ ٱلدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ ٱشْتَرَى

قَالَ ٱبْنُ ٱلْعَرَبِيِّ وَتَذَكَّرَ ٱلْأَحِبَّةَ فِي ٱلْقُبُورِ :

ضَمَّتْ لَنَا آرَامُنَا ٱلْآرَامَا فَكَأَنَّ ذَاكَ ٱلْعَيْشَ كَانَ مَنَامَا
يَا وَاقِفِينَ عَلَى ٱلْقُبُورِ تَعَجَّبُوا مِنْ قَائِمِينَ كَيْفَ صَارُوا نِيَامَا
تَحْتَ ٱلتُّرَابِ مُوَسَّدِينَ أَكُفَّهُمْ قَدْ عَايَنُوا ٱلْحَسَنَاتِ وَٱلْآثَامَا
لَا يُوقَظُونَ فَيُخْبِرُونَ بِمَا رَأَوْا لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ قِيَامَا

وُجِدَ عَلَى قَبْرٍ :

قِفْ وَٱعْتَبِرْ يَا مَنْ تَرَى قَبْرِي وَمَا بِي قَدْ جَرَى
بِٱلْأَمْسِ كُنْتُ نَظِيرَكُمْ وَٱلْيَوْمَ أَبْرَانِي ٱلْبَرَى
قُلْ رَبَّنَا أَلْطِفْ بِنَا وَٱرْحَمْ عِظَامًا فِي ٱلثَّرَى

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

تَعَلَّقْتَ بِآمَالٍ طِوَالٍ أَيَّ آمَالِ
وَأَقْبَلْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مُلِحًّا أَيَّ إِقْبَالِ

أَيَا هٰذَا تَجَهَّزْ لِفِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
فَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالِ

٤٣ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: صَنَعَ الرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخْرَفَ مَجَالِسَهُ وَأَحْضَرَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ وَقَالَ لَهُ: صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هٰذِهِ الدُّنْيَا. فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

فَقَالَ الرَّشِيدُ: أَحْسَنْتَ ثُمَّ مَاذَا. فَقَالَ:

يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ لَدَى الرَّوَاحِ أَوِ الْبُكُورِ

فَقَالَ: حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا. فَقَالَ:

فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعْقَعَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

فَبَكَى الرَّشِيدُ. فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى: بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتُسِرَّهُ فَحَزَنْتَهُ. فَقَالَ الرَّشِيدُ. دَعْهُ فَإِنَّهُ رَآنَا فِي عَمًى فَكَرِهَ أَنْ يَزِيدَنَا بِهِ (الفخري)

٤٤ أَنْشَدَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

أَلْمَوْتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرَكٌ لَا سُوقَةٌ يَبْقَى وَلَا مَلِكُ
مَا ضَرَّ أَصْحَابَ الْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ الْأَمْلَاكِ مَا مَلَكُوا

وَقَالَ أَيْضًا:

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفَسٍ إِذَا تَسَتَّرْتَ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ ... لِكُلِّ مُدَّرِعٍ مِنَّا وَمُتَّرِسِ

وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

أَتَعْمَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرُ ... وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَبِيرُ
وَتُصْبِحُ تَبْنِيهَا كَأَنَّكَ خَالِدٌ ... وَأَنْتَ غَدًا عَمَّا بَنَيْتَ تَسِيرُ
وَتَرْفَعُ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُفَاخِرٍ ... وَمَثْوَاكَ بَيْتٌ فِي الْقُبُورِ صَغِيرُ
وَدُونَكَ فَاصْنَعْ كُلَّمَا أَنْتَ صَانِعٌ ... فَإِنَّ بُيُوتَ الْمُتَّقِينَ قُبُورُ

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ:

أَنْظُرْ لِنَفْسِكَ يَا مِسْكِينُ فِي مَهَلٍ ... مَا دَامَ يَنْفَعُكَ التَّفْكِيرُ وَالنَّظَرُ
قِفْ بِالْمَقَابِرِ وَانْظُرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا ... لِلّٰهِ دَرُّكَ مَاذَا تَسْتُرُ الْحُفَرُ
فَفِيهِمِ لَكَ يَا مَغْرُورُ مَوْعِظَةٌ ... وَفِيهِمِ لَكَ يَا مُغْتَرُّ مُعْتَبَرُ

٤٥ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ اللّٰهُ ... وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
وَالْوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ أَتَى ... يُذْكِرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ ... قَدْ كُتِبَتْ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
سَارَ الْبَشِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ ... يَرْحَمُنَا اللّٰهُ وَإِيَّاهُ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

أَصْبَحَ الْقَبْرُ مَضْجَعِي وَمَحَلِّي ... وَمَوْضِعِي
صَرْعَتْنِي الْحُتُوفُ فِي التُّرْبِ يَا ذُلَّ ... مَصْرَعِي
أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ إِلَيْهِمْ ... تَطَّلِعِي

مُتُّ وَحْدِي فَلَمْ يَمُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي

قَالَ بَدِيعُ الزَّمَانِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَلِمَنْ أَصْغَى نَصِيحُ
وَلِسَانُ الدَّهْرِ بِالْوَعْـظِ لِوَاغِيـهِ فَصِيحُ
نَحْنُ لَاهُونَ وَآجَا لُ الْمَنَايَا لَا تُرِيحُ

٤٦ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ . فَكَرِهْتُمْ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنَ الْعُمْرَانِ إِلَى الْخَرَابِ (لبهاء الدين)

مِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرٍ :

تُنَاجِيكَ أَجْدَاثٌ وَهُنَّ سُكُوتُ وَسُكَّانُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتُ
أَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بَلَاغَةٍ لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا خَالِطَ الدِّينِ بِالدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا تَرْضَى بِدُنْيَاكَ شَيْئًا لَيْسَ يَسْوَاهُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ وَالْمَوْتُ نَحْوَكَ يَهْوِي فَاتِحًا فَاهُ

قَالَ آخَرُ :

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلُ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلُ
نَعِيمُكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلُ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلِ رَاكِبٍ أَنَاخَ عَشِيًّا وَهْوَ فِي الصُّبْحِ رَاحِلُ

٤٧ وقال بعض الشعراء :

جزى الله عنا الموت خيرا فإنه أبر بنا من كل بر وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الأذى ويدني من الدار التي هي أشرف

دخل العتبي المقابر فأنشأ يقول :

سقيا ورعيا لإخوان لنا سلفوا أفناهم حدثان الدهر والأبد
غدوهم كل يوم من بقيتنا ولا يؤوب إلينا منهم أحد

٤٨ كان علي بن أبي طالب إذا دخل المقبرة قال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة . والمحال المقفرة . من المؤمنين والمؤمنات . اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم . ثم يقول : الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتا أحياء وأمواتا . والحمد لله الذي منها خلقنا وإليها معادنا وعليها محشرنا . طوبى لمن ذكر المعاد وعمل الحسنات وقنع بالكفاف ورضي عن الله عز وجل (لابن عبد ربه)

٤٩ الأيام خمسة يوم مفقود . ويوم مشهود . ويوم مورود . ويوم موعود . ويوم ممدود . فالمفقود أمسك الذي فاتك مع ما فرطت فيه . والمشهود يومك الذي أنت فيه فتزود فيه من الطاعات . والمورود هو غدك لا تدري هل هو من أيامك أم لا . والموعود هو آخر أيامك من أيام الدنيا فاجعله نصب عينك . والممدود هو آخر تك وهو يوم لا انقضاء له . فاهتم له غاية اهتمامك فإنه إما نعيم دائم أو عذاب مخلد

٥٥ جاء في النفح: أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم. ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم. وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم. ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم (لبهاء الدين)

كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب. وحرمت على نفسك النوم. لا أعلم ما كان الباعث فيه. فإن كان نيتك غرض الدنيا وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الأقران والأمثال فويل لك ثم ويل لك. وإن كان قصدك فيه تهذيب أخلاقك وكسر النفس الأمارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك. ولقد صدق من قال:

سهر العيون لغير وجهك ضائع وبكاؤهن لغير فقدك باطل
(ايها الولد للغزالي)

وكان آخر ما قاله ذو الرمة:

يا رب قد أشرفت نفسي وقد علمت
علما يقينا لقد أحصيت آثاري
يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت
وفارج الكرب زحزحني عن النار

في الخوف

سئل ابن عباس عن الخائفين لله. فقال: هم الذين صدقوا

اللهَ في مَخافَةِ وَعيدِهِ . قُلوبُهُمْ بِالخَوْفِ قَرِحَةٌ وَأَعْيُنُهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ باكِيَةٌ . وَدُمُوعُهُمْ عَلى خُدُودِهِمْ جارِيَةٌ . يَقُولُونَ كَيْفَ نَفْرَحُ وَالْمَوْتُ مِنْ وَرائِنا . وَالْقُبُورُ مِنْ أَمامِنا . وَالْقِيامَةُ مَوْعِدُنا . وَعَلى جَهَنَّمَ طَرِيقُنا . وَبَيْنَ يَدَيْ رَبِّنا مَوْقِفُنا . وَقالَ عَلِيٌّ : أَلا إِنَّ عِبادَ اللهِ الْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فاكِهِينَ وَأَهْلَ النّارِ فِي النّارِ مُعَذَّبِينَ . شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيّاماً قَلِيلَةً لِعُقْبى راحَةٍ طَوِيلَةٍ . قالَ الْحَسَنُ : عَجَباً لِمَنْ خافَ الْعِقابَ وَلَمْ يَكُفَّ . وَلِمَنْ رَجا الثَّوابَ وَلَمْ يَعْمَلْ

(لابن عبد ربّه)

في التوبة

٥٢ لَمّا حَضَرَتْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْوَفاةُ قالَ : اللّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتُ . وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ . وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتَ . فَإِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ مَنَنْتَ . وَإِنْ عاقَبْتَ . فَما ظَلَمْتَ

قالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّكَ فِي دارٍ لَها مُدَّةٌ ... يُقْبَلُ فِيها عَمَلُ الْعامِلِ
أَما تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطاً بِها ... يَقْطَعُ فِيها أَمَلَ الْآمِلِ
تُعْجِلُ الذَّنْبَ بِما تَشْتَهِي ... وَتَأْمُلُ التَّوْبَةَ مِنْ قابِلِ
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذا غَفْلَةً ... ماذا يَفْعَلُ الْحازِمُ الْعاقِلِ

قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ : يا بُنَيَّ اجْعَلْ خَطاياكَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ إِلى أَنْ

تموت . وأما حسناتك فأله عنها فإنه قد أحصاها من لا ينساها

٥٣ حكي أنه حاك بعض العارفين ثوبا وتأنق في صنعته . فلما باعه رد عليه بعيوب فيه فبكى . فقال المشتري : يا هذا لا تبك فقد رضيت به . فقال : ما بكائي لذلك بل لأني بالغت في صنعته وتأنقت فيه جهدي فرد علي بعيوب كانت خفية علي . فأخاف أن يرد علي عملي الذي أنا عملته منذ أربعين سنة (لبهاء الدين)

٥٤ إسمع مني كلاما تفكر فيه حتى تجد خلاصا . لو أنك أخبرت أن السلطان بعد الأسبوع يجيئك زائرا فأنا أعلم أنك في تلك المدة لا تشتغل إلا بإصلاح ما علمت أن نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن والدار والفراش وغيرها . والآن تفكر إلى ما أشرت به فإنك فهم ذكي والكلام الفرد يكفي الكيس والعاقل تكفيه الإشارة . إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم (ايها الولد للغزالي)

٥٥ من خطب علي بن أبي طالب : أيها الناس لا تكونوا ممن خدعته الدنيا العاجلة وغرته الأمنية واستهوته البدعة فركن إلى دار سريعة الزوال وشيكة الانتقال . إنه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلا كناخة راكب أو صرة حالب فعلام تعرجون وماذا تنتظرون . فكأنكم وبما أصبحتم فيه من الدنيا لم يكن وبما تصيرون إليه من الآخرة لم يزل . فخذوا الأهبة لأزوف النقلة

وَأَعِدُّوا الزَّادَ لِقُرْبِ الرِّحْلَةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ امْرِئٍ عَلَى قَدَمٍ قَادِمٍ. وَعَلَى مَا خَلَّفَ نَادِمٌ

٥٦ (وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ). أَيُّهَا النَّاسُ حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ. وَالْبَسُوا قِنَاعَ الْمَخَافَةِ. وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ. وَسَعْيَكُمْ لِمُسْتَقَرِّكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ. وَإِلَى اللهِ صَائِرُونَ. وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ هُنَالِكَ إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدَّمْتُمُوهُ. أَوْ حَسَنُ ثَوَابٍ حَزْتُمُوهُ. إِنَّكُمْ إِنَّمَا تُقْدِمُونَ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ. وَتُجَازَوْنَ عَلَى مَا أَسْلَفْتُمْ. فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ زَخَارِفُ دُنْيَا دَنِيَّةٍ. عَنْ مَرَاتِبِ جِنَانٍ عَلِيَّةٍ. فَكَأَنْ قَدِ انْكَشَفَ الْقِنَاعُ وَارْتَفَعَ الْإِرْتِيَابُ. وَلَاقَى كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَقَرَّهُ وَعَرَفَ مَثْوَاهُ وَمُنْقَلَبَهُ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

آهِ يَا ذُلِّي وَيَا خَجَلِي ... إِنْ يَكُنْ مِنِّي دَنَا أَجَلِي
لَوْ بَذَلْتُ الرُّوحَ مُجْتَهِدًا ... وَنَفَيْتُ النَّوْمَ عَنْ مُقَلِي
كُنْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا ... خَائِفًا عَنْ خَيْبَةِ الْأَمَلِ
فَعَلَى الرَّحْمَانِ مُتَّكَلِي ... لَا عَلَى عِلْمِي وَلَا عَمَلِي

٥٧ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: إِذَا كَانَ أَبُونَا آدَمُ بَعْدَ مَا قِيلَ لَهُ: اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ. صَدَرَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَاحِدٌ فَأُمِرَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ. فَكَيْفَ نَرْجُو نَحْنُ دُخُولَهَا مَعَ مَا نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَتَابِعَةِ وَالْخَطَايَا الْمُتَوَاتِرَةِ (لبهاء الدين)

اجْعَلِ الْهِمَّةَ فِي الرُّوحِ وَالْهَزِيمَةَ فِي النَّفْسِ وَالْمَوْتَ فِي الْبَدَنِ لِأَنَّ

مَنْزِلَكَ ٱلْقَبْرُ. فَأَهْلُ ٱلْمَقَابِرِ يَنْظُرُونَكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِمْ. إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِلَا زَادٍ

قَالَ شَاعِرٌ:

يَا ذَا ٱلَّذِي وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِيًا وَٱلنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورَا
إِحْرِصْ عَلَى عَمَلٍ تَكُونُ بِهِ مَتَى يَبْكُونَ حَوْلَكَ ضَاحِكًا مَسْرُورَا

٥٨ رُوِيَ أَنَّ ٱلْحَسَنَ ٱلْبَصْرِيَّ أُعْطِيَ شُرْبَةَ مَاءٍ بَارِدٍ. فَلَمَّا أَخَذَ ٱلْقَدَحَ غُشِيَ عَلَى عَقْلِهِ وَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ: مَا بَالُكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ. قَالَ: إِنِّي ذَكَرْتُ أُمْنِيَّةَ أَهْلِ ٱلنَّارِ حِينَ يَقُولُونَ لِأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ: أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللهُ. قَالُوا: إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ

رُوِيَ فِي وَصَايَا لُقْمَانَ ٱلْحَكِيمِ لِٱبْنِهِ أَنَّهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ لَا يَكُونَنَّ ٱلدِّيكُ أَكْيَسَ مِنْكَ. يُنَادِي وَقْتَ ٱلسَّحَرِ وَأَنْتَ نَائِمٌ. لَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

لَقَدْ هَتَفَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ عَلَى فَنَنٍ وَهْنًا وَإِنِّي لَنَائِمُ
كَذَبْتُ وَبَيْتِ ٱللهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَا سَبَقَتْنِي بِٱلْبُكَاءِ ٱلْحَمَائِمُ
وَأَزْعُمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ لِرَبِّي وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي ٱلْبَهَائِمُ

دعاء

٥٩ أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ تَمَامَهَا. وَمِنَ ٱلْعِصْمَةِ دَوَامَهَا. وَمِنَ ٱلرَّحْمَةِ شُمُولَهَا. وَمِنَ ٱلْعَافِيَةِ حُصُولَهَا. وَمِنَ ٱلْعَيْشِ أَرْغَدَهُ. وَمِنَ

ٱلْعُمْرِ أَسْعَدَهُ . وَمِنَ ٱلْإِحْسَانِ أَتَمَّهُ . وَمِنَ ٱلْإِنْعَامِ أَعَمَّهُ . وَمِنَ ٱلْفَضْلِ أَعْذَبَهُ . وَمِنَ ٱللُّطْفِ أَنْفَعَهُ . أَللّٰهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا . أَللّٰهُمَّ أَخْتِمْ بِٱلسَّعَادَةِ آجَالَنَا . وَحَقِّقْ بِٱلزِّيَادَةِ آمَالَنَا . وَٱقْرِنْ بِٱلْعَافِيَةِ غُدُوَّنَا وَآصَالَنَا . وَٱجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَرْجِعَنَا . وَصُبَّ سِجَالَ عَفْوِكَ عَلَى ذُنُوبِنَا . وَمُنَّ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا . وَٱجْعَلِ ٱلتَّقْوَى زَادَنَا . وَفِي دِينِكَ ٱجْتِهَادَنَا . وَعَلَيْكَ تَوَكُّلَنَا وَٱعْتِمَادَنَا . ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ ٱلِٱسْتِقَامَةِ . وَأَعِذْنَا فِي ٱلدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ ٱلنَّدَامَةِ . يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقَلَ ٱلْأَوْزَارِ . وَٱرْزُقْنَا عِيشَةَ ٱلْأَبْرَارِ . وَٱكْفِنَا وَٱصْرِفْ عَنَّا شَرَّ ٱلْأَشْرَارِ . وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَعَشِيرَتَنَا مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ وَمِنَ ٱلنِّيرَانِ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ (ايها الولد للغزالي)

للرائي

٦٠ قَالَ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ فِي ٱلْأَغَانِي : لَمَّا رَأَى ٱلْفَلَاسِفَةُ تَابُوتَ ٱلْإِسْكَنْدَرِ وَقَدْ أُخْرِجَ لِيُدْفَنَ قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ ٱلْمَلِكُ أَمْسِ أَهْيَبَ مِنْهُ ٱلْيَوْمَ . وَهُوَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسِ . وَقَالَ آخَرُ : سَكَنَتْ حَرَكَةُ ٱلْمَلِكِ فِي لَذَّاتِهِ . وَقَدْ حَرَّكَنَا ٱلْيَوْمَ فِي سُكُونِهِ جَزَعًا لِفَقْدِهِ . وَهٰذَانِ ٱلْمَعْنَيَانِ أَخَذَهُمَا أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ بِرِثَاءِ ٱبْنِهِ عَلِيٍّ قَالَ :

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا أَغْنَى ٱلْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي وَلَدٍ مَاتَ لَهُ :

بَلِيتْ عِظَامُكَ وَالْأَسَى يَتَجَدَّدُ وَالصَّبْرُ يَنْفَدُ وَالْبُكَا لَا يَنْفَدُ
يَا غَائِبًا لَا يُرْتَجَى لِإِيَابِهِ وَلِقَائِهِ دُونَ الْقِيَامَةِ مَوْعِدُ
مَا كَانَ أَحْسَنَ مُلْحَدًا ضَمَّنْتَهُ لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ الْمُلْحَدُ
بِالْيَأْسِ أَسْلُو عَنْكَ لَا بِتَجَلُّدِي هَيْهَاتَ أَيْنَ مِنَ الْحَزِينِ تَجَلُّدُ

٦١ قَالَ ابْنُ الْأَحْنَفِ يَرْثِي ابْنَهُ:

وَلَمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْأَسَى
أَجَابَ الْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَرْثِي وَلَدَهَا:

يَا قَرْحَةَ الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ يَا لَيْتَ أُمَّكَ لَمْ تَحْبَلْ وَلَمْ تَلِدِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ أُدْرِجْتَ فِي كَفَنٍ مُطَيَّبًا لِلْمَنَايَا آخِرَ الْأَبَدِ
أَيْقَنْتُ بَعْدَكَ أَنِّي غَيْرُ بَاقِيَةٍ وَكَيْفَ يَبْقَى ذِرَاعٌ زَالَ عَنْ عَضُدِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي ابْنَهُ:

بُنَيَّ لَئِنْ ضَنَّتْ جُفُونٌ بِمَائِهَا لَقَدْ قُرِّحَتْ مِنِّي عَلَيْكَ جُفُونُ
دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحَتْ وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِنٌ وَدَفِينُ

قَالَ الْعُتْبِيُّ يَرْثِي بَعْضَ أَوْلَادِهِ:

أَضْحَتْ بِخَدِّيَ لِلدُّمُوعِ رُسُومُ أَسَفًا عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُلُومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

الباب الثالث
في الحكم

٦٢ قال الحكماء: لا يطلب الرجل حكمة إلا بحكمة عنده. وقالوا: إذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها. وقال زياد: أيها الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا فإن الشاعر يقول:

إعمل بعلمي وإن قصرت في عملي
ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري

٦٣ قال الرياحي في خطبته بالمربد: يا بني رياح لا تحقروا صغيرا تأخذون عنه. فإني أخذت من الليث بسالته. ومن الحمار صبره. ومن الختزير حرصه. ومن الغراب حذره. ومن الثعلب روغانه. ومن السنور ضرعه. ومن القرد حكايته. ومن الكلب نصرته. ومن ابن آوى حذره. ولقد تعلمت من القمر سير الليل. ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين (لابن عبد ربه)

٦٤ قال كعب: استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم. وقيل: من يستحي من الناس ولا يستحي من نفسه فلا قدر لنفسه عنده. وقال رجل للنعمان: أوصني. فقال: استحي من الله كما تستحي من رجل من عشيرتك

٦٥ قَالَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: لَا صَدِيقَ لِمُتَلَوِّنٍ. وَلَا وَفَاءَ لِكَذُوبٍ. وَلَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ. وَلَا مُرُوءَةَ لِدَنِيءٍ. وَلَا ذَعَامَةَ لِسَيِّءِ ٱلْخُلُقِ

(مؤنس الوحيد للثعالبي)

٦٦ قِيلَ: تَجَنَّبْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لِتَخْلُصَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ. تَجَنَّبْ مِنَ ٱلْحَسَدِ لِتَخْلُصَ مِنَ ٱلْحُزْنِ. وَلَا تُجَالِسْ جَلِيسَ ٱلسَّوْءِ وَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنَ ٱلْمَلَامَةِ. وَلَا تَرْكَبِ ٱلْمَعَاصِيَ وَقَدْ خَلَصْتَ مِنَ ٱلنَّارِ. وَلَا تَجْمَعِ ٱلْمَالَ وَقَدِ ٱسْتَرَحْتَ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْخَلْقِ

(للغزالي)

٦٧ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ:

بِقَدْرِ ٱلْكَدِّ تُكْتَسَبُ ٱلْمَعَالِي ... وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى سَهِرَ ٱللَّيَالِي

يَغُوصُ ٱلْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ ٱللَّآلِي ... وَيَحْظَى بِٱلسِّيَادَةِ وَٱلنَّوَالِ

وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ... أَضَاعَ ٱلْعُمْرَ فِي طَلَبِ ٱلْمُحَالِ

٦٨ قَالَ بَعْضُهُمْ: دَخَلْتُ عَلَى سُفْيَانَ ٱلثَّوْرِيِّ بِمَكَّةَ فَوَجَدْتُهُ مَرِيضًا وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً. فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءَ. فَقَالَ لِي: قُلْ مَا بَدَا لَكَ. فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي مَنِ ٱلنَّاسُ. قَالَ: ٱلْفُقَهَاءُ. قُلْتُ لَهُ: فَمَنِ ٱلْمُلُوكُ. قَالَ: ٱلزُّهَّادُ. قُلْتُ لَهُ: فَمَنِ ٱلْأَشْرَافُ. قَالَ: ٱلْأَتْقِيَاءُ. قُلْتُ: فَمَنِ ٱلرُّعَاعُ. قَالَ: مَنْ يَكْتُبُ ٱلْحَدِيثَ وَيَأْكُلُ بِهِ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ. قُلْتُ: فَمَنِ ٱلسَّفِلَةُ. قَالَ: ٱلظَّلَمَةُ أُولَئِكَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ

رُوِيَ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ حِذْيَمَ وَعَظَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ يَوْمًا. فَقَالَ

لَهُ عُمَرُ: وَمَنْ يُطِيقُ ذٰلِكَ. قَالَ: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ فَتُطَاعَ. فَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى مُخَالَفَتِكَ (نوادر القليوبي)

٦٩ قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَلَمَّا احْتُضِرَ ذُو الْإِصْبَعِ دَعَا ابْنَهُ أُسَيْدًا. فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ وَعَاشَ حَتَّى سَئِمَ الْعَيْشَ. وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتُهُ. فَاحْفَظْ عَنِّي: أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ. وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ. وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ. وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ. وَأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ يُكْرِمْكَ كِبَارُهُمْ. وَيَكْبَرْ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ. وَاسْمَحْ بِمَالِكَ. وَأَعْزِزْ جَارَكَ. وَأَعِنْ مَنِ اسْتَعَانَ بِكَ. وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ. وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيخِ فَإِنَّ لَكَ أَجَلًا لَا يَعْدُوكَ. وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذٰلِكَ يَتِمُّ سُؤْدُدُكَ (للاصبهاني)

٧٠ سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ. فَقَالَ: أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ. وَتَجْرِبَةُ الْأُمُورِ. وَحُسْنُ التَّثَبُّتِ. وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الِاسْتِبْدَادُ. وَالتَّهَاوُنُ. وَالْعَجَلَةُ (لابن عبد ربه)

٧١ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ ... فَالدِّينُ أَوَّلُهَا وَالْعَقْلُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمُ رَابِعُهَا ... وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِيهَا
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا ... وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللِّينُ عَاشِيهَا

وَٱلْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنَيْ مُحَدِّثِهَا إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
وَٱلنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصَدِّقُهَا وَلَسْتُ أَرْشُدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا

٧٢ قَالُوا: ثَلَاثَةٌ لَا يُنْدَمُ عَلَى مَا سُلِّفَ إِلَيْهِمْ. ٱللهُ فِي عَمَلٍ لَهُ وَٱلْمَوْلَى ٱلشَّكُورُ فِيمَا أُسْدِيَ إِلَيْهِ. وَٱلْأَرْضُ ٱلْكَرِيمَةُ فِيمَا بُذِرَ فِيهَا. وَقَالُوا: ثَلَاثَةٌ لَا بَقَاءَ لَهَا. ظِلُّ ٱلْغَمَامِ. وَصُحْبَةُ ٱلْأَشْرَارِ. وَٱلثَّنَاءُ ٱلْكَاذِبُ. وَقَالُوا: ثَلَاثَةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ. ٱلْغِنَى فِي ٱلنَّفْسِ. وَٱلشَّرَفُ فِي ٱلتَّوَاضُعِ. وَٱلْكَرَمُ فِي ٱلتَّقْوَى. وَقَالُوا: ثَلَاثَةٌ لَا تُعْرَفُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ. ذُو ٱلْبَأْسِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ ٱللِّقَاءِ. وَذُو ٱلْأَمَانَةِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ ٱلْأَخْذِ وَٱلْعَطَاءِ. وَٱلْإِخْوَانُ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ ٱلنَّوَائِبِ

٧٣ قَالَ أَبَرْوِيزُ لِكَاتِبِهِ: ٱعْلَمْ أَنَّ دَعَائِمَ ٱلْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ. إِنِ ٱلْتُمِسَ لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ. وَإِنْ نُقِصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ تَتِمَّ. وَهِيَ سُؤَالُكَ ٱلشَّيْءَ. وَأَمْرُكَ بِٱلشَّيْءِ. وَإِخْبَارُكَ عَنِ ٱلشَّيْءِ. وَسُؤَالُكَ عَنِ ٱلشَّيْءِ. فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَنْجِحْ. وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ. وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكِمْ. وَإِذَا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ. وَٱجْمَعِ ٱلْكَثِيرَ مِمَّا تُرِيدُ فِي ٱلْقَلِيلِ مِمَّا تَقُولُ (يُرِيدُ ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي تَقِلُّ حُرُوفُهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ)

٧٤ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ: ٱلْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ. أَخٌ يُخْلِصُ لَكَ وِدَّهُ. وَيَبْذُلُ لَكَ رِفْدَهُ. وَيَسْتَفْرِغُ فِي مُهِمِّكَ جُهْدَهُ. وَأَخٌ ذُو نِيَّةٍ يَقْتَصِرُ بِكَ عَلَى حُسْنِ نِيَّتِهِ. دُونَ رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ. وَأَخٌ يَتَمَلَّقُ لَكَ بِلِسَانِهِ.

وَيَتَشَاغَلُ عَنْكَ بِشَانِهِ. وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيْمَانِهِ

٧٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الْاِسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْحَدِيثِ. وَلْيَعْلَمِ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ. فَاحْذَرْ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ. حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكَ عَلَى فِعْلِ مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى قَوْلِ مَا لَمْ تَفْعَلْ (لابن عبد ربه)

٧٦ أَنْشَدَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى
كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَتَرَاكَ تُصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
فَابْدَأْ بِنَفْسِكَ وَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَالِكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُهْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

٧٧ قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ لِلْإِسْكَنْدَرِ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا قَدَرُوا أَنْ يَقُولُوا قَدَرُوا أَنْ يَفْعَلُوا. فَاحْتَرِسْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا تَسْلَمْ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا.

٧٨ قَالَ الْعُتْبِيُّ: اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ. قَالُوا: لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى قَلْبِكَ مَا لَا تُطِيقُ. وَلَا تَعْمَلَنَّ عَمَلًا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ. وَلَا تَثِقْ بِامْرَأَةٍ. وَلَا تَغْتَرَّ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ

٧٩ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : لَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهَا فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا . وَمَا خَلَقَ اللهُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ . وَلَا بَلَاءَهَا عُقُوبَةً لِلْعَاصِينَ . يَا بُنَيَّ لَا تَضْحَكْ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ . وَلَا تَمْشِ فِي غَيْرِ أَرَبٍ . وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ . يَا بُنَيَّ لَا تُضِعْ مَالَكَ وَتُصْلِحْ مَالَ غَيْرِكَ . فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ . وَمَالَ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ . يَا بُنَيَّ إِنَّهُ مَنْ يَرْحَمْ يُرْحَمْ . وَمَنْ يَصْمُتْ يَسْلَمْ . وَمَنْ يَقُلِ الْخَيْرَ يَغْنَمْ . وَمَنْ يَقُلِ الْبَاطِلَ يَأْثَمْ . وَمَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ . يَا بُنَيَّ زَاحِمِ الْعُلَمَاءَ بِرُكْبَتَيْكَ . وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأُذُنَيْكَ . فَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْيَا بِنُورِ الْعُلَمَاءِ . كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ بِمَطَرِ السَّمَاءِ

٨٠ قَالَ عُمَرُ بْنُ عُتْبَةَ : لَمَّا بَلَغْتُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً قَالَ لِي أَبِي : يَا بُنَيَّ قَدْ تَقَطَّعَتْ عَنْكَ شَرَائِعُ الصِّبَا . فَالْزَمِ الْحَيَاءَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ . وَلَا تُرَايِلْهُ فَتَبِينَ مِنْهُ . وَلَا يَغُرَّنَّكَ مَنْ مَدَحَكَ بِمَا تَعْلَمُ خِلَافَهُ مِنْ نَفْسِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ قَالَ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَعْلَمْ إِذَا رَضِيَ . قَالَ فِيكَ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهُ إِذَا سَخِطَ . فَاسْتَأْنِسْ بِالْوَحْدَةِ مِنْ جُلَسَاءِ السُّوءِ تَسْلَمْ مِنْ غِبِّ عَوَاقِبِهِمْ (لابن عبد ربه)

٨١ قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ :

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ امْرِئٍ فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكْ
فَلَيْسَ عَلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ حِجَابٌ إِذَا جِئْتَهُ يَحْجُبُكْ

٨٢ مِنْ كَلَامِ أُومِيرُسَ : إِنَّهُمْ أَخْلَاقَكَ السَّيِّئَةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَصَلَتْ

إلى حاجاتها من الدنيا كانت كالحطب للنار والماء للسمك . وإذا عزلتها عن مآربها وحلت بينها وبين ما تهوى انطفأت كانطفاء النار عند فقدان الحطب . وهلكت كهلاك السمك عند فقدان الماء

٨٣ قال أبو الفتح البستي :

إذا طالبتك النفس يوماً بشهوة وكان إليها في الخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنما هواها عدو والخلاف صديق

٨٤ ومن كلام أمير المؤمنين نقله الشيخ المفيد في الإرشاد : كل قول ليس لله فيه ذكر فهو لغو . وكل صمت ليس فيه فكر فسهو . وكل نظر ليس فيه اعتبار فلهو

٨٥ ومن كلام الحكماء : إن مرتكب الصغيرة ومرتكب الكبيرة سيان . فقيل : وكيف ذلك . فقالوا : الجرأة واحدة . وما عف عن الدرة . من يسرق الذرة

٨٦ (سانحة) غفلة القلب عن الحق من أعظم العيوب . وأكبر الذنوب . ولو كانت آناً من الآنات أو لمحة من اللمحات . حتى إن أهل القلوب عدوا الغافل في آن الغفلة من جملة الكفار . وكما يعاقب العوام على سيئاتهم . كذلك يعاقب الخواص على غفلاتهم . فاجتنب الاختلاط بأصحاب الغفلة على كل حال . إن أردت أن تكون من زمرة أهل الكمال

٨٧ أوصى بعض الحكماء ابنه فقال : ليكن عقلك دون دينك .

وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ . وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ

٨٨ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعٌ مِنْ خِصَالِ الْجَهْلِ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يُرْضِيهِ . وَجَلَسَ إِلَى مَنْ لَا يُدْنِيهِ . وَتَفَاقَرَ إِلَى مَنْ لَا يُغْنِيهِ . وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ

٨٩ قِيلَ لِحَكِيمٍ : إِنَّ الَّذِي قُلْتَهُ لِأَهْلِ مَدِينَةِ كَذَا لَمْ يَقْبَلُوهُ . فَقَالَ : لَا يَلْزَمُنِي أَنْ يُقْبَلَ بَلْ يَلْزَمُنِي أَنْ يَكُونَ صَوَابًا

قَالَ حَكِيمٌ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ عِنْدَهُ تَعْنِيفُ النَّاصِحِ أَلْطَفَ مَوْقِعًا مِنْ مَلَقِ الْكَاشِحِ (لبهاء الدين)

٩٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا صَحِبْتَ الْمُلُوكَ فَالْبَسْ مِنَ التَّوَقِّي أَعَزَّ مَلْبَسْ
وَادْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى وَاخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسْ

٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ : عَشِيرَتُكَ مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَكَ . وَعَمُّكَ مَنْ عَمَّكَ خَيْرُهُ . وَقَرِيبُكَ مَنْ قَرُبَ مِنْكَ نَفْعُهُ

٩٢ قَالَ سُقْرَاطُ وَهُوَ تِلْمِيذُ فِيثَاغُورُسَ الْحَكِيمِ : إِذَا أَقْبَلَتِ الْحِكْمَةُ خَدَمَتِ الشَّهَوَاتُ الْعُقُولَ . وَإِذَا أَدْبَرَتْ خَدَمَتِ الْعُقُولُ الشَّهَوَاتِ

٩٣ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرَى الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَلَا يَرَى الْجِذْعَ الْمُعْتَرِضَ فِي حَدَقِ نَفْسِهِ

٩٤ وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : ثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَخَفُّ بِهِمِ . السُّلْطَانُ

وَٱلْعَالِمُ وَٱلصَّدِيقُ . فَمَنِ ٱسْتَخَفَّ بِٱلسُّلْطَانِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ . وَمَنِ ٱسْتَخَفَّ بِٱلْعَالِمِ ذَهَبَ دِينُهُ . وَمَنِ ٱسْتَخَفَّ بِٱلصَّدِيقِ ذَهَبَتْ مَوَدَّتُهُ

(لبهاء الدين)

٩٥ أَنْشَدَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا ٱلْأَمْنُ وَٱلصِّحَّةُ وَٱلْقُوتُ
فَلَا تَثِقْ بِٱلْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا لَوْ أَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ

قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْكُنَ بَلَدًا لَيْسَ فِيهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ . سُلْطَانٌ حَازِمٌ . وَقَاضٍ عَادِلٌ . وَطَبِيبٌ عَالِمٌ . وَنَهْرٌ جَارٍ . وَسُوقٌ قَائِمٌ

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ . فَأَمَّا ٱلْمُهْلِكَاتُ . فَشُحٌّ مُطَاعٌ . وَهَوًى مُتَّبَعٌ . وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . وَأَمَّا ٱلْمُنْجِيَاتُ . فَخَشْيَةُ ٱللهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَانِيَةِ . وَٱلْقَصْدُ فِي ٱلْغِنَى وَٱلْفَقْرِ . وَٱلْعَدْلُ فِي ٱلرِّضَاءِ وَٱلْغَضَبِ (لطائف العرب)

٩٦ قِيلَ : إِذَا أَقْبَلَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَى إِنْسَانٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ . وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ . (رسالة آداب للمستعصمي)

٩٧ قِيلَ : مَا مِنْ خَصْلَةٍ تَكُونُ لِلْغَنِيِّ مَدْحًا إِلَّا وَتَكُونُ لِلْفَقِيرِ ذَمًّا . فَإِنْ كَانَ حَلِيمًا قِيلَ ذَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ : أَهْوَجُ . وَإِنْ كَانَ لَسِنًا قِيلَ : مِهْذَارٌ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا كُنْتَ لَا تُرْجَى لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ وَلَمْ يَكُ فِي ٱلْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ مَطْمَعُ

وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يُسْتَعَانُ بِجَاهِهِ وَلَا أَنْتَ يَوْمَ الْحَشْرِ مِمَّنْ يُشَفَّعُ
فَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا وَمَوْتُكَ وَاحِدٌ وَعُودُ خِلَالٍ مِنْ وِصَالِكَ أَنْفَعُ

قَالَ عُمَرُ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ: مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ. وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ. وَمَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ. وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ وَرَعُهُ. وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ. وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ مَاتَ قَلْبُهُ

٩٨ قَالَ الْحَسَنُ: أَيُّهَا النَّاسُ نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ. وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ. وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعَجِّلُوهُ. وَلَا تَكْسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَمًّا. وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكُمْ. فَلَا تَمَلُّوا النِّعَمَ فَتَحُولَ نِقَمًا. وَأَنَّ أَجْوَدَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ. وَأَنَّ أَعْفَى النَّاسِ مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ. وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ. وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَقَالَ أَيْضًا: لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ. وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا تُدْرِكُ. وَلَا تَعِدْ بِمَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ. وَلَا تُنْفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ. وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ. وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِمَا نِلْتَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى. وَلَا تَتَنَاوَلْ إِلَّا مَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَهْلًا لَهُ

٩٩ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ. أَنْ أُرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ. وَأَنْ أُوَسِّعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ. وَأُصْغِيَ إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ

١٠٠ أَوْصَى عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا. فَقَالَ: لَا تَتَكَلَّمْ بِمَا لَا يَعْنِيكَ. وَدَعِ الْكَلَامَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَعْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا. وَلَا تُمَارِيَنَّ

حَلِيمًا وَلَا سَفِيهًا . فَإِنَّ الْحَلِيمَ يُطْغِيكَ . وَالسَّفِيهَ يُؤْذِيكَ . وَاذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ . وَدَعْهُ مِمَّا تُحِبُّ أَنْ يَدَعَكَ مِنْهُ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْعَدْلُ . وَاعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِالْإِحْسَانِ مَأْخُوذٌ بِالْإِجْرَامِ

١٠١ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : كَمَالُ الْمَرْءِ فِي خِلَالٍ ثَلَاثٍ . مُعَاشَرَةِ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْفِطْنَةِ . وَمُدَارَاةِ النَّاسِ بِالْمُعَاشَرَةِ الْجَمِيلَةِ . وَالِاقْتِصَادِ مِنْ بُخْلٍ وَإِسْرَافٍ

قَالَ بُزُرْجُمِهْرُ لِكِسْرَى وَعِنْدَهُ أَوْلَادُهُ : أَيُّ أَوْلَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : أَرْغَبُهُمْ فِي الْآدَابِ . وَأَجْزَعُهُمْ مِنَ الْعَارِ . وَأَنْظَرُهُمْ إِلَى الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْقَهُمْ

١٠٢ قَالَ بَهْرَامُ جُورُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ لَا يُضِيعَ التَّثَبُّتَ عِنْدَ مَا يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ . فَإِنَّ الرُّجُوعَ عَنِ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنَ الرُّجُوعِ عَنِ الْكَلَامِ . وَالْعَطِيَّةَ بَعْدَ الْمَنْعِ خَيْرٌ مِنَ الْمَنْعِ بَعْدَ الْعَطِيَّةِ . وَالْإِقْدَامَ عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ التَّأَنِّي خَيْرٌ مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْهُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ

١٠٣ وَقَالَ كِسْرَى لِحُكَمَاءِ الْفُرْسِ وَقَدِ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ : لِيَتَكَلَّمْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِكَلِمَاتٍ وَلَا يُكْثِرْهَا . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : خَيْرُ الْمُلُوكِ أَرْحَبُهُمْ ذَرْعًا عِنْدَ الضِّيقِ . وَأَعْدَلُهُمْ حُكْمًا عِنْدَ الْغَضَبِ . وَأَرْحَمُهُمْ إِذَا سُلِّطَ . وَأَبْعَدُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ . وَأَطْلَبُهُمْ لِرِضَاءِ الرَّعِيَّةِ . وَأَبْسَطُهُمْ وَجْهًا عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ . فَقَالَ كِسْرَى : حَسْبِي هٰذَا لَا أُرِيدُ عَلَيْهِ مَزِيدًا

١٠٤ قَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفُرْسِ لِمَرَازِبَتِهِ: أُوصِيكُمْ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فِيهَا رَاحَةُ أَنْفُسِكُمْ. وَاسْتِقَامَةُ أُمُورِكُمْ. أُوصِيكُمْ بِتَرْكِ الْمِرَاءِ. وَاجْتِنَابِ التَّفَاخُرِ. وَالِاصْطِبَارِ عَلَى الْقَنَاعَةِ. وَالرِّضَاءِ بِالْحُظُوظِ. وَأُوصِيكُمْ بِكُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَجْمُلُ. وَأَنْهَاكُمْ عَنْ كُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَقْبُحُ

قَالَ ابْنُ السَّمَّاكِ: الْكَمَالُ فِي خَمْسٍ. أَنْ لَا يَعِيبَ الرَّجُلُ أَحَدًا بِعَيْبٍ فِيهِ مِثْلُهُ. حَتَّى يُصْلِحَ ذَلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ. فَإِنَّهُ لَا يَفْرُغُ مِنْ إِصْلَاحِ عَيْبٍ حَتَّى يَهْجُمَ عَلَى آخَرَ. فَتَشْغَلُهُ عُيُوبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ. وَالثَّانِيَةُ أَنْ لَا يُطْلِقَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ حَتَّى يَعْلَمَ أَفِي طَاعَةٍ ذَلِكَ أَمْ فِي مَعْصِيَةٍ. وَالثَّالِثَةُ أَنْ لَا يَلْتَمِسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُعْطِيهِمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلَهُ. وَالرَّابِعَةُ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ بِاسْتِشْعَارِ مُدَارَاتِهِ وَتَوْفِيَتِهِمْ حُقُوقَهُمْ. وَالْخَامِسَةُ أَنْ يُنْفِقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ. وَيُمْسِكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ

١٠٥ قَالَ حَاتِمُ الزَّاهِدُ: إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ عَيْبًا فَإِنْ كَتَمْتَهُ عَنْهُ فَقَدْ خُنْتَهُ. وَإِنْ قُلْتَهُ لِغَيْرِهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ. وَإِنْ وَاجَهْتَهُ فَقَدْ أَوْحَشْتَهُ. فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ: فَمَا الَّذِي أَصْنَعُ. قَالَ: تَكْنِي عَنْهُ وَتُعَرِّضُ بِهِ. وَتَجْعَلُهُ فِي جُمْلَةِ الْحَدِيثِ

١٠٦ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ: الْكِبْرُ مِنْهُ مَأْمُونًا. وَالْخَيْرُ فِيهِ مَأْمُولًا. وَيَقْتَدِي بِأَهْلِ الْأَدَبِ مِنْ قَبْلِهِ فَيَكُونَ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ. وَحَتَّى يَكُونَ الذُّلُّ فِي طَاعَةِ اللهِ أَحَبَّ

إليه من العز في معصية الله. وحتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام. وحتى يكون عيشه القوت وحتى يستقل الكثير من عمله ويستكثره من غيره. ولا يتبرم بطلب الحوائج قبله. وأن يخرج من بيته فلا يستقبل أحدا إلا رأى أنه دونه

(للمستعصمي)

١٠٧ قال بعض الشعراء:

لا تحقرن عدوا في مخاصمة ولو يكون ضعيف البطش والجلد
فللبعوضة في الجرح المديد يد تنال ما قصرت عنه يد الأسد

١٠٨ (من النهج). كتب أمير المؤمنين إلى الحارث الهمداني:
تمسك بحبل الدين. واتصحه وأحل حلاله. وحرم حرامه. وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها. فإن بعضها يشبه بعضا وآخرها لاحق بأولها. وكلها حائل مفارق. وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق. وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت. ولا تتمن الموت إلا بشرط وثيق. وأحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه. ويكرهه لعامة المؤمنين. وأحذر كل عمل يعمل في السر ويستحيا منه في العلانية. وأحذر كل عمل إذا سئل صاحبه عنه أنكره واعتذر منه. ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القوم. ولا تحدث بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا. ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا. واكظم الغيظ. واحلم عند الغضب.

وتجاوز عند القدرة. واصفح عن الزلة تكن لك العاقبة. واستصلح كل نعمة أنعم الله بها عليك. ولا تضيع نعمة من نعم الله عندك. وليبن عليك أثر ما أنعم الله به عليك. واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله. وأنك ما تقدم من خير يبق لك ذخره. وما تؤخر يكن لغيرك خيره. واحذر صحبة من يقبل رأيه وينكر عمله. فإن الصاحب معتبر بصاحبه. واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الأعوان على طاعة الله. واقصر رأيك على ما يعنيك. وإياك ومقاعد الأسواق فإنها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن. وأطع الله في كل أمورك فإن طاعة الله تعالى فاضلة على ما سواها. وإياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربك في طلب الدنيا. وإياك ومصاحبة الأشرار فإن الشر بالشر يلحق. وفر إلى الله وأحب أحباءه. واحذر الغضب فإنه جند من جنود إبليس والسلام

(لبهاء الدين العاملي)

نخبة من ارجوزة ابن مكانس

١٠٩ هل من فتى ظريف. معاشر لطيف. يسمع من مقالي. ما يرخص اللآلي. أمنحه وصيه. سارية سريه. تبر في الديباجي. كلمعة السراج. رشيقة الألفاظ. تسهل للحفاظ. جادت بها القريحه. في معرض النصيحه. أنا الشفيق الناصح. أنا المجد المازح. إن تبتغ الكرامه. وتطلب السلامه. أسلك مع الناس الأدب. ترى من الدهر العجب.

لِنْ لَهُمُ الْخِطَابَا. وَاعْتَمِدِ الْآدَابَا. تَنَلْ بِهَا الطِّلَابَا. وَتَسْحَرِ الْأَلْبَابَا.
وَلَا تُطَاوِلْ بِنَشَبْ. وَلَا تُفَاخِرْ بِنَسَبْ. فَالْمَرْءُ ابْنُ الْيَوْمِ. وَالْعَقْلُ
زَيْنُ الْقَوْمِ. مَا أَرْوَضَ السِّيَاسَهْ. لِصَاحِبِ الرِّئَاسَهْ. إِنْ شِئْتَ تُلْفَى
مُحْسِنَا. فَلَا تَقُلْ يَوْمًا أَنَا. أَلْعِزُّ فِي الْأَمَانَهْ. وَالْكَيْسُ فِي الْقَطَانَهْ.
أَلْقَصْدُ بَابُ الْبَرَكَهْ. وَالْخُرْقُ دَاعِي الْهَلَكَهْ. لَا تُغْضِبِ الْجَلِيسَا.
لَا تُوحِشِ الْأَنِيسَا. لَا تَصْحَبِ الْخَسِيسَا. لَا تُسْخِطِ الرَّئِيسَا. لَا تُكْثِرِ
الْعِتَابَا. تُنَفِّرِ الْأَصْحَابَا. فَكَثْرَةُ الْمُعَاتَبَهْ. تَدْعُو إِلَى الْمُجَانَبَهْ. وَإِنْ
حَلَلْتَ مَجْلِسَا. بَيْنَ سَرَاةٍ رُؤَسَا. إِقْصِدْ رِضَا الْجَمَاعَهْ. وَكُنْ غُلَامَ
الطَّاعَهْ. وَدَارِهِمْ بِاللُّطْفِ. وَاحْذَرْ وَبَالَ السَّخْفِ. وَاخْتَصِرِ السُّؤَالَا.
وَقَلِّلِ الْمَقَالَا. وَلَا تَكُنْ مُعَرْبِدَا. وَلَا بَغِيضًا نَكِدَا. لَا تَحْمِلِ الطَّعَامَا.
وَالنَّقْلَ وَالْمُدَامَا. فَذَاكَ فِي الْوَلِيمَهْ. شَنَاعَةٌ عَظِيمَهْ. لَا يَرْتَضِيهَا آدَمِي.
غَيْرُ مُقِلٍّ عَادِمِ. وَقُلْ مِنَ الْكَلَامِ. مَا لَاقَ بِالْمُدَامِ. كَرَائِقِ الْأَشْعَارِ.
وَطَيِّبِ الْأَخْبَارِ. وَاتْرُكْ كَلَامَ السَّفِلَهْ. وَالنُّكَتَ الْمُبْتَذَلَهْ. إِيَّاكَ
وَالتَّطْفِيلَا. وَشُؤْمَهُ الْوَبِيلَا. وَلَا تَكُنْ مَبْذُولَا. وَلَا تَكُنْ مَلُولَا. أَلْبُخْلَ لَا
تَأْلَفْهُ. وَالْخِلَّ لَا تَصْدِفْهُ. وَلَا تَقُلْ لِمَنْ تُحِبْ. ضَيْفُ الْكِرَامِ
يَصْطَحِبْ. وَلَا تَكُنْ مِلْحَاحَا. وَاجْتَنِبِ الْمِزَاحَا. فَكَثْرَةُ الْمُجُونِ. نَوْعٌ
مِنَ الْجُنُونِ. فَالشُّؤْمُ فِي اللَّجَاجِ. وَالْخِلُّ لَا يُدَاجِي. وَهَذِهِ الْوَصِيَّهْ.
لِلْأَنْفُسِ الْأَبِيَّهْ. أَخْتَارُهَا لِنَفْسِي. وَإِخْوَتِي وَجِنْسِي. فَهَاكَهَا وَصِيَّهْ.
تَصْحَبُهَا التَّحِيَّهْ. تَحْمِلُهَا الْكِرَامُ. إِلَيْكَ وَالسَّلَامُ

١١٠ إني ناصحك ببعض نصائح أقبلها مني لئلا يكون علمك خصمًا عليك يوم القيامة. تعمل منها وتدع منها. وأما ما تدع فالأول أن لا تناظر أحدًا في مسئلة ما استطعت. لأن فيها آفة كثيرة وإثمها أكبر من نفعها إذ هي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها. نعم لو وقع مسئلة بينك وبين شخص أو قوم وكان إرادتك فيها أن يظهر الحق جاز لك البحث لكن لتلك الإرادة علامتان. إحداهما أن لا تفرق بين أن يكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك. وثانيتهما أن يكون البحث في الخلاء أحب إليك من أن يكون في الملإ. والثاني مما تدع وهو أن تحذر وتحترز من أن تكون واعظًا ومذكرًا لأن آفته كثيرة إلا أن تعمل بما تقول أولًا ثم تعظ به الناس فتفكر فيما قيل لبعضهم: عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي ربك إن ابتليت بهذا العمل

وأما ما ينبغي لك أن تفعله. فالأول أن تجعل معاملتك مع الله تعالى. بحيث لو عمل معك بها عبدك ترضى بها منه. ولا يضيق خاطرك عليه ولا تغضب. وما لا ترضى لنفسك من عبدك المجازي فلا ترض به لله تعالى وهو سيدك الحقيقي. والثاني كلما عملت بالناس اجعله كما ترضى لنفسك منهم. لأنه لا يكمل إيمان العبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه. والثالث إذا قرأت العلم

أَوْ طَالَعَتْهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلْمًا يُصْلِحُ قَلْبَكَ وَيُزَكِّي نَفْسَكَ

(أيها الولد للغزالي بتصرف)

(من كلام موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي)

١١١ (قَالَ) يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى مَنَامِكَ. وَتَنْظُرَ مَا اكْتَسَبْتَ فِي يَوْمِكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَتَشْكُرَ اللهَ عَلَيْهَا. وَمَا اكْتَسَبْتَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَتَسْتَغْفِرَ اللهَ مِنْهَا وَتُقْلِعَ عَنْهَا. وَتُرَتِّبَ فِي نَفْسِكَ مَا تَعْمَلُهُ فِي غَدِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ. وَتَسْأَلَ اللهَ الْإِعَانَةَ عَلَى ذَلِكَ

(وَقَالَ) أُوصِيكَ أَلَّا تَأْخُذَ الْعُلُومَ مِنَ الْكُتُبِ وَإِنْ وَثِقْتَ مِنْ نَفْسِكَ بِقُوَّةِ الْفَهْمِ. وَعَلَيْكَ بِالْأُسْتَاذِينَ فِي كُلِّ عِلْمٍ تَطْلُبُ اكْتِسَابَهُ. وَلَوْ كَانَ الْأُسْتَاذُ نَاقِصًا فَخُذْ عَنْهُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى تَجِدَ أَكْمَلَ مِنْهُ. وَعَلَيْكَ بِتَعْظِيمِهِ وَتَرْحِيبِهِ وَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُفِيدَهُ مِنْ دُنْيَاكَ فَافْعَلْ. وَإِلَّا فَبِلِسَانِكَ وَثَنَائِكَ. وَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابًا فَاحْرِصْ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ تَسْتَظْهِرَهُ وَتَمْلِكَ مَعْنَاهُ. وَتَوَهَّمْ أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ عُدِمَ وَأَنَّكَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ لَا تَحْزَنْ لِفَقْدِهِ

وَإِذَا كُنْتَ مُكِبًّا عَلَى دِرَاسَةِ كِتَابٍ وَتَفَهُّمِهِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِآخَرَ مَعَهُ. وَاصْرِفِ الزَّمَانَ الَّذِي تُرِيدُ صَرْفَهُ فِي غَيْرِهِ إِلَيْهِ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِعِلْمَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً. وَوَاظِبْ عَلَى الْعِلْمِ الْوَاحِدِ سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ. وَإِذَا قَضَيْتَ مِنْهُ وَطَرَكَ. فَانْتَقِلْ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ

وَلَا تَظُنَّ أَنَّكَ إِذَا حَصَّلْتَ عِلْمًا فَقَدِ اكْتَفَيْتَ. بَلْ تَحْتَاجُ إِلَى مُرَاعَاتِهِ لِيَنْمِيَ وَلَا يَنْقُصَ. وَمُرَاعَاتُهُ تَكُونُ بِالْمُذَاكَرَةِ وَالتَّفَكُّرِ وَاشْتِغَالِ الْمُبْتَدِئِ بِالتَّحَفُّظِ وَالتَّعَلُّمِ وَمُبَاحَثَةِ الْأَقْرَانِ وَاشْتِغَالِ الْعَالِمِ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّصْنِيفِ. وَإِذَا تَصَدَّيْتَ لِتَعْلِيمِ عِلْمٍ أَوْ لِلْمُنَاظَرَةِ فِيهِ فَلَا تَمْزُجْ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْعُلُومِ. فَإِنَّ كُلَّ عِلْمٍ مُكْتَفٍ بِنَفْسِهِ مُسْتَغْنٍ عَنْ غَيْرِهِ. فَإِنَّ اسْتِعَانَتَكَ فِي عِلْمٍ بِعِلْمٍ عَجْزٌ عَنِ اسْتِيفَاءِ أَقْسَامِهِ كَمَنْ يَسْتَعِينُ بِلُغَةٍ فِي لُغَةٍ أُخْرَى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ أَوْ جَهِلَ بَعْضَهَا

(قَالَ) وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقْرَأَ التَّوَارِيخَ وَأَنْ يَطَّلِعَ عَلَى السِّيَرِ وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ. فَيَصِيرُ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ فِي عُمُرِهِ الْقَصِيرِ قَدْ أَدْرَكَ الْأُمَمَ الْخَالِيَةَ وَعَاصَرَهُمْ وَعَاشَرَهُمْ وَعَرَفَ خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ

(قَالَ) وَيَنْبَغِي أَنْ يَكْثُرَ اتِّهَامُكَ لِنَفْسِكَ وَلَا تُحْسِنَ الظَّنَّ بِهَا. وَتَعْرِضَ خَوَاطِرَكَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيفِهِمْ. وَتَتَثَبَّتَ وَلَا تَعْجَلَ وَلَا تُعْجَبَ. فَمَعَ الْعُجْبِ الْعِثَارُ وَمَعَ الِاسْتِبْدَادِ الزَّلَلُ. وَمَنْ لَمْ يَعْرَقْ جَبِينُهُ إِلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَعْرَقْ فِي الْفَضِيلَةِ. وَمَنْ لَمْ يُجِلُّوهُ لَمْ يُبَجِّلْهُ النَّاسُ. وَمَنْ لَمْ يُبَكِّتُوهُ. لَمْ يُسَوِّدْ. وَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ أَلَمَ التَّعَلُّمِ. لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ. وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ. لَمْ يُفْلِحْ. وَإِذَا خَلَوْتَ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَكُّرِ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَبِتَسَابِيحِهِ. وَخَاصَّةً عِنْدَ النَّوْمِ فَيَتَشَرَّبُهُ لُبُّكَ وَيَتَعَجَّنُ فِي خَيَالِكَ. وَتَتَكَلَّمُ بِهِ فِي مَنَامِكَ. وَإِذَا حَدَثَ لَكَ فَرَحٌ وَسُرُورٌ بِبَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا فَاذْكُرِ الْمَوْتَ وَسُرْعَةَ

الزَّوَالِ وَأَصْنَافَ الْمُنَغِّصَاتِ. وَإِذَا أَحْزَنَكَ أَمْرٌ فَاسْتَرْجِعْ. وَإِذَا اعْتَرَتْكَ غَفْلَةٌ فَاسْتَغْفِرْ. فَاجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَالْعِلْمَ وَالتُّقَى زَادَكَ إِلَى الْآخِرَةِ. وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَ اللهَ تَعَالَى فَاطْلُبْ مَكَانًا لَا يَرَاكَ فِيهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ عُيُونُ اللهِ عَلَى الْعَبْدِ يُرِيهِمْ خَيْرَهُ وَإِنْ أَخْفَاهُ. وَشَرَّهُ وَإِنْ سَتَرَهُ. فَبَاطِنُهُ مَكْشُوفٌ لِلهِ. وَاللهُ يَكْشِفُهُ لِعِبَادِهِ. فَعَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ بَاطِنَكَ خَيْرًا مِنْ ظَاهِرِكَ. وَسِرَّكَ أَصَحَّ مِنْ عَلَانِيَتِكَ

وَلَا تَتَأَلَّمْ إِذَا أَعْرَضَتْ عَنْكَ الدُّنْيَا. وَلَوْ عَرَضَتْ لَكَ لَشَغَلَتْكَ عَنْ كَسْبِ الْفَضَائِلِ. وَقَلَّمَا يَتَعَلَّقُ فِي الْعِلْمِ ذُو الثَّرْوَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَرِيفَ الْهِمَّةِ جِدًّا. وَأَنْ يُثْرِيَ بَعْدَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ. وَإِنِّي لَا أَقُولُ: إِنَّ الدُّنْيَا تُعْرِضُ عَنْ طَالِبِ الْعِلْمِ بَلْ هُوَ الَّذِي يُعْرِضُ عَنْهَا. لِأَنَّ هِمَّتَهُ مَصْرُوفَةٌ إِلَى الْعِلْمِ فَلَا يَبْقَى لَهُ الْتِفَاتٌ إِلَى الدُّنْيَا. وَالدُّنْيَا إِنَّمَا تُحْصَلُ بِحِرْصٍ وَفِكْرٍ فِي وُجُوهِهَا. فَإِذَا غَفَلَ عَنْ أَسْبَابِهَا لَمْ تَأْتِهِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَشْرُفُ نَفْسُهُ عَنِ الصَّنَائِعِ الرَّذْلَةِ وَالْمَكَاسِبِ الدَّنِيَّةِ. وَعَنْ أَصْنَافِ التِّجَارَاتِ. وَعَنِ التَّذَلُّلِ لِأَرْبَابِ الدُّنْيَا. وَالْوُقُوفِ عَلَى أَبْوَابِهِمْ. وَلِبَعْضِ إِخْوَانِنَا بَيْتٌ:

مَنْ جَدَّ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ أَفَاتَهُ شَرَفُ الْعُلُومِ دَنَاءَةَ التَّحْصِيلِ

وَجَمِيعُ طُرُقِ مَكَاسِبِ الدُّنْيَا تَحْتَاجُ إِلَى فَرَاغٍ لَهَا. وَحِذْقٍ فِيهَا. وَصَرْفِ الزَّمَانِ إِلَيْهَا. وَالْمُشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ لَا يَسَعُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

وَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَنْ تَأْتِيَهُ الدُّنْيَا بِلَا سَبَبٍ. وَتَطْلُبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْلُبَهَا طَلَبَ مِثْلِهَا. وَهٰذَا ظُلْمٌ مِنْهُ وَعُدْوَانٌ. وَلٰكِنْ إِذَا تَمَكَّنَ الرَّجُلُ فِي الْعِلْمِ وَشُهْرَتِهِ خُطِبَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاصِبُ وَجَاءَتْهُ الدُّنْيَا صَاغِرَةً فَأَخَذَ مَا أَهَدَتْهُ وَمَاءُ وَجْهِهِ مَوْفُورٌ. وَعِرْضُهُ وَدِينُهُ مَصُونٌ

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعِلْمِ عَبَقَةً وَعَرْفًا يُنَادِي عَلَى صَاحِبِهِ. وَنُورًا وَضِيَاءً يُشْرِقُ عَلَيْهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ. كَتَاجِرِ مِسْكٍ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ. وَلَا تُجْهَلُ بِضَاعَتُهُ. وَكَمَنْ يَمْشِي بِمِشْعَلٍ فِي لَيْلٍ مُدْلَهِمٍّ. وَالْعَالِمُ مَعَ هٰذَا مَحْبُوبٌ أَيْنَ مَا كَانَ. وَكَيْفَ مَا كَانَ لَا يَجِدُ إِلَّا مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ. وَيُؤْثِرُ قُرْبَهُ وَيَأْنَسُ بِهِ. وَيَرْتَاحُ بِمُدَانَاتِهِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعُلُومَ تَغُورُ. ثُمَّ تَفُورُ. تَغُورُ فِي زَمَانٍ. وَتَفُورُ فِي زَمَانٍ. بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ أَوْ عُيُونِ الْمِيَاهِ. وَتَنْتَقِلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ. وَمِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ

(قَالَ) اجْعَلْ كَلَامَكَ فِي الْغَالِبِ بِصِفَاتِ أَنْ يَكُونَ وَجِيزًا فَصِيحًا فِي مَعْنًى مُهِمٍّ أَوْ مُسْتَحْسَنٍ. فِيهِ إِلْغَازٌ مَا وَإِيهَامٌ كَثِيرٌ أَوْ قَلِيلٌ. وَلَا تَجْعَلْهُ مُهْمَلًا كَكَلَامِ الْجُمْهُورِ بَلْ رَفِّعْهُ عَنْهُمْ وَلَا تُبَاعِدْهُ عَلَيْهِمْ جِدًّا

(وَقَالَ) إِيَّاكَ وَالْهَذَرَ وَالْكَلَامَ فِيمَا لَا يَعْنِي. وَإِيَّاكَ وَالسُّكُوتَ فِي مَحَلِّ الْحَاجَةِ وَرُجُوعِ النَّوْبَةِ إِلَيْكَ. إِمَّا لِاسْتِخْرَاجِ حَقٍّ. أَوِ اجْتِلَابِ مَوَدَّةٍ. أَوْ تَنْبِيهٍ عَلَى فَضِيلَةٍ. وَإِيَّاكَ وَالضَّحِكَ مَعَ كَلَامِكَ. وَكَثْرَةَ الْكَلَامِ. وَتَبْتِيرَ الْكَلَامِ. بَلِ اجْعَلْ كَلَامَكَ سَرْدًا بِسُكُونٍ وَوَقَارٍ.

بحيث يُستشعر منك أن وراءه أكثر منه. وأنه عن خميرة سابقة. ونظر متقدم

(وقال) إياك والغلظة في الخطاب. والجفاء في المناظرة فإن ذلك يذهب بهجة الكلام ويسقط فائدته. ويعدم حلاوته. ويجلب الضغائن. ويمحق المودات. ويصير القائل مستثقلا. سكوته أشهى إلى السامع من كلامه. ويثير النفوس على معاندته ويبسط الألسن بمخاشنته وإذهاب حرمته

(وقال) لا ترتفع بحيث تستثقل. ولا تتنازل بحيث تستخس وتستحقر. (وقال) اجعل كلامك كله جدا. وأجب من حيث تعقل. لا من حيث تعتاد وتألف. (وقال) انترح عن عادات الصبا. وتجرد عن مألوفات الطبيعة. واجعل كلامك لاهوتيا في الغالب لا ينفك من خبر أو قول حكيم. أو بيت نادر. أو مثل سائر

(وقال) تجنب الوقيعة في الناس. وثلب الملوك والغلظة على المعاشر. وكثرة الغضب. وتجاوز الحد فيه. (وقال) استكثر من حفظ الأشعار الأمثالية. والنوادر الحكمية. والمعاني المستغربة

الباب الرابع
في الأحوال السائرة

من نثر اللآلي لعليّ بن أبي طالب

١١٢ (ا). إيمان المرء يعرف بأيمانه. أدب المرء خير من ذهبه. أداء الدين من الدين. أحسن إلى المسيء تسد. إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب. أخوك من واساك بنشب لا من واساك بنسب. (ب). بشر نفسك بالظفر بعد الصبر. بركة المال في أداء الزكاة. بيع الدنيا بالآخرة ربح. بكاء المرء من خشية الله تعالى قرة العين. باكر تسعد. بطن المرء عدوه. بركة العمر حسن العمل. بلاء الإنسان من اللسان. بشاشة الوجه عطية ثانية. (ت). توكل على الله يكفك. تدارك في آخر العمر ما فاتك في أوله. تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الإيمان. تغافل عن المكروه توقر. (ث). ثلمة الدين موت العلماء. ثبات الملك بالعدل. ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا. ثناء الرجل على معطيه مستزيد. (ج). جد بما تجد. جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى قيام الساعة. جودة الكلام في الاختصار. جليس المرء مثله. جليس المرء غنيمة. جالس الفقراء تزدد شكرا. جل من لا يموت. (ح). حياء المرء ستره. حموضات الطعام خير من حموضات الكلام. (خ). خف الله تأمن غيره.

خَالِفْ نَفْسَكَ تَسْتَرِحْ. خَيْرُ الْأَصْحَابِ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَى الْخَيْرِ. خَلِيلُ الْمَرْءِ دَلِيلُ عَقْلِهِ. خَوْفُ اللهِ يَجْلُو الْقَلْبَ. خُلُوُّ الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ مَلْءِ الْكِيسِ. خَيْرُ الْمَالِ مَا أُنْفِقَ فِي سَبِيلِ اللهِ. (د). دَلِيلُ عَقْلِ الْمَرْءِ فِعْلُهُ وَدَلِيلُ عِلْمِهِ قَوْلُهُ. دَوَامُ السُّرُورِ بِرُؤْيَةِ الْإِخْوَانِ. دَوْلَةُ الْأَرْذَالِ آفَةُ الرِّجَالِ. دِينُ الرَّجُلِ حَدِيثُهُ. دَوْلَةُ الْمُلُوكِ فِي الْعَدْلِ. دَارِ مَنْ جَفَاكَ تَخْجِيلًا. دُمْ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ تُحْمَدْ عَوَاقِبُكَ. (ذ). ذَنْبٌ وَاحِدٌ كَثِيرٌ وَذِكْرٌ وَأَلْفُ طَاعَةٍ قَلِيلٌ. ذِكْرُ الْأَوْلِيَاءِ يُنْزِلُ الرَّحْمَةَ. ذَلِيلُ الْخُلُقِ عَزِيزٌ عِنْدَ اللهِ. ذِكْرُ الْمَوْتِ جَلَاءُ الْقَلْبِ. ذِكْرُ الشَّبَابِ حَسْرَةٌ. (ر). رُؤْيَةُ الْحَبِيبِ جَلَاءُ الْعَيْنِ. رَفَاهِيَةُ الْعَيْشِ فِي الْأَمْنِ. رَسُولُ الْمَوْتِ الْوِلَادَةُ. (ز). زِيَارَةُ الْحَبِيبِ إِطْرَاءُ الْمَحَبَّةِ. زَوَايَا الدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِالرَّزَايَا. زِيَارَةُ الضُّعَفَاءِ مِنَ التَّوَاضُعِ. زِينَةُ الْبَاطِنِ خَيْرٌ مِنْ زِينَةِ الظَّاهِرِ. (س). سِيرَةُ الْمَرْءِ تُنْبِئُ عَنْ سَرِيرَتِهِ. سُمُوُّ الْمَرْءِ التَّوَاضُعُ. (ش). شَيْنُ الْعِلْمِ الصَّلَفُ. شَمِّرُوا فِي طَلَبِ الْجَنَّةِ. شَيْبُكَ نَاعِيكَ. شَحِيحٌ غَنِيٌّ أَفْقَرُ مِنْ فَقِيرٍ سَخِيٍّ. (ص). صِدْقُ الْمَرْءِ نَجَاتُهُ. صِحَّةُ الْبَدَنِ فِي الصَّوْمِ. الصَّبْرُ يُورِثُ الظَّفَرَ. صَلَاةُ اللَّيْلِ بَهَاءُ النَّهَارِ. صَلَاحُ الْإِنْسَانِ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ. صَاحِبِ الْأَخْيَارَ تَأْمَنِ الْأَشْرَارَ. صَمْتُ الْجَاهِلِ سِتْرُهُ. صَلَاحُ الدِّينِ فِي الْوَرَعِ وَفَسَادُهُ فِي الطَّمَعِ. (ض). ضَلَّ سَعْيُ مَنْ رَجَا غَيْرَ اللهِ تَعَالَى. ضَرْبُ الْحَبِيبِ أَوْجَعُ. ضَلَّ مَنْ رَكَنَ إِلَى الْأَشْرَارِ. (ط). طَابَ مَنْ وَثِقَ بِاللهِ. طَلَبُ

ٱلْأَدَبِ أَوْلَى مِنْ طَلَبِ ٱلذَّهَبِ . (ظ) . ظُلْمُ ٱلْمَرْءِ يَصْرَعُهُ . ظَلَامَةُ ٱلْمَظْلُومِ لَا تَضِيعُ . ظَمَأُ ٱلْمَالِ أَشَدُّ مِنْ ظَمَإِ ٱلْمَاءِ . ظِلُّ عُمْرِ ٱلظَّالِمِ قَصِيرٌ وَظِلُّ عُمْرِ ٱلْكَرِيمِ فَسِيحٌ . (ع) . عِشْ قَنِعًا تَكُنْ مَلِكًا . عَيْبُ ٱلْكَلَامِ تَطْوِيلُهُ . عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِ وَخِيمَةٌ . (غ) . غَدْرُكَ مَنْ دَلَّكَ عَلَى ٱلْإِسَاءَةِ . (ف) . فَازَ مَنْ ظَفِرَ بِٱلدِّينِ . فَخْرُ ٱلْمَرْءِ بِفَضْلِهِ . أَوْلَى مِنْ فَخْرِهِ بِأَصْلِهِ . فَازَ مَنْ سَلِمَ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ . فَسَدَتْ نِعْمَةٌ مَنْ كَفَرَهَا . (ق) . قَبُولُ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلدِّينِ . (ك) . كَلَامُ ٱللهِ دَوَاءُ ٱلْقَلْبِ . كُفْرَانُ ٱلنِّعْمَةِ مُزِيلُهَا . كَفَى بِٱلشَّيْبِ دَاءً . كَمَالُ ٱلْعِلْمِ فِي ٱلْحِلْمِ . (ل) . لِينُ ٱلْكَلَامِ قَيْدُ ٱلْقُلُوبِ . (م) . مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ مَلَامُهُ . مَجْلِسُ ٱلْعِلْمِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ . مُصَاحَبَةُ ٱلْأَشْرَارِ رُكُوبُ ٱلْبَحْرِ . (ن) . نِسْيَانُ ٱلْمَوْتِ صَدَأُ ٱلْقَلْبِ . نَمْ آمِنًا تَكُنْ فِي أَنْهَدِ ٱلْفُرُشِ . نَضْرَةُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلصِّدْقِ . (و) . وِلَايَةُ ٱلْأَحْمَقِ سَرِيعَةُ ٱلزَّوَالِ . وَحْدَةُ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ ٱلسُّوءِ . (ه) . هَمُّ ٱلسَّعِيدِ آخِرَتُهُ وَهَمُّ ٱلشَّقِيِّ دُنْيَاهُ . هَلَاكُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلْعُجْبِ . هَرَبُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْفَعُ مِنْ هَرَبِكَ مِنَ ٱلْأَسَدِ . (لا) . لَا دِينَ لِمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ . لَا فَقْرَ لِلْعَاقِلِ . (ي) . يَعْمَلُ ٱلنَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ فِتْنَةَ أَشْهُرٍ . يَسُودُ ٱلْمَرْءُ قَوْمَهُ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ

نبذة

من كتاب غُرَر الحكم ودُرَر الكلم جمعهُ عبد الواحد بن محمد من كلام عليّ بن ابي طالب

١١٣ (ا) . ٱلدِّينُ يَعْصِمُ . ٱلدُّنْيَا تَسْلُمُ . ٱلصِّيَانَةُ رَأْسُ ٱلْمُرُوءَةِ . ٱلْحَقُّ

سَيْفٌ قَاطِعٌ. أَلْعُجْبُ عُنْوَانُ الْحَمَاقَةِ. أَلْبَشَاشَةُ حَبْلُ الْمَوَدَّةِ. أَلِارْتِقَاءُ إِلَى الْفَضَائِلِ صَعْبٌ. أَلِانْحِطَاطُ إِلَى الرَّذَائِلِ سَهْلٌ. أَلسُّكُوتُ عَنِ الْأَحْمَقِ جَوَابُهُ. إِمَامٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ. أَلْمُحْسِنُ حَيٌّ وَإِنْ نُقِلَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَمْوَاتِ. أَلْعَاقِلُ إِذَا سَكَتَ فَكَّرَ وَإِذَا نَطَقَ ذَكَّرَ وَإِذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ. أَلدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالْقَوْسِ بِلَا وَتَرٍ. إِعْجَابُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عُنْوَانُ ضَعْفِ عَقْلِهِ. أَحْسَنُ الْجُودِ عَفْوٌ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ. (ب). بِرُكُوبِ الْأَهْوَالِ تُكْسَبُ الْأَمْوَالُ. بِالسَّخَاءِ يُسْتَرُ الْعُيُوبُ. (ت). تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ. (ث). ثَوْبُ التُّقَى أَشْرَفُ الْمَلَابِسِ. ثَوْبُ الْآخِرَةِ يُنْسِي مَشَقَّةَ الدُّنْيَا. ثَرْوَةُ الْعَاقِلِ فِي عِلْمِهِ وَثَرْوَةُ الْجَاهِلِ فِي مَالِهِ. ثَلَاثٌ يُوجِبْنَ الْمَحَبَّةَ الدِّينُ وَالتَّوَاضُعُ وَالسَّخَاءُ. (ج). جِهَادُ النَّفْسِ أَفْضَلُ الْجِهَادِ. (ح). حُسْنُ الْأَدَبِ يَسْتُرُ قُبْحَ النَّسَبِ. حَلَاوَةُ الظَّفَرِ تَمْحُو مَرَارَةَ الصَّبْرِ. حَدُّ اللِّسَانِ يَقْطَعُ الْأَوْصَالَ. (خ). خَيْرُ الثَّنَاءِ مَا جَرَى عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَخْيَارِ. (د). دَوَامُ الْفِتَنِ مِنْ أَعْظَمِ الْمِحَنِ. (ر). رُبَّ سُكُوتٍ أَبْلَغُ مِنْ كَلَامٍ. (ز). زَلَّةُ الْعَالِمِ كَانْكِسَارِ السَّفِينَةِ تَغْرَقُ وَتُغْرِقُ مَعَهَا غَيْرَهَا. زَخَارِفُ الدُّنْيَا تُفْسِدُ الْعُقُولَ الضَّعِيفَةَ. (س). سِلَاحُ اللِّئَامِ قُبْحُ الْكَلَامِ. سَمْعُ الْأُذُنِ لَا يَنْفَعُ مَعَ غَفْلَةِ الْقَلْبِ. (ش). شَرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا. شَيْئَانِ لَا يُعْرَفُ فَضْلُهُمَا إِلَّا مِنْ فَقْدِهِمَا الشَّبَابُ وَالْعَافِيَةُ. (ص). صَمْتُكَ حَتَّى تُسْتَنْطَقَ أَجْمَلُ مِنْ

نُطقك حتى تُسكت . صَوْمُ النَّفسِ عَنْ لَذَّاتِ الدُّنيا أفضلُ الصِّيام . صَدرُ العاقلِ صُندوقُ سِرِّهِ . (ض) . ضَعْ فَخْرَكَ وَاحْطُطْ كِبْرَكَ وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . ضَعفُ البَصرِ لا يَضُرُّ مَعَ اسْتِنارَةِ البَصِيرَةِ . (ط) . طُوبَى لِمَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ وَلَمْ تَغْلِبْهُ وَمَنْ مَلَكَ هَوَاهُ وَلَمْ يَمْلِكْهُ . طَلَبُ الثَّناءِ بِغَيرِ اسْتِحْقاقٍ خُرْقٌ . (ظ) . ظَنُّ العاقلِ أصحُّ مِنْ يَقينِ الجاهِلِ . ظَرْفُ الرَّجُلِ تَنَزُّهُهُ عَنِ المَحارِمِ وَمُبادَرَتُهُ إلى المَكارِمِ . (ع) . عَلَيْكَ بِالآخِرَةِ تَأْتِكَ الدُّنيا صاغِرَةً . عِنْدَ الامْتِحانِ يُكْرَمُ المَرْءُ أوْ يُهانُ . عَجِبْتُ لِعامِرٍ دارَ الفَناءِ وَتارِكٍ دارَ البَقاءِ . عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ . عَبْدُ الشَّهْوَةِ أذَلُّ مِنْ عَبْدِ الرِّقِّ . عَبْدُ المَطامِعِ أسيرٌ لا يُفَكُّ أسْرُهُ . عاشِرْ أهْلَ الفَضائِلِ تَنْبُلْ . عَداوَةُ الأقارِبِ أمَسُّ مِنْ لَسْعِ العَقارِبِ . (غ) . غايَةُ المَعْرِفَةِ أنْ يَعْرِفَ المَرْءُ نَفْسَهُ . غِنَى المُؤْمِنِ بِاللهِ . غِنَى العاقِلِ فِي حِكْمَتِهِ . غِنَى الجاهِلِ فِي قُنْيَتِهِ . (ف) . فِي الذِّكْرِ حَياةُ القُلُوبِ . فِي رِضا اللهِ نَيْلُ المَطْلُوبِ . فِي الدُّنيا عَمَلٌ وَلا حِسابَ . فِي الآخِرَةِ الحِسابُ وَلا عَمَلَ . فِي الاسْتِشارَةِ عَيْنُ الهِدايَةِ . فَقْدُ البَصَرِ أهْوَنُ مِنْ فَقْدِ البَصِيرَةِ . (ق) . قَدْ يَبْعُدُ القَرِيبُ . قَدْ يَلِينُ الصُّلْبُ . قِلَّةُ الأكْلِ تَمْنَعُ كَثِيراً مِنْ أعْلالِ الجِسْمِ . قُلِ الحَقَّ وَإنْ كانَ عَلَيْكَ . قَلِيلُ الحَقِّ يَدْفَعُ كَثِيرَ الباطِلِ كَما أنَّ قَلِيلَ النّارِ يُحْرِقُ كَثِيرَ الحَطَبِ . (ك) . كُلُّ طَيْرٍ يَأْوِي لِى شَكْلِهِ . كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنيا سَماعُهُ أعْظَمُ مِنْ عِيانِهِ . كُلُّ

وِعَاءٌ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ. كَمْ يُفْتَحُ بِالصَّبْرِ مِنْ غَلَقٍ. كَيْفَ يَنْجُو مِنَ اللهِ هَارِبُهُ. كَيْفَ يَسْلَمُ مِنَ الْمَوْتِ طَالِبُهُ. كُنْ عَالِمًا نَاطِقًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَاعِيًا. كَلَامُ الرَّجُلِ مِيزَانُ عَقْلِهِ. كُلَّمَا قَارَبَتْ أَجَلًا فَأَحْسِنْ عَمَلًا. (ل). لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْكِرَامِ تَأْخِيرُ الْإِنْعَامِ. لِلشَّدَائِدِ تُذْخَرُ الرِّجَالُ. (م). مَنْ تَوَقَّرَ وُقِّرَ. وَمَنْ تَكَبَّرَ حُقِّرَ. مَنِ اسْتَشَارَ الْعَاقِلَ مَلَكَ. مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ. مَا حَقَّرَ نَفْسَهُ إِلَّا عَاقِلٌ. مَا أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ إِلَّا جَاهِلٌ. (ن). نِعْمَ الْإِدَامُ الْجُوعُ. (ه). هُدِيَ مَنْ أَطَاعَ رَبَّهُ. وَخَافَ ذَنْبَهُ. هَلَكَ امْرُؤٌ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ. هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهِ لِسَانَهُ. (و). وَقِّرُوا كِبَارَكُمْ تُوَقِّرْكُمْ صِغَارُكُمْ. وَقَارُ الشَّيْبِ أَجْمَلُ مِنْ نَضَارَةِ الشَّبَابِ. (لا). لَا تَثِقَنَّ بِعَهْدِ مَنْ لَا دِينَ لَهُ. لَا تَعِدْ مَا تَعْجِزُ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ. لَا تَثِقْ بِمَنْ يُذِيعُ سِرَّكَ. لَا يَسْتَرِقَّكَ الطَّمَعُ فَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا. (ي). يُسْتَدَلُّ عَلَى الْكَرِيمِ بِحُسْنِ بِشْرِهِ وَبَذْلِ خَيْرِهِ. يُسْتَدَلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدُّوَلِ بِأَرْبَعٍ تَضْيِيعِ الْأُصُولِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْفُرُوعِ وَتَقْدِيمِ الْأَرْذَالِ وَتَأْخِيرِ الْأَفَاضِلِ. يَبْلُغُ الصَّادِقُ بِصِدْقِهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ الْكَاذِبُ بِاحْتِيَالِهِ

نخبة امثال انتقاها الابشيهي

١١٤ (ا). إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ حَلَّ الْبَلَاءُ. إِذَا اصْطَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ فَاسْتُرْهُ وَإِذَا اصْطُنِعَ إِلَيْكَ فَانْشُرْهُ. أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدِ الشَّهْوَةُ دِينَهُ. أَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ. أَظْهَرُ النَّاسِ مَحَبَّةً

أحسنهم لقاء . إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن . (ب) بالتأني تسهل المطالب . بخفض الجانب تأنس النفوس . (ث) ثمرة العلوم العمل بالمعلوم . (ح) الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل يومه لغده . حق يضر خير من باطل يسر . (خ) خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه . خير المال ما أخذ من الحلال وصرف في النوال . (ر) الرفق مفتاح الرزق . (ش) . شر الناس من ينصر الظالوم ويخذل المظلوم . (ص) . صاحب العقل مغبوط . صداقة الجاهل تعب . (ع) علم لا ينفع كدواء لا ينجع . عظ المسيء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك . عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم . العجلة أخت الندامة . (ق) . قد خاطر من استبد برأيه . (ك) . كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله . كل يفر من ضده ويميل إلى جنسه . (ل) . لا تفتح بابا يعييك سده . اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده . لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا . لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح . (م) من طاع هواه باع دينه بدنياه . من لزم الطمع عدم الورع . من قرب السفلة واطرح ذوي الأحساب والمروءات استحق الخذلان . من عفا تفضل . من كظم غيظه فقد حلم . من حلم فقد صبر . من صبر فقد ظفر . من

أكثر من مقاله سئم ومن سؤاله حرم . من أعجب بعمله حبط أجره . من رجع في هبته بالغ في خسته . من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل . من حفر حفيرا لأخيه كان حتفه فيه . من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي . من لزم الرقاد عدم المراد . من نظر في العواقب سلم من النوائب . من أسرع في الجواب أخطأ في الصواب . من حسنت خصاله طاب وصاله . من عرف بشيء نسب إليه . (ن) نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف

نخبة امثال اوردها بهاء الدين العاملي في كتابه الكشكول

١١٥ (ا) . إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون . إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه . إذا ذكر جليسك عندك أحدا بالسوء فاعلم أنك ثانيه . أفضل الزاد ما تزود للمعاد . إن سلمت من الأسد فلا تطمع في صيده . أول المعرفة الاختبار . أيسر شيء الدخول في العداوة وأصعب شيء الخروج منها . (ب) . بعض الكلام أقطع من الحسام . (ت) . اتق ملجم . (خ) . خير أهلك من كفاك . خير سلاحك ما وقاك . (د) . الدال على الخير كفاعله . (ر) . رب أكلة تمنع أكلات . الرفق يمن والخرق شؤم . (س) . السعيد من وعظ بغيره . (ص) . صغير الشر يوشك أن يكبر . (ع) . عند الغاية يعرف السبق . (ق) . قبل الرماية تملأ الكنائن . القريب من قرب نفعه . القول ينفذ ما لا ينفذ الإبر . قيدوا النعم بالشكر . (ك) . كلب

جَوَّالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ. كُلُّ مَبْذُولٍ مَمْلُولٌ. كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ فِيهِ. كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ. (ل). لَا تُبْلِغُ الْغَايَاتُ بِالْأَمَانِيِّ. لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ. لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ. لِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ. لَيْسَ مِنْكَ مَنْ غَشَّكَ. (م). مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ. مَنْ أَفْسَدَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَعَلَى يَدَيْهِمَا هَلَاكُهُ. مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَتْ رِجْلُهُ بِأَجَلِهِ. مَنْ رَفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ فَاتَّقِهِ. مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ. مَنْ لَمْ تُصْلِحْهُ الْكَرَامَةُ أَصْلَحَهُ الْهَوَانُ. مَنْ يَزْرَعِ الْمَعْرُوفَ يَحْصُدِ الشُّكْرَ

١١٦ أَبْيَاتٌ تَمَثَّلَ بِهَا الْعَرَبُ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ:

إِذَا جَاءَ مُوسَى وَأَلْقَى الْعَصَا ... فَقَدْ بَطَلَ السِّحْرُ وَالسَّاحِرُ

إِذَا كَانَ رَبُّ الْبَيْتِ بِالدُّفِّ مُولَعًا ... فَشِيمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ كُلِّهِمِ الرَّقْصُ

إِذَا مَا أَرَادَ اللهُ إِنْقَاذَ نَمْلَةٍ ... سَمَتْ بِجَنَاحَيْهَا إِلَى الْجَوِّ تَصْعَدُ

أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا ... وَالشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنِعُ

أُقَلِّبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ ... يَمِيلُ مَعَ النَّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

إِنَّ الْفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ ... وَرُبَّ جِدٍّ جَرُّهُ الْمِزَاحُ

أَتَمَنَّى عَلَى الزَّمَانِ مُحَالًا ... أَنْ تَرَى مُقْلَتَايَ طَلْعَةَ حُرِّ

إِذَا ضَاعَ شَيْءٌ بَيْنَ أُمٍّ وَبِنْتِهَا ... فَإِحْدَاهُمَا يَا صَاحِ لَا شَكَّ آخِذَهْ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ تَدْوَى يَمِينُهُ ... فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لِيَسْلَمَ سَائِرُهْ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنْشِقُ الشِّيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
إِنْتَهِزِ الْفُرْصَةَ فِي حِينِهَا وَالْتَقِطِ الْجَوْزَ إِذَا يُنْثَرُ
أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا قَدْ مَضَى هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسٍ خَلَقْ
أَقْرِرْ بِذَنْبِكَ ثُمَّ اطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ
جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ لِيَ التَّجَارِبُ فِي وُدِّ امْرِئٍ غَرَضَا
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوتُ مَا أَكْثَرَ الْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ لَوْلَا الدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ
أَلْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا وَالشَّرُّ يَسْبُقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ
رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٌ عِرْضُهُ وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولُ الْحَسَبْ
أَلرِّزْقُ يُخْطِئُ بَابَ عَاقِلِ قَوْمِهِ وَيَبِيتُ بَوَّابًا بِبَابِ الْأَحْمَقِ
سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْإِخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
ضَاقَتْ وَلَوْ لَمْ تَضِقْ لَمَّا انْفَرَجَتْ وَالْعُسْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَيْسُورِ
أَلْعَنْزُ لَا يَسْمَنُ إِلَّا بِالْعَلَفْ لَا يَسْمَنُ الْعَنْزُ بِقَوْلِ ذِي لَطَفْ
فَإِنْ تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ تُخَبِّرْكَ الْعُيُونُ عَنِ الضَّمِيرِ
فَاقْطَعْ حَبَائِلَ خِلٍّ لَا تُلَائِمُهُ فَرُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِإِثْنَيْنِ
أَلْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مَنِ اتَّقَى اللهَ رَجَا وَخَافَا
فِي كُلِّ مُسْتَحْسَنٍ عَيْبٌ بِلَا رَيْبِ مَا يَسْلَمُ الذَّهَبُ الْإِبْرِيزُ مِنْ عَيْبِ
فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخَلِّدُ الْمَرْءَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنَّ حَمْدَ الْمَرْءِ غَيْرُ مُخَلِّدِ

قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها ... فمن علا زلقاً عن غرّة زلجا
قد يدرك المتأني حسن حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم
قد يدرك الشرف الفتى وردآؤه ... خلق وجيب قميصه مرقوع
كان يقال من أتى خوانا ... من غير أن يدعى إليه هانا
كذا قضى الله فكيف أصنع ... الصمت إن ضاق الكلام أوسع
الكلب لا يذكر في مجلس ... إلا تراه عند ما يذكر
كنت في كربتي أفر إليهم ... فهم كربتي فأين الفرار
لكل إنسان طبيعتان ... خير وشر وهما ضدان
لكل شيء معدن وجوهر ... وأوسط وأصغر وأكبر
لكل ما يؤذي وإن قل ألم ... ما أطول الليل على من لم ينم
ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء
ما انتفع المرء بمثل عقله ... وخير ذخر المرء حسن فعله
ما زالت الدنيا لنا دار أذى ... ممزوجة الصفو بألوان القذى
ما كنت لو أكرمت أستعصي ... لا يهرب الكلب من القرص
ما بال من ليست له حاجة ... يكون أنفا بين عينين
ما عاش من عاش مذموما خصائله ... ولم يمت من يكن بالخير مذكورا
ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلا بما تجد
من لم يكن في بيته طعام ... فما له في بيته مقام

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَائِزَهُ ... لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ
مَنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَرُّ بِهِ ... وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ
هَنَّاكُمُ اللهُ بِالدُّنْيَا وَمَتَّعَكُمْ ... بِمَا تُحِبُّ لَكُمْ مِنْهَا وَتَرْضَاهُ
وَاقْنَعْ بِمَا أُوتِيتَهُ تَلِ الْمُنَى ... وَإِذَا دَهَتْكَ مُلِمَّةٌ فَتَصَبَّرِ
وَإِذَا سَخِطْتَ لِضُرِّ حَالِكَ مَرَّةً ... وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ قَدْ عَدَتْ فَتَبَصَّرِ
وَاللهُ أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ فَلَا تَسَلْ ... بُشْرًا تَعِشْ عَيْشَ الْكِرَامِ وَتُؤْجَرِ
وَأَحْسِنْ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا بُدَّ مَيِّتٌ ... وَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِمَا كُنْتَ سَاعِيَا
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ ... إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالْهِلَالِ وَضَوْئِهِ ... يُوَافِي تَمَامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغِيبُ
وَقَدْ تَسْلُبُ الْأَيَّامُ حَالَاتِ أَهْلِهَا ... وَتَعْدُو عَلَى أُسْدِ الرِّجَالِ الثَّعَالِبُ
وَمَا لِامْرِئٍ طُولُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا ... يُخَلِّدُهُ طُولُ الثَّنَاءِ فَيَخْلُدُ
وَالْمَرْءُ يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ يَقْطَعُهَا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
وَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ الْعَوَايَةِ فَلْيَكُنْ ... لِلهِ ذَاكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وَمَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى ... رَزِيَّةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ ... وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ
وَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا ... وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى تَبُوعُ
وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا فَإِذَا ... عُدَّ أَهْلُ الْعَقْلِ قَلُّوا فِي الْعَدَدْ
وَكَمْ مِنْ فَتًى يُمْسِي وَيُصْبِحُ آمِنًا ... وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ ٱلْمَاءَ ٱلزُّلَالَا
وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جِنْسِهِ حَتَّى ٱلْحَدِيدُ سَطَا عَلَيْهِ ٱلْمِبْرَدُ
وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوءُهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدَا
يَزِيدُ تَفَضُّلًا وَأَزِيدُ شُكْرًا وَذٰلِكَ دَأْبُهُ أَبَدًا وَدَأْبِي
وَيُطْلَبُ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ فِعْلِهِ فَفِعْلُهُ عَنْ أَصْلِهِ يُخْبِرُ

الباب الخامس
في الأمثال عن ألسنة الحيوانات

الثعلب والديك

١١٧ حُكِيَ أَنَّ ٱلثَّعْلَبَ مَرَّ فِي ٱلسَّحَرِ بِشَجَرَةٍ فَرَأَى فَوْقَهَا دِيكًا. فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَنْزِلُ نُصَلِّي جَمَاعَةً. فَقَالَ: إِنَّ ٱلْإِمَامَ نَائِمٌ خَلْفَ ٱلشَّجَرَةِ فَأَيْقِظْهُ. فَنَظَرَ ٱلثَّعْلَبُ فَرَأَى ٱلْكَلْبَ وَوَلَّى هَارِبًا. فَنَادَاهُ ٱلدِّيكُ مَا تَأْتِي لِنُصَلِّيَ. فَقَالَ: قَدِ ٱنْتَقَضَ وُضُوئِي فَٱصْبِرْ حَتَّى أُجَدِّدَ لِي وُضُوءًا وَأَرْجِعَ

الأسد والثعلب والذئب النمام

١١٨ ذَكَرَ ٱبْنُ ٱلْجَوْزِيِّ فِي آخِرِ كِتَابِ ٱلْأَذْكِيَاءِ. قَالَ: مَرِضَ ٱلْأَسَدُ فَعَادَتْهُ ٱلسِّبَاعُ وَٱلْوُحُوشُ مَا خَلَا ٱلثَّعْلَبَ فَنَمَّ عَلَيْهِ ٱلذِّئْبُ. فَقَالَ ٱلْأَسَدُ: إِذَا حَضَرَ فَأَعْلِمْنِي. فَلَمَّا حَضَرَ ٱلثَّعْلَبُ أَعْلَمَهُ ٱلذِّئْبُ

بذلك. وكان قد أخبر بما قاله الذئب. فقال الأسد: أين كنت يا أبا الفوارس. فقال: كنت أطلب لك الدواء. قال: وأي شيء أصبت. قال: قيل لي: خرزة في عرقوب أبي جعدة. قال: فضرب الأسد بيده في ساق الذئب فأدماه. ولم يجد شيئاً. وخرج دمه يسيل على رجله. وأنسل الثعلب. فمر به الذئب فناداه: يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك. فإن المجالس بالأمانات

رجل وقبرة

وهو مثل من يكون وابصة سمع ينخدع لكل شيء

١١٩ رجل صاد قبرة. فقالت له: ما تريد أن تصنع بي. قال: أذبحك وآكلك. قالت: والله إني لا أسمن ولا أغني من جوع. ولا أشفي من قرم. ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي: أما الواحدة فأعلمك إياها وأنا على يدك. والثانية إذا صرت على الشجرة. والثالثة إذا صرت على الجبل. قال: نعم. فقالت وهي على يده: لا تأسفن على ما فاتك. فخلى عنها. فلما صارت على الشجرة قالت له: لا تصدق بما لا يكون. فلما صارت على الجبل قالت: يا شقي لو ذبحتني لوجدت في حوصلتي درة وزنها عشرون مثقالاً. (قال) فعض على شفتيه وتلهف ثم قال: هاتي الثالثة. قالت: قد نسيت الثنتين الأوليين فكيف أعلمك الثالثة.

قالَ : وَكَيْفَ ذٰلِكَ . قالَتْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . وَقَدْ تَأَسَّفْتَ عَلَيَّ وَأَنَا فُتُّكَ . وَقُلْتُ لَكَ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ وَقَدْ صَدَّقْتَ . فَإِنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ عِظَامِي وَلَحْمِي وَرِيشِي لَمْ تَبْلُغْ عِشْرِينَ مِثْقَالًا . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةٌ وَزْنُهَا كَذٰلِكَ (للشريشي)

الكلب والطبل

١٢٠ حُكِيَ أَنَّ كَلْبًا كَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ طَبْلٍ فِي مَكَانٍ ذَهَبَ إِلَيْهِ يَظُنُّ أَنَّ فِيهِ عُرْسًا أَوْ وَلِيمَةً . فَعَمِلَ النَّاسُ حِيلَةً عَلَى ذٰلِكَ الْكَلْبِ وَتَوَاطَؤُوا بِأَنْ يَضْرِبُوا الطَّبْلَ فِي قَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا أَتَى الْكَلْبُ إِلَى مَضْرِبِ الطَّبْلِ يُسْكِتُ وَيُضْرَبُ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى . فَفَعَلُوا ذٰلِكَ . فَجَعَلَ الْكَلْبُ يَجْرِي بَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا جَاءَ قَرْيَةً مِنْهُمَا أَسْكَتُوا الطَّبْلَ وَضُرِبَ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى . وَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ حَتَّى مَاتَ الْكَلْبُ جَائِعًا عَطْشَانًا (أنيس الجليس للسيوطي)

الصياد والصدفة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأُمُورِ

١٢١ حُكِيَ أَنَّ صَيَّادًا كَانَ فِي بَعْضِ الْخُلْجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي زَوْرَقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي عَمِيقِ الْمَاءِ صَدَفَةً تَتَلَأْلَأُ حُسْنًا . فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي الْبَحْرِ فَاشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ فَخَلَّاهَا وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَفَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ

لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا . وَرَأَى أَيْضًا صَدَفَةً سَنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . فَٱجْتَازَ بِهَا بَعْضُ ٱلصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا (كليلة ودمنة)

العُصفور والفخ

١٢٢ حُكِيَ أَنَّ عُصْفُورًا مَرَّ بِفَخٍّ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَبَاعِدًا عَنِ ٱلطَّرِيقِ . فَقَالَ ٱلْفَخُّ : أَرَدْتُ ٱلْعُزْلَةَ عَنِ ٱلنَّاسِ لِأَمْنَ مِنْهُمْ وَيَأْمَنُوا مِنِّي . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ مُقِيمًا فِي ٱلتُّرَابِ . فَقَالَ : تَوَاضُعًا . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ نَاحِلَ ٱلْجِسْمِ . فَقَالَ : نَهَكَتْنِي ٱلْعِبَادَةُ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا هٰذَا ٱلْحَبْلُ ٱلَّذِي عَلَى عَاتِقِكَ . قَالَ : هُوَ مَلْبَسُ ٱلنُّسَّاكِ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا هٰذِهِ ٱلْعَصَا . قَالَ : أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا هٰذَا ٱلْقَمْحُ ٱلَّذِي عِنْدَكَ . قَالَ : هُوَ فَضْلُ قُوتِي أَعْدَدْتُهُ لِفَقِيرٍ جَائِعٍ أَوِ ٱبْنِ سَبِيلٍ مُنْقَطِعٍ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : إِنِّي ٱبْنُ سَبِيلٍ وَجَائِعٌ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُطْعِمَنِي . قَالَ : نَعَمْ دُونَكَ . فَلَمَّا أَلْقَى مِنْقَارَهُ أَمْسَكَ ٱلْفَخُّ بِعُنُقِهِ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : بِئْسَ مَا ٱخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ مِنَ ٱلْغَدْرِ وَٱلْخَدِيعَةِ . وَٱلْأَخْلَاقِ ٱلشَّنِيعَةِ . وَلَمْ يَشْعُرِ ٱلْعُصْفُورُ إِلَّا وَصَاحِبُ ٱلْفَخِّ قَدْ قَبَضَ عَلَيْهِ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ فِي نَفْسِهِ : بِحَقٍّ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : مَنْ تَهَوَّرَ نَدِمَ . وَمَنْ حَذِرَ سَلِمَ . وَكَيْفَ لِي بِٱلْخَلَاصِ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِ (للشبراوي)

الغراب والسنور والنمر

١٢٣ إنَّ غُرَابًا وَسِنَّوْرًا كَانَا مُتَآخِيَيْنِ . فَبَيْنَمَا هُمَا تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذْ رَأَيَا نَمِرًا مُقْبِلًا عَلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَا تَحْتَهَا . وَلَمْ يَعْلَمَا بِهِ حَتَّى صَارَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ . فَطَارَ الْغُرَابُ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ وَبَقِيَ السِّنَّوْرُ مُتَحَيِّرًا . فَقَالَ لِلْغُرَابِ : يَا خَلِيلِي هَلْ عِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي خَلَاصِي كَمَا هُوَ الرَّجَاءُ فِيكَ . فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : إِنَّمَا تُلْتَمَسُ الْإِخْوَانُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ فِي الْحِيلَةِ عِنْدَ نُزُولِ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

إِنَّ صَدِيقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكْ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكْ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكْ

وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ رُعَاةٌ مَعَهُمْ كِلَابٌ . فَذَهَبَ الْغُرَابُ حَتَّى ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ الْأَرْضِ وَنَعَقَ وَصَاحَ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ بَعْضِ الْكِلَابِ . وَارْتَفَعَ قَلِيلًا وَتَبِعَتْهُ الْكِلَابُ . وَصَارَتْ فِي أَثَرِهِ فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ فَرَأَى طَائِرًا يَطِيرُ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ وَيَقَعُ فَتَبِعَهُ . وَصَارَ الْغُرَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِقَدْرِ النَّجَاةِ وَالْخَلَاصِ مِنَ الْكِلَابِ . وَيُطْمِعُهَا فِي أَنْ تَفْتَرِسَهُ . ثُمَّ ارْتَفَعَ قَلِيلًا . وَتَبِعَهُ الْكِلَابُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْتَهَا النَّمِرُ . فَلَمَّا رَأَتِ الْكِلَابُ النَّمِرَ وَثَبَتْ عَلَيْهِ فَوَلَّى هَارِبًا . وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْقِطَّ فَنَجَا مِنْهُ ذَلِكَ الْقِطُّ بِحِيلَةِ صَاحِبِهِ الْغُرَابِ (الف ليلة وليلة)

العابد والدرّتان

١٢٤ حكي أنّه كان في بني إسرائيل عابدٌ ضاقت عليه معيشته. فخرج إلى الصحراء يعبد الله ويسأله أن يعطيه شيئًا. فنودي ذات يوم: أيها العابد مُدّ يدك وخُذ. فمدّ يده فوضع عليها درّتان كأنهما كوكبان ضياء. فجاء بهما إلى منزله وقال لامرأته: قد أمِنّا من الفقر. ثم إنه رأى ذات ليلة في منامه أنه في الجنة فرأى فيها قصرًا. فقيل له: هذا قصرك. فرأى فيه أريكتين متقابلتين إحداهما من الذهب الأحمر والأخرى من الفضة. وسقفهما من اللؤلؤ وقيل له: إحداهما مقعدك والأخرى مقعد امرأتك. فنظر إلى سقفهما فإذا فيه موضع خالٍ مقدار درّتين. فقال: ما بال هذا الموضع خاليًا. فقيل: لم يكن خاليًا وإنما أنت تعجلت في الدنيا الدرّتين وهذا موضعهما. فانتبه من منامه باكيًا وأخبر امرأته بذلك. فقالت له زوجته: أن ادعُ الله واسأله حتى يردّهما إلى مكانهما. فخرج إلى الصحراء وهما في كفه وصار يدعو الله ويتضرّع إليه أن يردّهما. ولم يزل كذلك حتى أخذتا من كفه ونودي أن: رددناهما إلى مكانهما (للقليوبي)

بطتان وسلحفاة

١٢٥ قيل: كان في الزمان الأول غديرٌ عظيمٌ وقد سكنت فيه بطتان وسلحفاة. ووقعت الألفة بينهم. واستأنس بعضهم ببعض

فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ الْمَاءُ فَيَبِسَ الْغَدِيرُ. فَجَاءَتِ الْبَطَّتَانِ لِوَدَاعِ السُّلَحْفَاةِ وَقَالَتَا: أَعْلِمِي أَيَّتُهَا الصَّدِيقَةُ الْمُشْفِقَةُ أَنَّ حَالَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ آخِرُهَا الْفُرْقَةُ وَالْقَطِيعَةُ. وَقَدْ يَبِسَ مَاءُ الْغَدِيرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْمَخْلُوقَاتِ وَقَدْ آنَ الرَّحِيلُ وَوَقَعَ الشَّتَاتُ بَيْنَنَا. فَلَمْ نَجِدْ إِلَّا الِانْتِقَالَ إِلَى غَدِيرٍ آخَرَ. فَلَمَّا سَمِعَتِ السُّلَحْفَاةُ هٰذَا الْكَلَامَ بَكَتْ وَنَادَتْ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ وَقَالَتْ: أَيَّتُهَا الصَّدِيقَتَانِ الْمُشْفِقَتَانِ فَمَا حِيلَتِي أَنْ أَذْهَبَ مَعَكُمَا، وَمَا سَبَبُ أَنْ أَكُونَ مَعَكُمَا. قَالَتِ الْبَطَّتَانِ: نَأْخُذُكِ مَعَنَا وَلٰكِنَّنَا نَخَافُ أَنْ تَتَكَلَّمِي لِأَنَّكِ لَمْ تَمْلِكِي لِسَانَكِ. قَالَتِ السُّلَحْفَاةُ: الْآنَ عَهِدْتُ أَنْ لَا أَنْطِقَ. فَقَالَتِ الْبَطَّتَانِ: إِذَا رَأَى الْخَلْقُ أَنَّنَا حَمَلْنَاكِ وَطِرْنَا بِكِ وَتَعَجَّبَ كُلُّهُمْ عَلَى طَيَرَانِنَا بِكِ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَعَلَيْكِ أَنْ تَصْبِرِي وَلَا تَتَكَلَّمِي بِشَيْءٍ. وَلَا تَنْسَيْ قَوْلَ الْفُضَلَاءِ: إِنَّهُ مَنْ صَمَتَ نَجَا. وَقَوْلَهُمْ: الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ. وَإِنْ لَمْ تَصْبِرِي وَتَكَلَّمْتِ بِشَيْءٍ فَلَا تَلُومِنَّ إِلَّا نَفْسَكِ. وَيَكُونُ ذَنْبُكِ عَلَيْكِ. فَلَمَّا سَمِعَتِ السُّلَحْفَاةُ كَلَامَهُمَا قَالَتْ: لَا أَتَكَلَّمُ أَبَدًا بَلْ أَتَمَسَّكُ بِذِكْرِ اللهِ فَلَنْ أَكُونَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا. فَلَمَّا أَخَذَتِ الْبَطَّتَانِ عَهْدًا عَلَى السُّلَحْفَاةِ أَتَتَا بِقَضِيبٍ وَقَالَتَا لِلسُّلَحْفَاةِ: أَمْسِكِي وَسَطَ الْقَضِيبِ بِفَمِكِ وَضُمِّي شَفَتَيْكِ مُحْكَمًا. فَفَعَلَتِ السُّلَحْفَاةُ مَا قَالَتَا. ثُمَّ أَخَذَتِ الْبَطَّتَانِ بِطَرَفَيِ الْقَضِيبِ عَلَى عُنُقِهِمَا. ثُمَّ طَارَتَا فِي الْهَوَاءِ مَعَ السُّلَحْفَاةِ. فَرَأَى بَعْضُ النَّاسِ ذٰلِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَنَادَوْا: يَا عَجَبَاهُ. انْظُرُوا كَيْفَ

حَمَلَتِ ٱلْبَطَّانِ ٱلسُّلَحْفَاةَ. ثُمَّ إِنَّ ٱلسُّلَحْفَاةَ سَمِعَتْ كَلَامَ ٱلنَّاسِ. فَصَبَرَتْ سَاعَةً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى ٱلصَّبْرِ مِنْ كَثْرَةِ تَعَجُّبِ ٱلْخَلْقِ. فَأَجَابَتْهُمْ: لِمَ تَعْجَبُونَ مِنْ أَمْرِنَا أَفَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ حَمَلَتْنِي ٱلْبَطَّانِ. وَمَا كَانَ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمَتْ إِلَّا أَنْ وَقَعَتْ عَلَى ٱلْحَضِيضِ فَهَلَكَتْ (للسيوطي)

اعمى ومقعد

١٢٦ (قَالُوا) إِنَّ أَعْمَى وَمُقْعَدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ بِفَقْرٍ وَضُرٍّ لَا قَائِدَ لِلْأَعْمَى وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعَدِ. وَكَانَ فِي ٱلْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ٱحْتِسَابًا قُوتَهُمَا مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ. فَلَمْ يَزَالَا فِي عَافِيَةٍ إِلَى أَنْ هَلَكَ ٱلْمُحْتَسِبُ. فَأَقَامَا بَعْدَهُ أَيَّامًا فَٱشْتَدَّ جُوعُهُمَا وَبَلَغَ ٱلضُّرُّ مِنْهُمَا جُهْدَهُ. فَأَجْمَعَا رَأْيَهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ ٱلْأَعْمَى ٱلْمُقْعَدَ. فَيَدُلُّهُ ٱلْمُقْعَدُ عَلَى ٱلطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ. وَيَسْتَقِلُّ ٱلْأَعْمَى بِحَمْلِ ٱلْمُقْعَدِ وَيَدُورَانِ فِي ٱلْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهَا. فَفَعَلَا فَنَجَحَ أَمْرُهُمَا. وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا هَاكَا (للطرطوشي)

الحمامتان

١٢٧ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَ عُشَّهُمَا مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ. فَقَالَ ٱلذَّكَرُ لِلْأُنْثَى: إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي ٱلصَّحَارِي مَا نَعِيشُ بِهِ فَلِمَ نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنَا شَيْئًا. فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلصَّحَارِي شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ. فَرَضِيَتِ ٱلْأُنْثَى بِذٰلِكَ وَقَالَتْ لَهُ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا. فَٱنْطَلَقَ

ٱلذَّكَرُ فَغَابَ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلصَّيْفُ يَبِسَ ٱلْحَبُّ وَضَمُرَ . فَلَمَّا رَجَعَ ٱلذَّكَرُ رَأَى ٱلْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ : أَمَا كُنَّا أَجْمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى أَنْ لَا نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلِمَ أَكَلْتِهِ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتِ ٱلْأَمْطَارُ وَدَخَلَ ٱلشِّتَاءُ تَنَدَّى ٱلْحَبُّ وَٱمْتَلَأَ ٱلْعُشُّ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى ٱلذَّكَرُ ذٰلِكَ تَنَدَّمَ . ثُمَّ ٱضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ : مَا يَنْفَعُنِي ٱلْحَبُّ وَٱلْعَيْشُ بَعْدَكِ . إِذْ طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ . فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا (كليلة ودمنة)

العابد والكلب

١٢٨ إِنَّهُ كَانَ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْعُبَّادِ مُنْزَوِيًا عَنِ ٱلنَّاسِ فِي غَارٍ فِي ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ . وَكَانَ يَصُومُ ٱلنَّهَارَ وَيَأْتِيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ رَغِيفٌ يُفْطِرُ عَلَى نِصْفِهِ وَيَتَسَحَّرُ بِٱلنِّصْفِ ٱلْآخَرِ . وَكَانَ عَلَى ذٰلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً لَا يَنْزِلُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ أَصْلًا . فَٱتَّفَقَ أَنِ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ ٱلرَّغِيفُ لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي فَٱشْتَدَّ جُوعُهُ وَقَلَّ هُجُوعُهُ . فَصَلَّى ٱلْعِشَاءَيْنِ وَبَاتَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ فِي ٱنْتِظَارِ شَيْءٍ يَدْفَعُ بِهِ ٱلْجُوعَ فَلَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ شَيْءٌ . وَكَانَ فِي أَسْفَلِ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ قَرْيَةٌ سُكَّانُهَا نَصَارَى . فَعِنْدَمَا أَصْبَحَ ٱلْعَابِدُ نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَٱسْتَطْعَمَ شَيْخًا مِنْهُمْ فَأَعْطَاهُ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ فَأَخَذَهُمَا

وتوجه إلى الجبل. وكان في دار ذلك الشيخ النصراني كلب جرب مهزول فلحق العابد ونبح عليه وتعلق بأذياله. فألقى إليه العابد رغيفا من ذينك الرغيفين ليشتغل به عنه. فأكل الكلب ذلك الرغيف. ولحق العابد مرة أخرى وأخذ في النباح والهرير. فألقى إليه العابد الرغيف الآخر فأكله. ولحقه تارة أخرى واشتد هريره وتشبث بذيل العابد ومزقه. فقال العابد: سبحان الله إني لم أر كلبا أقل حياء منك. إن صاحبك لم يعطني إلا رغيفين وقد أخذتهما مني. ماذا تطلب بهريرك وتمزيق ثيابي. فأنطق الله تعالى ذلك الكلب فقال: لست أنا قليل الحياء. إعلم أني ربيت في دار ذلك النصراني أحرس غنمه وأحفظ داره. وأقنع بما يدفعه لي من عظام أو خبز. وربما نسيني فأبقى أياما لا آكل شيئا. بل ربما يمضي علينا أيام لا يجد هو لنفسه شيئا ولا لي. ومع ذلك لم أفارق داره منذ عرفت نفسي ولا توجهت إلى باب غيره. بل كان دأبي أنه إن حصل شيء شكرت وإلا صبرت. وأما أنت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر ولا كان منك تحمل حتى توجهت من باب رازق العباد إلى باب إنسان. فأينا أقل حياء أنا أم أنت. فلما سمع العابد ذلك ضرب بيده على رأسه وخر مغشيا عليه

(لبهاء الدين)

تاجر ومستودع عنده

وهو مثل من أخذ بثأره بمثل ما ثئر به

١٢٩ زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر . وأنه أراد الخروج يوماً إلى بعض الوجوه ابتغاء الرزق . وكان عنده مئة من حديداً . فأودعها رجلاً من إخوانه وذهب في وجهه . ثم قدم بعد ذلك بمدة . فجاء والتمس الحديد . فقال له صاحبه : قد أكلته الجرذان . فقال : قد سمعت أنه لاشيء أقطع من أنيابها للحديد . ففرح الرجل بتصديقه ما قال وادّعى . ثم إن التاجر خرج فلقي ولداً للرجل . فأخذه وذهب به إلى منزله . فجاء الرجل من الغد . فقال : هل عندك علم بابني . قال : لما خرجت من عندك بالأمس رأيت بازياً قد اختطف صبياً . فلعله ابنك . فلطم الرجل على رأسه وقال يا قوم : هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان . فقال : نعم إن أرضاً تأكل جرذانها مئة من حديد ليس بعجب أن تختطف بزاتها الفيلة . قال الرجل : أكلت حديدك وهذا ثمنه . فاردد علي ابني

براعة وقرود

وهو مثل من لا يتعظ بكلام غيره فيغامر بنفسه فيعطب

١٣٠ زعموا أن جماعة من القردة كانوا سكاناً في جبل . فالتمسوا في ليلة باردة ذات رياح وأمطار ناراً فلم يجدوا . فرأوا يراعة تطير كأنها شرارة نار فظنوها ناراً . فجمعوا حطباً كثيراً وألقوه عليها .

وجعلوا ينفخون طمع أن يوقدوا نارًا يصطلون بها . وكان قريبًا منهم طائر على شجرة ينظرون إليه وينظر إليهم وقد رأى ما صنعوا . فجعل ينادي عليهم ويقول : لا تتعبوا . فإن الذي رأيتموه ليس بنار فلما طال ذلك عليه . عزم على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه . فمر به رجل فعرف ما عمد إليه . فقال له : لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم . فإن الحجر الصلب الذي لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف . والعود الذي لا يتخنى لا يعمل منه القوس . فلا تتعب . فأبى الطائر أن يطيعه . وتقدم إلى الفردة ليعرفهم أن اليراعة ليست بنار . وإذا بأحدهم تناوله وضرب به الأرض فمات

شريكان

وهو مثل من التمس صلاح نفسه بفساد غيره

١٣١ زعموا أنه كان لتاجر شريك . فاستأجرا حانوتًا وجعلا متاعهما فيه . وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت . فأضمر في نفسه أن يسرق عدلًا من أعدال رفيقه . وفكر في الحيلة لذلك وقال : إن أتيت ليلًا لم آمن أن أحمل أحد أعدالي أو إحدى رزمي وأنا لا أعرفها . فيذهب عناءي وتعبي باطلًا . فأخذ رداءه وألقاه على ما أضمر أخذه من أعدال شريكه وانصرف إلى منزله . وجاء رفيقه بعد ذلك ليصلح الأعدال فوجد رداء شريكه على بعض أعداله . فقال : هذا رداء صاحبي ولا أحسبه إلا قد نسيه . وما الرأي أن أدعه ههنا .

وَلٰكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزْمِهِ فَلَعَلَّهُ يَسْبِقُنِي إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَيَجِدَهُ حَيْثُ يُحِبُّ. ثُمَّ أَخَذَ ٱلرِّدَاءَ وَأَلْقَاهُ عَلَى أَحَدِ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَقْفَلَ ٱلْحَانُوتَ وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ. فَلَمَّا هَجَمَ ٱللَّيْلُ أَتَى رَفِيقُهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَأَهُ عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ. وَضَمِنَ لَهُ جُعْلًا عَلَى حَمْلِهِ. فَصَارَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ وَٱلْتَمَسَ ٱلرِّدَاءَ فِي ٱلظُّلْمَةِ. حَتَّى إِذَا حَسَّ بِهِ ٱحْتَمَلَ ٱلْعِدْلَ ٱلَّذِي تَحْتَهُ وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَٱلرَّجُلُ. وَجَعَلَا يَتَرَاوَحَانِ عَلَى حَمْلِهِ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَهُوَ يَنْحَطُّ تَعَبًا فَرَزَحَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱفْتَقَدَهُ وَإِذَا بِهِ بَعْضُ مَتَاعِهِ. فَنَدِمَ أَشَدَّ ٱلنَّدَمِ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ وَفَقَدَ ٱلْعِدْلَ وَجَلَسَ مُغْتَمًّا يَقُولُ: سُوءَ تَامِنِ رَفِيقٍ صَالِحٍ قَدِ ٱئْتَمَنَنِي عَلَى مَالِهِ وَخَلَّفَنِي فِيهِ. مَاذَا تَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي تُهْمَتِهِ إِيَّايَ. وَلٰكِنْ قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْخَائِنُ: يَا أَخِي لَا تَغْتَمَّ. فَإِنَّ ٱلْخِيَانَةَ شَرُّ مَا عَمِلَ ٱلْإِنْسَانُ وَٱلْمَكْرَ وَٱلْخَدِيعَةَ لَا يُؤَدِّيَانِ إِلَى خَيْرٍ. وَصَاحِبُهُمَا مَغْرُورٌ أَبَدًا. وَمَا عَادَ وَبَالُ ٱلْبَغْيِ إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ. وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ. فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ. فَأَضْرَبَ ٱلرَّجُلُ عَنْ تَوْبِيخِهِ وَقَبِلَ مَعْذِرَتَهُ. وَنَدِمَ هُوَ غَايَةَ ٱلنَّدَامَةِ

رجلٌ وابن عرس

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَهْجُمُ عَلَى أَعْمَالِهِ بِٱلْعَجَلَةِ

١٣٢ زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ غُلَامٌ. وَٱتَّفَقَ يَوْمًا أَنَّ ٱمْرَأَتَهُ قَالَتْ

لَهُ : اُقْعُدْ عِنْدَ ابْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ وَأَسْرِعَ الْعَوْدَةَ. ثُمَّ انْطَلَقَتْ وَخَلَّفَتْ زَوْجَهَا وَالْغُلَامَ. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ. وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ ابْنِ عِرْسٍ. وَكَانَ دَاجِنًا عِنْدَهُ وَقَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا. فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلُ وَلَدِهِ. فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ عِنْدَ الصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ. فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ الْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ. فَدَنَتْ مِنَ الْغُلَامِ فَضَرَبَهَا ابْنُ عِرْسٍ فَقَتَلَهَا. ثُمَّ قَطَّعَهَا وَامْتَلَأَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا. ثُمَّ جَاءَ الرَّجُلُ وَفَتَحَ الْبَابَ. فَاسْتَقْبَلَهُ ابْنُ عِرْسٍ كَالْمُشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ. فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثًا بِالدَّمِ طَارَ عَقْلُهُ. وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ. وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوَّ فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ مَا جَرَى. وَلَكِنْ عَجَّلَ عَلَى ابْنِ عِرْسٍ الْمِسْكِينِ بِضَرْبَةٍ عُكَّازٍ كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَوَقَعَ مَيِّتًا. ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ رَأَى الْغُلَامَ سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ. فَفَهِمَ الْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي الْعَجَلَةِ. فَلَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هٰذَا الْوَلَدَ. وَلَمْ أَغْدُرْ هٰذَا الْغَدْرَ. ثُمَّ دَخَلَتْ زَوْجَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. فَقَالَتْ لَهُ : مَا شَأْنُكَ. فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَحُسْنَ فِعْلِ ابْنِ عِرْسٍ وَسُوءَ مُكَافَأَتِهِ لَهُ. فَقَالَتْ : هٰذَا ثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ

قِيلَةُ وَأَرْنَبٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ صَرَفَ الْأَذَى عَنْ قَوْمِهِ بِحِيلَتِهِ

١٣٣ زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرَاضِي الْقِيلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا السِّنُونَ

وأجدبت. وقلّ ماؤها وغارت عيونها. وذوى نباتها ويبس شجرها. فأصاب الفيلة عطش شديد. فشكون ذلك إلى ملكهن فأرسل الملك رسله ورواده في طلب الماء في كل ناحية. فرجع إليه بعض الرسل فأخبره قائلا: قد وجدت بمكان كذا عينا يقال لها عين القمر كثيرة الماء فتوجه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته. وكانت العين في أرض للأرانب فوطئتهن وهن في أجحارهن فهلك منهن كثير. فاجتمعن إلى ملكهن فقلن له: قد علمت ما أصابنا من الفيلة. فقال: ليحضر كل ذي رأي رأيه. فتقدمت واحدة من الأرانب يقال لها فيروز. وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب. فقالت: إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويرسل معي أمينا ليرى ويسمع ما أقول ويرفعه إلى الملك. فقال لها الملك: أنت أمينة ونرضى بقولك. فانطلقي إلى الفيلة وبلغي عنا ما تريدين. واعلمي أن الرسول برأيه وعقله ولبه وفضله يخبر عن عقل المرسل. فعليك باللين والمواتاة. فإن الرسول هو الذي يبين الصدور إذا رفق. ويخشن الصدور إذا خرق. ثم إن الأرنب انطلقت في ليلة قمراء حتى انتهت إلى الفيلة. وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن. فيقتلنها وإن كن غير متعمدات. ثم أشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له: إن القمر أرسلني إليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة: فما الرسالة.

قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ . إِنَّـهُ مَنْ عَرَفَ قُوَّتَهُ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ فَأَغْتَرَّ لِذٰلِكَ بِٱلْأَقْوِيَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى ٱلدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذٰلِكَ . فَعَمَدْتَ إِلَى ٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي تُسَمَّى بِٱسْمِي فَوَرَدْتَهَا وَكَدَّرْتَهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأُنْذِرَكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ . وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ يُغْشِي بَصَرَكَ وَيُتْلِفُ نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي . فَهَلُمَّ إِلَى ٱلْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنَّهُ مُوَافِيكَ إِلَيْهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ مِنْ قَوْلِ ٱلْأَرْنَبِ فَٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ ٱلرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ ٱلْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ ٱلرَّسُولُ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ ٱلْمَاءِ فَٱغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ وَٱسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ ٱلْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي ٱلْمَاءِ فَتَحَرَّكَ . فَخُيِّلَ لَهُ أَنَّ ٱلْقَمَرَ ٱرْتَعَدَ . فَقَالَ : مَا شَأْنُ ٱلْقَمَرِ ٱرْتَعَدَ . أَتُرَاهُ غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي جَحْفَلَتِي فِي ٱلْمَاءِ . قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ ٱلْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى . وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ ٱلْفِيَلَةِ

أرنب واسد

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ دَفَعَ ٱلْمَكْرُوهَ بِرَأْيِهِ وَأَحْسَنِ تَدْبِيرِهِ وَحِيلَتِهِ

١٣٤ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ أَرِيضَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْعُشْبِ . وَكَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْوُحُوشِ فِي سَعَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْمَرْعَى كَثِيرٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذٰلِكَ لِخَوْفِهَا مِنْ أَسَدٍ كَانَ مُسْتَبِدًّا بِٱلْأَمْرِ فِيهَا . فَٱجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ تُصِيبُ مِنَّا ٱلدَّابَّةَ بَعْدَ ٱلْجُهْدِ وَٱلتَّعَبِ . وَقَدْ رَأَيْنَا

لَكَ رَأْيًا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا . فَإِنْ أَنْتَ أَمَّنْتَنَا وَلَمْ تُخِفْنَا فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نَبْعَثُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ . فَرَضِيَ الْأَسَدُ بِذَلِكَ وَصَالَحَ الْوُحُوشَ عَلَيْهِ . وَوَفَيْنَ بِهَا لَهُ إِلَى أَنْ أَصَابَتِ الْقُرْعَةُ أَرْنَبًا . فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ : إِنْ أَنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكُنَّ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ الْأَسَدِ . فَقُلْنَ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَنَا مِنَ الْأُمُورِ . قَالَتْ : تَأْمُرْنَ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يُمْهِلَنِي رَيْثَمَا أُبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ . فَقُلْنَ لَهَا : ذَلِكَ لَكِ . فَانْطَلَقَتِ الْأَرْنَبُ مُتَبَاطِئَةً حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهِ الْأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحْدَهَا رُوَيْدًا وَقَدْ جَاعَ وَغَضِبَ . فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ . قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ الْوُحُوشِ إِلَيْكَ بَعَثَتْنِي وَمَعِي أَرْنَبٌ لَكَ فَتَبِعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ الطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي غَصْبًا . وَقَالَ : أَنَا أَوْلَى بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ . فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا غَدَاءُ الْمَلِكِ أَرْسَلَتْ بِهِ الْوُحُوشُ مَعِي إِلَيْهِ فَلَا تَغْصِبْنِيهِ . فَسَبَّكَ وَشَتَمَكَ . فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً إِلَيْكَ لِأُخْبِرَكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَوَفِي زَمَنِي غَاصِبٌ انْطَلِقِي مَعِي فَأَرِينِي مَوْضِعَ هَذَا الْأَسَدِ . فَانْطَلَقَتْ إِلَى جُبٍّ فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ . فَأَطْلَعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ : هَذَا الْمَكَانُ . فَتَطَلَّعَ الْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الْأَرْنَبِ فِي الْمَاءِ فَلَمْ يَشُكَّ فِي قَوْلِهَا . ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ لِيُقَاتِلَهُ فَغَرِقَ فِي الْجُبِّ . فَانْقَلَبَتِ الْأَرْنَبُ إِلَى الْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا بِالْأَسَدِ (كليلة ودمنة)

الباب السادس
في الفضائل والنقائض

الصبر

١٣٥ قال بعض العلماء: الصبر عشرة أقسام: الصبر عن شهوة البطن يسمى قناعة وضده الشره. والصبر عن شهوة الجسد يسمى عفة وضده الشبق. والصبر على المعصية يسمى صبرا وضده الجزع. والصبر على الغناء يسمى ضبط النفس وضده البطر. والصبر عند القتال يسمى الشجاعة وضده الجبن. والصبر عند الغضب يسمى حلما وضده الحمق. والصبر عند النوائب يسمى سعة الصدر وضده الضجر. والصبر على حفظ السر يسمى الكتمان وضده الخرق. والصبر عن فضول المعيشة يسمى الزهد وضده الحرص. والصبر عند توقع الأمور يسمى التؤدة وضده الطيش (للقليوبي)

ومن أحسن ما جاء في باب الصبر قول بعضهم:

بنى الله للأخيار بيتا سماؤه ... هموم وأحزان وحيطانه الضر
وأدخلهم فيه وأغلق بابه ... وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

قال آخر:

إصبر قليلا وكن بالله معتصما ... ولا تعاجل فإن العجز بالعجل
الصبر مثل اسمه في كل نائبة ... لكن عواقبه أحلى من العسل

١٣٦ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلصَّبْرُ صَبْرَانِ . صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ . وَٱلثَّانِي أَشَدُّهُمَا عَلَى ٱلنَّفْسِ (لبهاء الدين)

مِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ :

إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي ٱلْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ ٱلْأَثَرِ
لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا يَدْخُلْكَ مَعْجِزَةٌ ... فَٱلنُّجْحُ يَهْلِكُ بَيْنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلضَّجَرِ

لِٱمْرَأَةٍ مِنَ ٱلْعَرَبِ :

أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ صَبْرًا ... إِنَّ بَعْدَ ٱلْعُسْرِ يُسْرَا
إِشْرَبِ ٱلصَّبْرَ وَإِنْ كَا ... نَ مِنَ ٱلصَّبْرِ أَمَرَّا

١٣٧ شَكَا رَجُلٌ إِلَى جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ أَذِيَّةَ جَارِهِ . فَقَالَ لَهُ : ٱصْبِرْ عَلَيْهِ . قَالَ : يَنْسُبُنِي إِلَى ٱلذُّلِّ . قَالَ : إِنَّمَا ٱلذَّلِيلُ مَنْ ظَلَمَ (للمستعصمي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِصْبِرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ ٱلْعُسْرِ تَيْسِيرُ ... وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتٌ وَتَدْبِيرُ
وَلِلْمُهَيْمِنِ فِي حَالَاتِنَا نَظَرٌ ... وَفَوْقَ تَدْبِيرِنَا لِلّٰهِ تَدْبِيرُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أَتَاكَ ٱلدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ ... فَأَفْرِغْ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرَا
فَإِنَّ تَصَارِيفَ ٱلزَّمَانِ عَجِيبَةٌ ... فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرَا

قَالَ آخَرُ :

وَكَمْ غُمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غُمْرَةٍ ... تَلَقَّيْتُهَا بِٱلصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتِ

وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ

١٣٨ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ يُزْوِي اللهُ الدُّنْيَا عَمَّنْ يُحِبُّ وَيُمِرُّهَا عَلَيْهِمْ تَارَةً بِالْجُوعِ وَمَرَّةً بِالْحَاجَةِ. كَمَا تَصْنَعُ الْأُمُّ الشَّفِيقَةُ بِوَلَدِهَا تَفْطِمُهُ بِالصَّبْرِ مَرَّةً وَبِالْحُضْضِ أُخْرَى وَإِنَّمَا تُرِيدُ صَلَاحَهُ (لبهاء الدين)

أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

وَإِذَا بُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَالْبَسْ لَهَا صَبْرَ الْكَرِيمِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْزَمُ
لَا تَشْكُوَنَّ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَقَالَ آخَرُ:

وَاصْبِرْ إِذَا مَا شِئْتَ إِكْلِيلَ الْهَنَا فَبِغَيْرِ حُسْنِ الصَّبْرِ لَنْ تَتَكَلَّلَا
فَإِذَا كَرِهْتَ الصَّبْرَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا حَقًّا كَرِهْتَ بِأَنْ تَكُونَ مُكَلَّلَا

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْمَلَهُ عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْجَاهُ مِنَ الْجَزَعِ
مَنْ شَدَّ بِالصَّبْرِ كَفًّا عِنْدَ مُؤْلِمَةٍ أَلْوَتْ يَدَاهُ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ

قَالَ آخَرُ.

أَمَا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ وَمَنْ لَيْسَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ لَهُ كُفْوُ
لَئِنْ كَانَ بَدْءُ الصَّبْرِ مُرًّا مَذَاقُهُ لَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ بَعْدِهِ الثَّمَرُ الْحُلْوُ

قَالَ مُحَمَّدُ الْأَبِيوَرْدِيُّ:

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّنِي أَعِزُّ وَأَهْوَالُ الزَّمَانِ تَهُونُ

وَظَلَّ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ اعْتِدَاؤُهُ وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

١٣٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: اعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ. إِذَا فَارَقَ الرَّأْسُ الْجَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ. وَإِذَا فَارَقَ الصَّبْرُ الْأُمُورَ فَسَدَتِ الْأُمُورُ. وَلِلَّهِ مَنْ قَالَ:

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُحْمَدُ مِنْهُ الصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ
فَمَنْ قَلَّ فِيمَا يَلْتَقِيهِ اصْطِبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِيمَا يَلْتَقِيهِ نَصِيبُهُ

قَالَ الشَّبْرَاوِيُّ:

وَإِذَا مَسَّكَ الزَّمَانُ بِضُرٍّ عَظُمَتْ دُونَهُ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ
وَأَتَتْ بَعْدَهُ نَوَائِبُ أُخْرَى سَئِمَتْ نَفْسَكَ الْحَيَاةَ وَمَلَّتْ
فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ الْأَمَانِي فَالرَّزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ

قَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ:

أَلدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ لَكِنَّهُ يُقْبِلُ أَوْ يُدْبِرُ
فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ فَاصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ

١٤٠ (مِنْ كِتَابِ أَنِيسِ الْعُقَلَاءِ). إِعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ. وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ. وَالْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ. قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: بِمِفْتَاحِ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ تُعَالَجُ مَغَالِيقُ الْأُمُورِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عِنْدَ انْسِدَادِ الْفَرَجِ. تَبْدُو مَطَالِعُ الْفَرَجِ (لبهاء الدين)

وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

أَلصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرْجَى وَكُلُّ صَعْبٍ بِهِ يَهُونُ

فَاصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ اللَّيَالِي ... فَرُبَّمَا أَمْكَنَ الْحَرُونُ
وَرُبَّمَا نِيلَ بِاصْطِبَارٍ ... مَا قِيلَ هَيْهَاتِ لَا يَكُونُ

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

تَحَمَّلْ أَخَاكَ عَلَى مَا بِهِ ... فَمَا فِي اسْتِقَامَتِهِ مَطْمَعُ
وَأَنَّى لَهُ خُلُقٌ وَاحِدٌ ... وَفِيهِ طَبَائِعُهُ الْأَرْبَعُ

قَالَ غَيْرُهُ :

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ ... وَطِبْ نَفْسًا إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي ... فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ ... فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ

قَالَ آخَرُ :

إِدْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الْأَيَّامِ ... وَتَرَجَّ لُطْفَ الْوَاحِدِ الْعَلَّامِ
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ تَضَايَقَ كَرْبُهَا ... وَرَمَاكَ رَيْبُ صُرُوفِهَا بِسِهَامِ
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ ... تَخْفَى عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَوْهَامِ
كَمْ مِنْ نَجِيٍّ بَيْنَ أَطْرَافِ الْقَنَا ... وَفَرِيسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ الضِّرْغَامِ

الحلم

١٤١ قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ : مَا الْحِلْمُ . قَالَ : أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ . وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ . وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : حِلْمُكَ عَلَى السَّفِيهِ يُكْثِرُ أَنْصَارَكَ عَلَيْهِ . (قَالُوا) لَا يَظْهَرُ الْحِلْمُ إِلَّا مَعَ الِانْتِصَارِ . كَمَا لَا يَظْهَرُ الْعَفْوُ إِلَّا مَعَ الِاقْتِدَارِ . (وَقَالُوا) مَا قُرِنَ

شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ أَزْيَنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ . وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنْ رَبِّي أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي . أَوْ جَهْلٌ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِي . أَوْ عَوْرَةٌ لَا أُوَارِيهَا بِسِتْرِي . وَقَالَ الْمُوَدِّقُ الْعِجْلِيُّ : مَا تَكَلَّمْتُ فِي الْغَضَبِ بِكَلِمَةٍ نَدِمْتُ عَلَيْهَا فِي الرِّضَا

(لابن عبد ربّه)

قَالَ النَّوَاجِيُّ :

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ وَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبَا
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيبَا

١٤٢ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : يُدْرَكُ بِالرِّفْقِ مَا لَا يُدْرَكُ بِالْعُنْفِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَاءَ عَلَى لِينِهِ يَقْطَعُ الْحَجَرَ عَلَى شِدَّتِهِ . وَقَالَ أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ لِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى : مَا كَادَ يُدْرَكُ بِالرِّجَالِ وَلَا بِالْمَالِ مَا أُدْرِكْتَ بِالرِّفْقِ . وَقَالَ النَّابِغَةُ .

أَلرِّفْقُ يُمْنٌ وَالْأَنَاةُ سَعَادَةٌ فَاسْتَأْنِ فِي رِفْقٍ تُلَاقِ نَجَاحَا

قَالَ الشَّعْبِيُّ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : إِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا أَوْقَعْتَ . وَأَخَذَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

فَدَاوَيْتُهُ بِالْحِلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ

(الثعالبي)

قِيلَ لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : تَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ وَأَنْتَ بَخِيلٌ جَبَانٌ . قَالَ : وَلِمَ لَا أَطْمَعُ فِيهَا وَأَنَا حَلِيمٌ عَفِيفٌ (لابي الفرج)

١٤٣ قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ :

تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنَّ حِفْظَ ٱلذَّمِّ نُوبٍ إِذَا قَدُمْنَ مِنَ ٱلذُّنُوبِ

(قِيلَ) ٱلِاعْتِرَافُ يَزُولُ بِهِ ٱلِاقْتِرَافُ . لَا عَتْبَ مَعَ إِقْرَارٍ . وَلَا ذَنْبَ مَعَ ٱسْتِغْفَارٍ . ٱلْمُعْتَرِفُ بِٱلْجَرِيرَةِ مُسْتَحِقٌّ لِلْمَغْفِرَةِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

إِذَا مَا ٱمْرُؤٌ مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِبًا إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ فَلَكَ ٱلذَّنْبُ

قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ لِصَدِيقٍ لَهُ أَنْكَرَ ذَنْبًا : إِمَّا أَنْ تُقِرَّ بِذَنْبِكَ فَيَكُونُ إِقْرَارُكَ حُجَّةً لَنَا فِي ٱلْعَفْوِ . وَإِلَّا فَطِبْ نَفْسًا بِٱلِٱنْتِصَارِ مِنْكَ

أَقِرَّ بِذَنْبِكَ ثُمَّ ٱطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ ٱلذَّنْبِ ذَنْبَانِ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصُّولِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا ٱلصَّدِيقُ أَرَادَ غَيْظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرَقٍ بِرِيقِ

غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِلَا صَدِيقِ

١٤٤ أُتِيَ ٱلْمَنْصُورُ بِرَجُلٍ أَذْنَبَ . فَقَالَ : إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ . فَإِنْ أَخَذْتَ فِي غَيْرِي بِٱلْعَدْلِ فَخُذْ فِيَّ بِٱلْإِحْسَانِ . فَعَفَا عَنْهُ . قَالَ أَبُو فِرَاسٍ :

إِنْ لَمْ تَجَافَ عَنِ ٱلذَّنْـ ـبِ وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَهْ

لَكِنَّ عَادَتَكَ ٱلْجَمِيـ ـلَةَ أَنْ تَغُضَّ عَلَى ٱلْجَرِيرَهْ

(للثعالبي)

دَخَلَ ٱبْنُ حُزَيْمٍ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ وَقَدْ عَتَبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ ٱلشَّامِ

وَأَرَادَ أَنْ يَغْزُوَهُمْ جَيْشًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ بِٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلْمُذْنِبِ وَٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلْمُسِيءِ . فَلَأَنْ يُطِيعَكَ ٱلْعَرَبُ طَاعَةَ مَحَبَّةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُطِيعَكَ طَاعَةَ خَوْفٍ (لابن عبد ربّه)

لَمَّا ظَفِرَ ٱلْمَأْمُونُ بِإِبْرَهِيمَ بْنِ ٱلْمَهْدِيِّ شَاوَرَ فِيهِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ ٱلْأَحْوَلَ ٱلْوَزِيرَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ نُظَرَاءُ . وَإِنْ عَفَوْتَ فَمَا لَكَ نَظِيرٌ (وفيات الاعيان لابن خلّكان)

العدل

١٤٥ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْعَدْلَ مِيزَانُ ٱللهِ تَعَالَى فِي ٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ وَٱلْمُحِقِّ مِنَ ٱلْمُبْطِلِ . وَٱعْلَمْ أَنَّ عَدْلَ ٱلْمَلِكِ يُوجِبُ مَحَبَّتَهُ وَجَوْرَهُ يُوجِبُ ٱلِٱفْتِرَاقَ عَنْهُ . قِيلَ : دَعْوَةُ ٱلْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى ٱلْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ . وَسَأَلَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ حُكَمَاءَ أَهْلِ بَابِلَ : أَيُّمَا أَبْلَغُ عِنْدَكُمْ ٱلشَّجَاعَةُ أَمِ ٱلْعَدْلُ . قَالُوا إِذَا ٱسْتَعْمَلْنَا ٱلْعَدْلَ ٱسْتَغْنَيْنَا بِهِ عَنِ ٱلشَّجَاعَةِ . وَيُقَالُ : عَدْلُ ٱلسُّلْطَانِ . أَنْفَعُ مِنْ خِصْبِ ٱلزَّمَانِ (للابشيهي)

١٤٦ إِنَّ ٱلسُّلْطَانَ إِذَا عَدَلَ ٱنْتَشَرَ ٱلْعَدْلُ فِي رَعِيَّتِهِ . وَأَقَامُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَتَعَاطَوُا ٱلْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ . وَلَزِمُوا قَوَانِينَ ٱلْعَدْلِ . فَمَاتَ ٱلْبَاطِلُ وَذَهَبَتْ رُسُومُ ٱلْجَوْرِ . وَٱنْتَعَشَتْ قَوَانِينُ ٱلْحَقِّ . فَأَرْسَلَتِ ٱلسَّمَاءُ غِيَاثَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا . وَنَمَتْ تِجَارَتُهُمْ . وَزَكَتْ زُرُوعُهُمْ . وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ . وَدَرَّتْ أَرْزَاقُهُمْ . وَرَخُصَتْ أَسْعَارُهُمْ .

وَامْتَلأَتْ أَوْعِيَتُهُمْ . فَوَاسَى ٱلْبَخِيلُ . وَأَفْضَلَ ٱلْكَرِيمُ . وَقُضِيَتِ ٱلْحُقُوقُ . وَإِذَا جَارَ ٱلسُّلْطَانُ ٱنْتَشَرَ ٱلْجَوْرُ فِي ٱلْبِلَادِ وَعَمَّ ٱلْعِبَادَ . فَرَقَتْ أَدْيَانُهُمْ . وَاضْمَحَلَّتْ مُرُوآتُهُمْ . وَفَشَتْ فِيهِمُ ٱلْمَعَاصِي . وَذَهَبَتْ أَمَانَاتُهُمْ . وَتَضَعْضَعَتِ ٱلنُّفُوسُ . وَقَنِطَتِ ٱلْقُلُوبُ . فَمَنَعُوا ٱلْحُقُوقَ . وَتَعَاطَوُا ٱلْبَاطِلَ . وَبَخَسُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ . فَرُفِعَتْ مِنْهُمُ ٱلْبَرَكَةُ . وَأَمْسَكَتِ ٱلسَّمَاءُ غِيَاثَهَا . وَلَمْ تُخْرِجِ ٱلْأَرْضُ زَرْعَهَا وَنَبَاتَهَا . وَقَلَّ فِي أَيْدِيهِمُ ٱلْحُطَامُ . وَقَنِطُوا وَأَمْسَكُوا ٱلْفَضْلَ ٱلْمَوْجُودَ . وَتَنَاجَزُوا عَلَى ٱلْمَفْقُودِ . فَمَنَعُوا ٱلزَّكَوَاتِ ٱلْمَفْرُوضَةَ . وَبَخِلُوا بِٱلْمُوَاسَاةِ ٱلْمَسْنُونَةِ . وَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ ٱلْمَكَارِمِ . وَتَنَازَعُوا ٱلْمِقْدَارَ ٱللَّطِيفَ وَتَجَاحَدُوا ٱلْقَدْرَ ٱلْخَسِيسَ . فَفَشَتْ فِيهِمُ ٱلْأَيْمَانُ ٱلْكَاذِبَةُ . وَٱلْحِيَلُ فِي ٱلْبَيْعِ . وَٱلْخِدَاعُ فِي ٱلْمُعَامَلَةِ . وَٱلْمَكْرُ وَٱلْحِيلَةُ فِي ٱلْقَضَاءِ وَٱلِٱقْتِضَاءِ . وَمَنْ عَاشَ كَذٰلِكَ فَبَطْنُ ٱلْأَرْضِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ظَهْرِهَا (للطرطوشي)

قَالَ أَرْدَشِيرُ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّ ٱلْمُلْكَ وَٱلْعَدْلَ أَخَوَانِ لَا غِنَى بِأَحَدِهِمَا عَنْ صَاحِبِهِ . فَٱلْمُلْكُ أُسٌّ وَٱلْعَدْلُ حَارِسٌ . فَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أُسٌّ فَمَهْدُومٌ . وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ (لابن عبد ربه)

الوفاء

١٤٧ قَالَ ٱلْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ٱلثَّقَفِيُّ : مَا خَلَفْتُ إِلَّا فَرَيْتُ . وَمَا وَعَدْتُ إِلَّا وَفَيْتُ (للقزويني)

(قَالُوا) مَنْ تَحَلَّى بِٱلْوَفَاءِ . وَتَخَلَّى عَنِ ٱلْجَفَاءِ . فَذٰلِكَ مِنْ إِخْوَانِ

ٱلصَّفَاء. (وقالوا) ٱلْوَفَاء ضالَّةٌ كثيرٌ ناشِدُها. قليلٌ واجِدُها. كما قيلَ: ٱلْوَفَاء مِنْ شِيَمِ ٱلْكِرَامِ. وَٱلْغَدْرُ مِنْ خَلَائِقِ ٱللِّئَامِ

(الكنز المدفون للسيوطي)

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ:

ذَهَبَ ٱلْوَفَاء ذَهَابَ أَمْسِ ٱلذَّاهِبِ فَٱلنَّاسُ بَيْنَ مُخَالِفٍ وَمُوَارِبِ
يُفْشُونَ بَيْنَهُمُ ٱلْمَوَدَّةَ وَٱلصَّفَا وَقُلُوبُهُمْ مَحْشُوَّةٌ بِعَقَارِبِ

١٤٨ (قالوا) وَعْدُ ٱلْكَرِيمِ نَقْدٌ. وَوَعْدُ ٱللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ. قَالَ عُمَرُ ٱبْنُ ٱلْحَارِثِ: كَانُوا فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ يَفْعَلُونَ وَلَا يَقُولُونَ. ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ. ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ

قَالَ زِيَادُ ٱلْأَعْجَمُ:

لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولْ
لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ ٱلْجَوَا دِ وَحَبَّذَا صِدْقُ ٱلْبَخِيلْ

الصداقة والخلة

١٤٩ (قِيلَ) ٱلْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ. قَالَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: خَيْرُ ٱلْإِخْوَانِ مَنْ إِنِ ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ فِي ٱلْمَوَدَّةِ. وَإِنِ ٱحْتَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ. وَإِنْ كُوِثْتَ عَضَدَكَ. وَإِنِ ٱسْتَرْفَدْتَ رَفَدَكَ. وَأَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ أَبَانَ:

إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِرْ عَلَى ٱلذَّنْبِ مِنْ أَخٍ وَكُنْتُ أُجَازِيهِ فَأَيْنَ ٱلتَّفَاضُلُ
وَلٰكِنْ أُدَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرَّنِي وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ

قَالَ آخَرُ :

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي بِلِسَانِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهْوَ غَائِبُ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا وَمَا لِي لَهُ إِنْ أَعْوَزَتْهُ النَّوَائِبُ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِصْحَبْ ذَوِي الْفَضْلِ وَأَهْلَ الدِّينِ فَالْمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَرِينِ

قَالَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ
وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَا فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

١٥٠ قِيلَ لِبُزُرْجُمِهْرَ : مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَدِيقُكَ . فَقَالَ : مَا أُحِبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا . وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ : الْقَرَابَةُ تُقْطَعُ . وَالْمَعْرُوفُ يُكْفَرُ . وَمَا رَأَيْتُ كَتَقَارُبِ الْقُلُوبِ

قَالَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ : يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَنْبِطَ لِزَلَّةِ أَخِيكَ سَبْعِينَ عُذْرًا . فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَقُلْ لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ . يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَخُوكَ سَبْعِينَ عُذْرًا فَلَا تَقْبَلُ عُذْرَهُ فَأَنْتَ الْمَعْتُوبُ لَا هُوَ

قَالَ الْمُبَرِّدُ .

مَا الْقُرْبُ إِلَّا لِمَنْ صَحَّتْ مَوَدَّتُهُ
وَلَمْ يَخُنْكَ وَلَيْسَ الْقُرْبُ لِلنَّسَبِ

كَم مِن قَرِيبٍ دَوِيِّ الصَّدرِ مُضطَغِنٍ
وَمِن بَعِيدٍ سَلِيمٍ غَيرِ مُقتَرِبِ

قَالَ ٱلْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

وَلَيسَ ٱلَّذِي يَلقَاكَ بِٱلبِشرِ وَٱلرِّضَا وَإِنْ غِبتَ عَنهُ ٱلمَتْكَ عَقَارِبُهْ

قَالَ بَشَّارٌ :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزعُمُ أَنَّنِي صَدِيقُكَ إِنَّ ٱلرَّأْيَ مِنكَ لَعَازِبُ
وَلَيسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأْيَ عَينِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهُوَ غَائِبُ

١٥١ مِمَّا أَوصَى بِهِ أَمِيرُ ٱلمُؤمِنِينَ أَوْلَادَهُ : يَا بَنِيَّ عَاشِرُوا ٱلنَّاسَ عِشْرَةً إِنْ غِبتُمْ حَنُّوا إِلَيكُمْ . وَإِنْ فُقِدتُمْ بَكَوْا عَلَيكُمْ . يَا بَنِيَّ : إِنَّ ٱلقُلُوبَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلَاحَظُ بِٱلمَوَدَّةِ وَتَتَنَاجَى بِهَا وَكَذٰلِكَ هِيَ فِي ٱلبُغضِ . فَإِذَا أَحبَبتُمُ ٱلرَّجُلَ مِن غَيرِ خَيرٍ سَبَقَ مِنهُ إِلَيكُمْ فَٱرجُوهُ . وَإِذَا أَبغَضتُمُ ٱلرَّجُلَ مِن غَيرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنهُ إِلَيكُمْ فَٱحذَرُوهُ

قَالَ ٱلطُّغْرَائِيُّ :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهُوَ أَجَلُّ ذُخرٍ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ ٱلزَّمَانِ
وَإِنْ بَانَتْ إِسَاءَتُهُ فَهَبْهَا لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلشِّيَمِ ٱلحِسَانِ
تُرِيدُ مُهَذَّبًا لَا عَيبَ فِيهِ وَهَلْ عُودٌ يَفُوحُ بِلَا دُخَانِ

قَالَ ٱلعُطْوِيُّ :

صُنِ ٱلوُدَّ إِلَّا عَنِ ٱلأَكْرَمِينَ وَمَنْ بِمُوَاخَاتِهِ تَشْرُفُ
وَلَا تَغْتَرِرْ مِنْ ذَوِي خِلَّةٍ وَإِنْ مَوَّهُوا لَكَ أَوْ زَخْرَفُوا

١٥٢ قَالَ بُزُرْجُمِهْرُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِ وَيَبْذُلُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ فِي شِدَّتِهِ فَلَا يَعُدَّنَّ نَفْسَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ. مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: الْأَخُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ. لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ وَالْأَخُ الصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ. فِي الْخَبَرِ: الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ. وَيُقَالُ: الرَّجُلُ بِلَا إِخْوَانٍ كَالشِّمَالِ بِلَا يَمِينٍ. وَيُقَالُ: مَنِ اتَّخَذَ إِخْوَانًا. كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا. وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: أَلتَّارِكُ لِلْإِخْوَانِ مَتْرُوكٌ. وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شُبَّةَ: عَلَيْكَ بِالْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ. وَعُدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ (لبهاء الدين)

قَالَ الشَّاعِرُ:

تَكَثَّرْ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَعْتَ إِنَّهُمْ عِمَادٌ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظَهِيرُ
وَمَا بِكَثِيرٍ أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرُ

١٥٣ وَقَالَ الْعُتْبِيُّ: لِقَاءُ الْإِخْوَانِ نُزْهَةُ الْقُلُوبِ. وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيُّ: مُجَالَسَةُ الْإِخْوَانِ مَسْلَاةٌ لِلْأَحْزَانِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: إِنَّ فِي لِقَاءِ الْإِخْوَانِ لَغُنْمًا وَإِنْ قَلَّ

(ظرائف اللطائف لابي نصر المقدسي)

وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ: مَا تُحِبُّ لِلصَّدِيقِ. فَقَالَ: ثَلَاثَ خِلَالٍ. كِتْمَانَ حَدِيثِ الْخَلْوَةِ. وَالْمُوَاسَاةَ عِنْدَ الشِّدَّةِ. وَإِقَالَةَ الْعَثْرَةِ

(للمستعصمي)

١٥٤ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ: عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ مَنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ.

وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ صَانَكَ . وَإِنِ احْتَجْتَ إِلَيْهِ مَانَكَ . وَإِنْ رَأَى مِنْكَ خَلَّةً سَدَّهَا . أَوْ حَسَنَةً عَدَّهَا . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ : مِنْ حُقُوقِ الْمَوَدَّةِ أَخْذُ عَفْوِ الْإِخْوَانِ . وَالْإِغْضَاءُ عَنْ تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ . (وَقِيلَ) خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا نَسِيتَ ذَنْبَكَ لَمْ يُقَرِّعْكَ بِهِ . وَمَعْرُوفُهُ عِنْدَكَ لَمْ يُمْنَ عَلَيْكَ بِهِ (للشريشي)

قَالَ الْإِسْكَنْدَرُ : انْتَفَعْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا انْتَفَعْتُ بِأَصْدِقَائِي لِأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعَيِّرُونِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي وَيُنَبِّهُونِي بِذَلِكَ عَلَى الْخَطَإِ فَأَسْتَدْرِكُهُ . وَكَانَ أَصْدِقَائِي يُزَيِّنُونَ لِي الْخَطَأَ وَيُشَجِّعُونِي عَلَيْهِ (الآداب السلطانية للفخري)

وَلِلّٰهِ دَرُّ أَبِي حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيِّ إِذْ أَنْشَدَ :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَانُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمُ بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَاكْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

المشورة

١٥٥ سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْبِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْبِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ . مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ . وَتَجْرِبَةُ الْأُمُورِ . وَحُسْنُ التَّثَبُّتِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ . الْإِسْتِبْدَادُ . وَالتَّهَاوُنُ . وَالْعَجَلَةُ . كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ : رَأْيُ الشَّيْخِ أَحْسَنُ مِنْ جَلَدِ الْغُلَامِ . قَالَ الْعُتْبِيُّ : قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَبْسٍ مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ .

فنحن نشاوره فكأنا ألف حازم . قال الشاعر :

ألرأي كالليل مسودًا جوانبه ... والليل لا ينجلي إلا بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى ... مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

قال الأرجاني

إقرن برأيك رأي غيرك واستشر ... فالحق لا يخفى على الإثنين
للمرء مرآة تريه وجهه ... ويرى قفاه بجمع مرآتين

١٥٦ قال حكيم : إذا شاورت العاقل صار عقله لك . وقال الثعالبي : المشورة عين الهداية . وقد خاطر من استغنى برأيه . وقال ابن المعتز : المشورة راحة لك وتعب لغيرك . ومن أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحًا وعند الخطإ عاذرًا (لابي نصر المقدسي)

كتمان السر

١٥٧ قال أنوشروان : من حصن سره فله بتحصينه خصلتان . الظفر بحاجته . والسلامة من السطوات . وقيل : كلما كثرت خزان الأسرار زادت ضياعًا . وقيل : انفرد بسرك لا تودعه حازمًا فيزل . ولا جاهلًا فيخون (للابشيهي)

وقال كعب بن سعد الغنوي .

ولست بمبد للرجال سريرتي ... ولا أنا عن أسرارهم بمسائل

وقال آخر :

يا ذا الذي أودعني سره ... لا ترج أن تسمعه مني

لَمْ أَجْرِهِ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ فِي أُذْنِي

قَالَ ٱبْنُ ٱلْخَطِيرِ:

لَا يَكْتُمُ ٱلسِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ وَٱلسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ ٱلنَّاسِ مَكْتُومُ
فَٱلسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَٱلْبَابُ مَخْتُومُ

قَالَ أَبُو ٱلْمَحَاسِنِ ٱلشَّوَّاءُ فِي شَخْصٍ لَا يَكْتُمُ ٱلسِّرَّ وَقَدْ أَجَادَ فِيهِ:

لِي صَدِيقٌ غَدَا وَإِنْ كَانَ لَا يَنْـطِقُ إِلَّا بِغِيبَـةٍ أَوْ مُحَالِ
أَشْبَهَ ٱلنَّاسِ بِٱلصَّدَى إِنْ تُحَدِّثْـهُ حَدِيثًا أَعَادَهُ فِي ٱلْحَـالِ

الصمت وحفظ اللسان

١٥٨ سُئِلَ سُولُونُ: أَيُّ شَيْءٍ أَصْعَبُ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ. قَالَ: ٱلْإِمْسَاكُ عَنِ ٱلْكَلَامِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ. شَتَمَ رَجُلٌ سَخْنِيسَ ٱلْحَكِيمَ فَأَمْسَكَ عَنْهُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ. فَقَالَ: لَا أَدْخُلُ حَرْبًا ٱلْغَالِبُ فِيهَا أَشَرُّ مِنَ ٱلْمَغْلُوبِ. وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ. لَأَتْبَعُ هَيْبَةَ ٱلسُّكُوتِ بِٱلرَّخِيصِ مِنَ ٱلْكَلَامِ. قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ: ٱخْتِصَارُ ٱلْكَلَامِ طَيُّ ٱلْمَعَانِي. وَقِيلَ لَهُ: مَا أَحْسَنَ مَا حَمَلَهُ ٱلْإِنْسَانُ. قَالَ: ٱلسُّكُوتُ. وَمِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ: يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ ٱلرَّجُلِ بِقِلَّةِ مَقَالِهِ. وَعَلَى فَضْلِهِ بِكَثْرَةِ ٱحْتِمَالِهِ. (لبهاء الدين)

١٥٩ ٱجْتَمَعَ أَرْبَعَـةُ مُلُوكٍ فَتَكَلَّمُوا. فَقَالَ مَلِكُ ٱلْفُرْسِ: مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ مَرَّةً وَنَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ مِرَارًا. وَقَالَ قَيْصَرُ: أَنَا عَلَى رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ أَقْـدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ. وَقَالَ مَلِكُ ٱلصِّينِ: مَا لَمْ

أَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ مَلَكْتُهَا فَإِذَا تَكَلَّمْتُ بِهَا مَلَكَتْنِي . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ : الْعَجَبُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ إِنْ رُفِعَتْ ضَرَّتْ وَإِنْ لَمْ تُرْفَعْ لَمْ تَنْفَعْ (كليلة ودمنة)

١٦٠ ذَكَرَ ابْنُ خِلِّكَانَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُجَالِسُ الشَّعْبِيَّ وَيُطِيلُ الصَّمْتَ . فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا : أَلَا تَتَكَلَّمُ . فَقَالَ : أَصْمُتُ فَأَسْلَمُ . وَأَسْمَعُ فَأَعْلَمُ . إِنَّ حَظَّ الْمَرْءِ فِي أُذُنِهِ لَهُ وَفِي لِسَانِهِ لِغَيْرِهِ (للدميري)

قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ :

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ
وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ بِالْقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ
وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهْلِ

١٦١ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : اَلنَّدَمُ عَلَى الصَّمْتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى الْقَوْلِ . وَمِنْ فُصُولِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ : مَنْ أَخَافَهُ الْكَلَامُ أَجَارَهُ الصَّمْتُ . وَقَالَ أَيْضًا : اَلْخَطَأُ بِالصَّمْتِ يُخْتَمُ . وَالْخَطَلُ بِمِثْلِهِ لَا يُكْتَمُ

وَقَالَ آخَرُ :

اَلصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ صِدْقَ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّهْ
وَالْقَوْلُ يَسْتَدْعِي لِصَا حِبِهِ الْمَذَمَّةَ وَالْمَسَبَّهْ
فَارْغَبْ عَنِ الْقَوْلِ وَلَا يَهْتَاجَ مِنْكَ إِلَيْهِ رَغْبَهْ

١٦٢ وَيُقَالُ : مِنْ عَلَامَاتِ الْعَاقِلِ حُسْنُ صَمْتِهِ . وَطُولُ صَمْتِهِ . وَقَالَ

بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَوَّلُ الْعِلْمِ الصَّمْتُ . وَالثَّانِي حُسْنُ الْاِسْتِمَاعِ . وَالثَّالِثُ الْحِفْظُ . وَالرَّابِعُ الْعَمَلُ بِهِ . وَالْخَامِسُ نَشْرُهُ . كَانَ يُقَالُ : مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : اللِّسَانُ . أَجْرَحُ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ آخَرُ : اللِّسَانُ سَبُعٌ صَغِيرُ الْجِرْمِ

(لابي نصر المقدسي)

سَمِعْتُ بَعْضَ الشُّيُوخِ يَقُولُ : أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً وَأَكْثَرُهُمْ عَنَاءً . مَنْ لَهُ لِسَانٌ مُطْلَقٌ . وَقَلْبٌ مُطْبَقٌ . فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْكُتَ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ (الكنز المدفون)

قَالَ نَصْرُ بْنُ شُمَيْلٍ :

وَإِذَا بُلِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَحَكِّمٍ يَجِدُ الْمُحَالَ مِنَ الْأُمُورِ صَوَابَا
أَوْلَيْتُهُ مِنِّي السُّكُوتَ وَرُبَّمَا كَانَ السُّكُوتُ عَنِ الْجَوَابِ جَوَابَا

قَالَ فَيْلَسُوفٌ : كَمَا أَنَّ الْآنِيَةَ تُمْتَحَنُ بِإِطْنَانِهَا فَيُعْرَفُ صَحِيحُهَا أَوْ مَكْسُورُهَا . كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يُعْرَفُ حَالُهُ بِمَنْطِقِهِ (لبهاء الدين)

١٦٣ شَاوَرَ مُعَاوِيَةُ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ فِي اسْتِخْلَافِهِ يَزِيدَ . فَسَكَتَ عَنْهُ فَقَالَ : مَالَكَ لَا تَقُولُ . فَقَالَ : إِنْ صَدَقْتُكَ أَسْخَطْتُكَ . وَإِنْ كَذَبْتُكَ أَسْخَطْتَنِي اللهَ . فَسُخْطُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ سُخْطِ اللهِ . فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ تَفَكَّرَ . فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالَ . وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ سَكَتَ . وَقَلْبُ

الْأَحْمَقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ. فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ (لابن عبد ربه)

قَالَ زُهَيْرٌ:

كَأَيْنَ تَرَى مِنْ مُعْجِبٍ لَكَ صَامِتٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

الكذب

١٦٤ أَلْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَلَى خِلَافِ الْوَاقِعِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ لَمْ أَدَعِ الْكَذِبَ تَوَرُّعًا. تَرَكْتُهُ تَصَنُّعًا (الكنز المدفون للسيوطي)

قَالَ عُمَرُ: عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذٰلِكَ:

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدْ
وَابْغِ رِضَا الْمَوْلَى فَأَغْبَى الْوَرَى مَنْ أَسْخَطَ الْمَوْلَى وَأَرْضَى الْعَبِيدْ

وَقِيلَ: لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ النُّطْقِ الصِّدْقُ (للابشيهي)

١٦٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ: الصِّدْقُ رَبِيعُ الْقَلْبِ. وَزَكَاةُ الْخِلْقَةِ. وَثَمَرَةُ الْمُرُوءَةِ. وَشُعَاعُ الضَّمِيرِ. وَعُنْوَانُ جَلَالَةِ الْقَدْرِ عِبَارَتُهُ. وَإِلَى اعْتِدَالِ وَزْنِ الْعَقْلِ يُنْسَبُ صَاحِبُهُ. قَالَ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ: الْكَذَّابُ وَالْمَيِّتُ سَوَاءٌ. لِأَنَّ فَضِيلَةَ الْحَيِّ النُّطْقُ فَإِذَا لَمْ يُوثَقْ بِكَلَامِهِ فَقَدْ بَطَلَتْ حَيَاتُهُ. قَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ: الْكَذَّابُ لِصٌّ. لِأَنَّ اللِّصَّ يَسْرِقُ مَالَكَ. وَالْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ. وَلَا تَأْمَنْ مِنْ كَاذِبٍ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْكَ. وَمَنِ اغْتَابَ غَيْرَكَ عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَهَا نَةِ بَعْضُ مَا يُحْكَى عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعْتُ بِكِذْبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ
(زهر الآداب للقيرواني)

التواضع والكبر

١٦٦ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَا التَّوَاضُعُ. فَقَالَ: اجْتِلَابُ الْمَجْدِ وَاكْتِسَابُ الْوُدِّ. فَقِيلَ: مَا الْكِبْرُ. فَقَالَ: اكْتِسَابُ الْبُغْضِ. (وَقِيلَ) التَّوَاضُعُ أَحَدُ مَصَايِدِ الشَّرَفِ. مَنْ لَمْ يَتَّضِعْ عِنْدَ نَفْسِهِ. لَمْ يَرْتَفِعْ عِنْدَ غَيْرِهِ

نَظَرَ مُطَرِّفٌ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ يَسْحَبُهَا. فَقَالَ: مَا هٰذِهِ الْمِشْيَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ تَعَالَى. فَقَالَ: أَوَمَا تَعْرِفُنِي. قَالَ: بَلَى أَوَّلُكَ مَادَّةٌ مَذِرَةٌ وَآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ. فَلَمْ يَعُدْ إِلَى تِلْكَ الْمِشْيَةِ بَعْدَ ذٰلِكَ.

وَنَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ يَخْطِرُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى هٰذَا لَيْسَ مِنْهُ عُضْوٌ إِلَّا وَلِلّٰهِ عَلَيْهِ فِيهِ نِقْمَةٌ وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ لُعْبَةٌ

وَاشْتَرَى رَجُلٌ شَيْئًا فَمَرَّ بِسَلْمَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ. فَقَالَ: احْمِلْ مَعِي هٰذَا يَا عِلْجُ. فَحَمَلَهُ فَكَانَ مَنْ يَتَلَقَّاهُ يَقُولُ: ادْفَعْهُ إِلَيَّ أَيُّهَا الْأَمِيرُ. فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا الْعِلْجُ. وَالرَّجُلُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ. فَأَبَى حَتَّى حَمَلَهُ إِلَى مَقَرِّهِ (للثعالبي)

قَالَ بَعْضُهُمْ:

مَثَلُ الْمَجْدِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكْ
أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مُتَّبِعًا فَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكْ

١٦٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِبَعْضِ ٱلْوُزَرَاءِ : إِنَّ تَوَاضُعَكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَمِنَ ٱلْبَلْوَى ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا فِي ٱلنَّاسِ كُنْهُ
أَنَّ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا يَدَّعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

(لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدًا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَنْصُورَ كَانَ جَالِسًا فَأَلَحَّ عَلَيْهِ ٱلذُّبَابُ حَتَّى أَضْجَرَهُ . فَقَالَ : ٱنْظُرُوا مَنْ بِٱلْبَابِ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ . فَقَالُوا : مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ . فَدَعَا بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ تَعْلَمُ لِأَيِّ حِكْمَةٍ خَلَقَ ٱللهُ ٱلذُّبَابَ . قَالَ : لِيُذِلَّ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةَ . قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَجَازَهُ (للابشيهي)

١٦٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَحَقُّ مَنْ كَانَ لِلْكِبْرِ مُجَانِبًا . وَلِلْإِعْجَابِ مُبَايِنًا . مَنْ جَلَّ فِي ٱلدُّنْيَا قَدْرُهُ . وَعَظُمَ فِيهَا خَطَرُهُ . لِأَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِعَالِي هِمَّتِهِ كُلَّ كَثِيرٍ . وَيَسْتَصْغِرُ مَعَهَا كُلَّ كَبِيرٍ

وَرَدَ فِي بَعْضِ ٱلْكُتُبِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ : عَجَبًا لِمَنْ قِيلَ فِيهِ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَفَرِحَ . وَقِيلَ فِيهِ مِنَ ٱلشَّرِّ مَا هُوَ فِيهِ فَغَضِبَ

(للعاملي)

الحسد

١٦٩ (قيل) الحسد أن تتمنى زوال نعمة غيرك. أول ذنب عصي الله به في السماء والأرض. قال ابن المقفع: الحسد والحرص دعامتا الذنوب. فالحرص أخرج آدم من الجنة. والحسد نقل إبليس عن جوار الله. وقال أيضاً: لله در الحسد ما أعدله يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. وقيل: الحسود لا يسود (للثعالبي)

قال ابن المعتز:

أَلْمَجْدُ وَالْحُسَّادُ مَقْرُونَانِ إِنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبْ
وَلَئِنْ مَلَكْتَ الْمَجْدَ لَمْ تَمْلِكْ مَوَدَّاتِ الْأَقَارِبْ

١٧٠ قال بعضهم: أعظم الذنوب عند الله الحسد والحاسد مضاد لنعمة الله. خارج عن أمر الله. تارك لعهد الله. وقال معاوية: كل إنسان أقدر أن أرضيه إلا حاسد نعمة فلا يرضيه إلا زوالها. وكان يقال: الحقد داء دوي. ويقال: من كثر حقده دوي قلبه. ويقال: الحقد مفتاح كل شر. ويقال: حل عقد الحقد. ينتظم لك عقد الود (لابي نصر المقدسي)

قال أبو تمام:

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

ذمّ الغيبة

١٧١ إعلَمْ أَنَّ الْغِيبَةَ مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ وَأَكْثَرِهَا انْتِشَارًا فِي النَّاسِ حَتَّى لَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ . وَهِيَ ذِكْرُكَ الْإِنْسَانَ بِمَا يَكْرَهُ وَلَوْ بِمَا فِيهِ . سَوَاءٌ كَانَ فِي دِينِهِ أَوْ بَدَنِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ خَلْقِهِ أَوْ خُلُقِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ . سَوَاءٌ ذَكَرْتَهُ بِلَفْظِكَ أَوْ بِكِتَابِكَ أَوْ رَمَزْتَ إِلَيْهِ بِعَيْنِكَ أَوْ يَدِكَ أَوْ رَأْسِكَ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . وَقِيلَ لِلرَّبِيعِ ابْنِ خُثَيْمٍ : مَا نَرَاكَ تَغْتَابُ أَحَدًا . فَقَالَ : لَسْتُ عَنْ نَفْسِي رَاضِيًا فَأَتَفَرَّغَ لِذَمِّ النَّاسِ . وَأَنْشَدَ :

لِنَفْسِي أَبْكِي لَيْسَ أَبْكِي لِغَيْرِهَا ... لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي عَنِ النَّاسِ شَاغِلُ

١٧٢ إِسْتَحِ مِنْ ذَمِّ مَنْ لَوْ كَانَ حَاضِرًا لَبَالَغْتَ فِي مَدْحِهِ . وَمَدْحِ مَنْ لَوْ كَانَ غَائِبًا لَسَارَعْتَ إِلَى ذَمِّهِ . وَمِنْ كَلَامِهِمْ : كَمَا أَنَّ الذُّبَابَ يَتْبَعُ مَوَاضِعَ الْجُرُوحِ فَيُنَكِّيهَا وَيَجْتَنِبُ الْمَوَاضِعَ الصَّحِيحَةَ . كَذَلِكَ الْأَشْرَارُ يَتَتَبَّعُونَ الْمَعَايِبَ فَيَذْكُرُونَهَا وَيَدْفِنُونَ الْمَحَاسِنَ

(لبهاء الدين)

١٧٣ إِعْلَمْ أَنَّهُ كَمَا يُحَرَّمُ عَلَى الْمُغْتَابِ ذِكْرُ الْغِيبَةِ كَذَلِكَ يُحَرَّمُ عَلَى السَّامِعِ اسْتِمَاعُهَا . فَيَجِبُ عَلَى مَنْ يَسْتَمِعُ إِنْسَانًا يَبْتَدِئُ بِغِيبَةٍ أَنْ يَنْهَاهُ إِنْ لَمْ يَخَفْ ضَرَرًا . فَإِنْ خَافَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ بِقَلْبِهِ وَمُفَارَقَةُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْ مُفَارَقَتِهِ (للابشيهي)

سَمِعَ عَلِيٌّ رَجُلًا يَغْتَابُ آخَرَ عِنْدَ ابْنِهِ الْحَسَنِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ تَنَزَّهْ

سَمْعَكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وِعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وِعَائِكَ
(للمستعصمي)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ:

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ ٱلْقَبِيحِ كَصَوْنِ ٱللِّسَانِ عَنِ ٱلنُّطْقِ بِهْ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ ٱلْقَبِيحِ شَرِيكُ لِقَائِلِهِ فَٱنْتَبِهْ

المزاح

١٧٤ قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ ٱلْعَرَبِ: ٱلْمِزَاحُ يُذْهِبُ ٱلْمَهَابَةَ وَيُورِثُ ٱلضَّغِينَةَ أَوِ ٱلْمَهَانَةَ. وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ: ٱلْمِزَاحُ يَأْكُلُ ٱلْهَيْبَةَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ. وَمَنْ كَثُرَ مِزَاحُهُ لَمْ يَزَلْ فِي ٱسْتِخْفَافٍ بِهِ وَحِقْدٍ عَلَيْهِ

قَالَ نَاصِحُ ٱلدِّينِ ٱبْنُ ٱلدَّهَّانِ:

لَا تَجْعَلِ ٱلْهَزْلَ دَأْبًا فَهُوَ مَنْقَصَةٌ وَٱلْجِدُّ تَعْلُو بِهِ بَيْنَ ٱلْوَرَى ٱلْقِيَمُ
وَلَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ مَلْكٍ تَبَسُّمُهُ مَا سَحَّتِ ٱلسُّحْبُ إِلَّا حِينَ تَبْتَسِمُ

١٧٥ كَانَ يُقَالُ: ٱلْإِفْرَاطُ فِي ٱلْمِزْحِ مَجْنُونٌ وَٱلِٱقْتِصَادُ فِيهِ ظَرَافَةٌ. وَيُقَالُ: ٱلْمِزْحُ فِي ٱلْكَلَامِ كَٱلْمِلْحِ فِي ٱلطَّعَامِ. وَقَدْ نَظَمَهُ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ فَقَالَ:

أَفِدْ طَبْعَكَ ٱلْمَكْدُودَ بِٱلْهَمِّ رَاحَةً قَلِيلًا وَعَلِّلْهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْمِزْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ ٱلْمِزْحَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي ٱلطَّعَامَ مِنَ ٱلْمِلْحِ
(لابي نصر المقدسي)

الكرم

١٧٦ أَلْجُودُ سُهُولَةُ ٱلْبَذْلِ وَسُقُوطُ شُحِّ ٱلنَّفْسِ. وَقَدْ قِيلَ فِي كَرِيمٍ:

يَا وَاحِدَ ٱلْعُرْبِ ٱلَّذِي أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرْ
لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخَرٌ مَا كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا فَقِيرْ

(الكنز المدفون)

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ حَكِيمُ ٱلْعَرَبِ: ذَلِّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلْمَطَالِبِ.. وَقُودُوهَا إِلَى ٱلْمَحَامِدِ. وَعَلِّمُوهَا ٱلْمَكَارِمَ. وَصِلُوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ. وَتَحَلَّوْا بِٱلْجُودِ يُلْبِسْكُمُ ٱلْمَحَبَّةَ. وَلَا تَعْتَقِدُوا ٱلْبُخْلَ فَتَسْتَعْجِلُوا ٱلْفَقْرَ

(لابن عبد ربّه)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَصِفُ ٱلْخَلِيفَةَ ٱلْمُعْتَصِمَ:

تَعَوَّدَ بَسْطَ ٱلْكَفِّ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ أَرَادَ ٱنْقِبَاضًا لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهْ
هُوَ ٱلْبَحْرُ مِنْ أَيِّ ٱلنَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ ٱلْمَعْرُوفُ وَٱلْجُودُ سَاحِلُهْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ ٱللهَ سَائِلُهْ

١٧٧ (قَالُوا) ٱلسَّخِيُّ مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِبَذْلِهِ مُتَبَرِّعًا بِعَطَائِهِ. لَا يَلْتَمِسُ عَرَضَ دُنْيَا فَيُحْبِطَ عَمَلَهُ. وَلَا طَلَبَ مُكَافَأَةٍ فَيُسْقِطَ شُكْرَهُ. وَيَكُونَ مَثَلُهُ فِيمَا أَعْطَى مَثَلَ ٱلصَّائِدِ ٱلَّذِي يُلْقِي ٱلْحَبَّ لِلطَّائِرِ لَا يُرِيدُ نَفْعَهُ وَلٰكِنْ نَفْعَ نَفْسِهِ. وَقِيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ: مَنْ أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ جَادَ مِنْ قِلَّةٍ. وَصَانَ وَجْهَ ٱلسَّائِلِ عَنِ ٱلْمَذَلَّةِ (لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْحُسَيْنِ ٱلْجَزَّارُ فِي ٱلْحَثِّ عَلَى ٱلْإِنْفَاقِ:

إِذَا كَانَ لِي مَالٌ عَلَامَ أَصُونُهُ وَمَا سَادَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْبُخْلِ دِينُهُ
وَمَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا يَسَارٍ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ لَعَمْرِي أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ

١٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْجُودُ أَشْرَفُ الْأَخْلَاقِ. وَأَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ. وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: الْجُودُ حَارِسُ النَّفْسِ مِنَ الذَّمِّ. وَقَالَ آخَرُ: الْأَسْخِيَاءُ يَعْبُدُهُمُ الْمَالُ. وَالْبُخَلَاءُ يَعْبُدُونَهُ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَوْ كَانَ شَيْءٌ يُشْبِهُ الرُّبُوبِيَّةَ لَقُلْتُ: الْجُودُ. وَيُقَالُ: مَنْ جَادَ سَادَ. وَمَنْ بَخِلَ رَذُلَ. وَقَالَ عُمَرُ: السَّيِّدُ الْجَوَادُ حِينَ يُسْأَلُ. وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ:

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكْتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكْ

قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ:

بَنَتِ الْمَكَارِمُ وَسْطَ كَفِّكَ مَنْزِلًا وَجَعَلْتَ مَالَكَ لِلْأَنَامِ مُبَاحَا
فَإِذَا الْمَكَارِمُ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا كَانَتْ يَدَاكَ لِقُفْلِهَا مِفْتَاحَا

١٧٩ كَتَبَ كِسْرَى إِلَى هُرْمُزَ اسْتَقْلِلْ كَثِيرَ مَا تُعْطِي. وَاسْتَكْثِرْ قَلِيلَ مَا تَأْخُذُ. فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ الْكَرِيمِ فِيمَا يُعْطِي. وَقُرَّةَ عَيْنِ اللَّئِيمِ فِيمَا يَأْخُذُ. وَلَا تَجْعَلِ الشَّحِيحَ لَكَ مُعِينًا. وَلَا الْكَذَّابَ أَمِينًا. فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ مَعَ شُحٍّ وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ. وَالسَّلَامُ (للمستعصمي)

وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ:

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

الشكر

١٨٠ أَلشُّكْرُ ٱلثَّنَاءُ عَلَى ٱلْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ . وَقَالَ إِبْرٰهِيمُ ٱلشَّيْبَانِيُّ : كُنْتُ أَرَى رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ لَا يَجِفُّ لُبُّهُ . وَلَا يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ . فِي طَلَبِ حَوَائِجِ ٱلنَّاسِ وَإِدْخَالِ ٱلْمَرَافِقِ عَلَى ٱلضَّعِيفِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنِ ٱلْحَالِ ٱلَّتِي هَوَّنَتْ عَلَيْكَ هٰذَا ٱلتَّعَبَ فِي ٱلْقِيَامِ بِحَوَائِجِ ٱلنَّاسِ مَا هِيَ . قَالَ : قَدْ وَٱللهِ سَمِعْتُ تَغْرِيدَ ٱلْأَطْيَارِ بِٱلْأَسْحَارِ . فِي فُرُوعِ ٱلْأَشْجَارِ . وَسَمِعْتُ خُفُوقَ أَوْتَارِ ٱلْعِيدَانِ . وَتَرْجِيعَ أَصْوَاتِ ٱلْقِيَانِ . فَمَا طَرِبْتُ مِنْ صَوْتٍ قَطُّ طَرَبِي مِنْ ثَنَاءِ حَسَنٍ بِلِسَانٍ حَسَنٍ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَحْسَنَ . وَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْ شُكْرِ حُرٍّ لِرَجُلٍ حُرٍّ . (للشريشي)

١٨١ قَالَ سُلَيْمَانُ ٱلتَّيْمِيُّ : إِنَّ ٱللهَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ . وَكَلَّفَهُمْ مِنَ ٱلشُّكْرِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ . (قِيلَ) ٱلشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلنِّعَمِ لِأَنَّهُ يَبْقَى وَٱلنِّعَمُ تَفْنَى . (وَقِيلَ) ٱلشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي ٱلنِّعَمِ . وَأَمَانٌ مِنَ ٱلنِّقَمِ . (وَقَالُوا) كُفْرُ ٱلنِّعْمَةِ يُوجِبُ زَوَالَهَا . وَشُكْرُهَا يُوجِبُ ٱلْمَزِيدَ فِيهَا . (وَقَالُوا) مَنْ حَمِدَكَ فَقَدْ وَفَّاكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ . (وَقَالُوا) إِذَا قَصُرَتْ يَدَاكَ عَنِ ٱلْمُكَافَأَةِ فَلْيَطُلْ لِسَانُكَ بِٱلشُّكْرِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ٱلْوَاقِدِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ٱلْبَرْمَكِيِّ فَقُلْتُ : إِنَّ هٰهُنَا قَوْمًا يَشْكُرُونَ لَكَ مَعْرُوفًا . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هٰؤُلَاءِ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا فَكَيْفَ لَنَا شُكْرُ شُكْرِهِمْ (لابن عبد ربه)

القناعة

١٨٢ أَلْقَنَاعَةُ ٱلِاكْتِفَاءُ بِٱلْمَوْجُودِ. وَتَرْكُ ٱلتَّشَوُّقِ إِلَى ٱلْمَفْقُودِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ: يَا بُنَيَّ ٱلْعَبْدُ حُرٌّ إِذَا قَنِعَ. وَٱلْحُرُّ عَبْدٌ إِذَا طَمِعَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِٱلْقَلِيلِ لَمْ يَكْتَفِ بِٱلْكَثِيرِ. وَمِنْ فُصُولِ ٱبْنِ ٱلْمُعْتَزِّ: أَعْرَفُ ٱلنَّاسِ بِٱللهِ مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ لَهُ. وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَا فَكُلُّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَا

قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا
وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلْيَا مِنَ ٱلْعَيْشِ لَمْ يَزَلْ حَقِيرًا وَفِي ٱلدُّنْيَا أَسِيرَ غُبُونِهَا

١٨٣ (قَالُوا) ٱلْغَنِيُّ مَنِ ٱسْتَغْنَى بِٱللهِ. وَٱلْفَقِيرُ مَنِ ٱفْتَقَرَ إِلَى ٱلنَّاسِ
(وَقَالُوا) لَا غِنًى إِلَّا غِنَى ٱلنَّفْسِ (لابن عبد ربّه)

قَالَ ٱلنَّوَوِيُّ:

وَجَدْتُ ٱلْقَنَاعَةَ أَصْلَ ٱلْغِنَى فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُمْتَسِكْ
فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكْ
وَعِشْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ أَمُرُّ عَلَى ٱلنَّاسِ شِبْهَ ٱلْمَلِكْ

نَظَرَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ إِلَى قَصَّارٍ يَضْرِبُ بِٱلثَّوْبِ ٱلْمَغْسَلَةَ. فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَّارًا وَلَمْ أَتَقَلَّدِ ٱلْخِلَافَةَ. فَبَلَغَ كَلَامُهُ أَبَا حَاتِمٍ. فَقَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي جَعَلَهُمْ إِذَا

حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ يَتَمَنَّوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ . وَإِذَا حَضَرَنَا الْمَوْتُ لَمْ نَتَمَنَّ مَا هُمْ فِيهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

بِقَدْرِ الصُّعُودِ يَكُونُ الْهُبُوطُ فَإِيَّاكَ وَالرُّتَبَ الْعَالِيَهْ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطْتَ تَقُومُ وَرِجْلَاكَ فِي عَافِيَهْ

١٨٤ كَانَ أَنُوشِرْوَانُ يُمْسِكُ عَنِ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ وَيَقُولُ : نَتْرُكُ مَا نُحِبُّ لِئَلَّا نَقَعَ فِيمَا نَكْرَهُ . كَانَ سُقْرَاطُ الْحَكِيمُ قَلِيلَ الْأَكْلِ خَشِنَ اللِّبَاسِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ : أَنْتَ تَحْسَبُ أَنَّ الرَّحْمَةَ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ وَاجِبَةٌ وَأَنْتَ ذُو رُوحٍ فَلَا تَرْحَمُهَا . فَكَتَبَ لَهُ سُقْرَاطُ فِي جَوَابِهِ : إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آكُلَ لِأَعِيشَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعِيشَ لِتَأْكُلَ . وَالسَّلَامُ

١٨٥ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا طَلَبْتَ الْعِزَّ فَاطْلُبْهُ بِالطَّاعَةِ . وَإِذَا أَرَدْتَ الْغِنَى فَاطْلُبْهُ بِالْقَنَاعَةِ . فَمَنْ أَطَاعَ اللهَ عَزَّ نَصْرُهُ . وَمَنْ لَزِمَ الْقَنَاعَةَ زَالَ فَقْرُهُ . قَالَ أَرِسْطُو : الْقُنْيَةُ يَنْبُوعُ الْأَحْزَانِ . نَظَمَهُ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ بِقَوْلِهِ :

يَقُولُونَ مَالَكَ لَا تَقْتَنِي مِنَ الْمَالِ ذُخْرًا يُفِيدُ الْغِنَى
فَقُلْتُ وَأَمْحَنْتُهُمْ فِي الْجَوَابِ لِئَلَّا أَخَافَ وَلَا أَحْزَنَا

(لبهاء الدين)

البطنة

١٨٦ (قَالُوا) الْبِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ . رَأَى أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ

رَجُلًا يَلْقَمُ لُقْمًا مُنْكَرًا . فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ ؟ . قَالَ : لُقْمَانُ . قَالَ : صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ . وَرَأَى أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا سَمِينًا . فَقَالَ لَهُ : أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مِنْ نَسْجِ أَضْرَاسِكَ . قِيلَ لِبُزُرْجُمِهْرَ : أَيُّ وَقْتٍ فِيهِ الطَّعَامُ أَصْلَحُ ؟ قَالَ : أَمَّا لِمَنْ قَدَرَ فَإِذَا جَاعَ . وَلِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَإِذَا وَجَدَ . قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا أَفْضَلُ الدَّوَاءِ ؟ قَالَ : أَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ عَنِ الطَّعَامِ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ . (قَالُوا) احْذَرُوا الْبِطْنَةَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْعِلَلِ إِنَّمَا تَتَوَلَّدُ مِنْ فُضُولِ الطَّعَامِ

(لابن عبد ربّه)

ذمّ النبيذ

١٨٧ جَاءَ فِي الْمُبْهِجِ : الْخَمْرُ مِصْبَاحُ السُّرُورِ . وَلَكِنَّهَا مِفْتَاحُ الشُّرُورِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : اشْرَبْ مَعَنَا . فَقَالَ : أَنَا لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : النَّبِيذُ كِيمِيَاءُ الطَّرَبِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَلَكِنَّهُ دَاعِيَةُ الْحَرَبِ . قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِي :

لَعَمْرُكَ مَا يُحْصَى عَلَى النَّاسِ شَرُّهَا ... وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَذَّةٌ وَهَنَاءُ
مَرَارًا تُرِيكَ الْغَيَّ رُشْدًا وَتَارَةً ... تُخَيِّلُ أَنَّ الْمُحْسِنِينَ أَسَاءُوا
وَأَنَّ الصَّدِيقَ الْمَاحِضَ الْوُدِّ مُبْغِضٌ ... وَأَنَّ مَدِيحَ الْمَادِحِينَ هِجَاءُ
وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ النَّبِيذِ فَقَلَّمَا ... يَدُومُ لِإِخْوَانِ النَّبِيذِ إِخَاءُ

العزلة

١٨٨ (يُقَالُ) الْعُزْلَةُ عَنِ النَّاسِ تُوَقِّي الْعِرْضَ . وَتُبْقِي الْجَلَالَةَ . وَتَسْتُرُ الْفَاقَةَ . وَقَالَ مَكْحُولٌ : إِنْ كَانَ الْفَضْلُ فِي الْجَمَاعَةِ . فَإِنَّ

السَّلامَةَ فِي الْوَحْدَةِ وَالْعُزْلَةِ. قَالَ الْجُرْجَانِيّ:

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْبِي جَلِيسَا
إِنَّمَا الذُّلُّ فِي مُدَاخَلَةِ النَّا سِ فَدَعْهَا وَكُنْ كَرِيمًا رَئِيسَا
لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَجَلُّ مِنَ الْعِلْمِ فَلَا أَبْتَغِي سِوَاهُ أَنِيسَا

(لابي نصر المقدسي)

١٨٩ الْعُزْلَةُ عَنِ الْخَلْقِ هِيَ الطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الْأَسَدُّ. فِرَّ مِنَ الْخَلْقِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ. فَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْرِفُونَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَزَايَا. لِأَنَّهُ سَالِمٌ مِنَ الْآلَامِ وَالرَّزَايَا. فَاحْبِسْ نَفْسَكَ فِي زَاوِيَةِ الْعُزْلَةِ. فَإِنَّ عُزْلَةَ الْمَرْءِ عِزٌّ لَهُ. قِيلَ لِبَعْضِ الزُّهَّادِ: إِلَى أَيِّ شَيْءٍ أَفْضَتْ بِكُمُ الْخَلْوَةُ. فَقَالَ: إِلَى الْأُنْسِ بِاللهِ تَعَالَى

وَلِلهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي فَطَابَ الْأُنْسُ لِي وَصَفَا السُّرُورُ
وَأَدَّبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أُبَالِي بِأَنِّي لَا أُزَارُ وَلَا أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا عِشْتُ يَوْمًا أَسَارَ الْجُنْدُ أَمْ رَكِبَ الْأَمِيرُ

قِيلَ لِدِعْبِلٍ الشَّاعِرِ: مَا الْوَحْشَةُ عِنْدَكَ. فَقَالَ: النَّظَرُ إِلَى النَّاسِ ثُمَّ أَنْشَدَ:

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلْ مَا أَقَلَّهُمُ أَللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدَا
إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدَا

(لبهاء الدين)

الباب السابع
في الذكاء والأدب

العقل

١٩٠ قال حكيم: العقل أشرف الأحساب. وأحصن معقل. قال آخر: أشد الفاقة عدم العقل. وقال آخر: كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه كلما كثر غلا. قال الشاعر:

يعد رفيع القوم من كان عاقلا وإن لم يكن في قومه بحسيب
إذا حل أرضا عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب
(لابي نصر المقدسي)

١٩١ إفتخر بعض الأغنياء عند بعض الحكماء بالآباء والأجداد. وبزخارف المال المستفاد. فقال له ذلك الحكيم: إن كان في هذه فخر فينبغي أن يكون الفخر لها لا لك. وإن كان آباؤك كما ذكرت أشرافا فالفخر لهم لا لك (للفخري)

١٩٢ إعلموا أن العاقل من أطاع الله. وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة. وأن الجاهل من عصى الله تعالى. وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا. فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه. ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين (احياء علوم الدين)

١٩٣ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ : إِنَّ ٱلْعَاقِلَ أَقْرَبُ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ . وَٱلْعَقْلَ كَٱلشَّمْسِ فِي ٱلدُّنْيَا . وَهُوَ قَلْبُ ٱلْحَسَنَاتِ . وَٱلْعَقْلُ حَسَنٌ فِي كُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ فِي ٱلْأَكَابِرِ وَٱلزُّعَمَاءِ أَحْسَنُ . وَٱلْعَقْلُ فِي جَسَدِ ٱلْإِنْسَانِ كَٱلرُّطُوبَةِ فِي ٱلشَّجَرَةِ . لِأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ مَا دَامَتْ رَطْبَةً طَرِيَّةً كَانَ ٱلْخَلْقُ مِنْ رَائِحَتِهَا وَنَشْرِ أَزْهَارِهَا وَطِيبِ ثِمَارِهَا وَنَضَارَتِهَا وَطَرَاءَتِهَا فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَنُزْهَةٍ وَفَرْحَةٍ . فَإِذَا جَفَّتْ رُطُوبَتُهَا وَقَلَّتْ نَضَارَتُهَا فَلَا تَصْلُحُ حِينَئِذٍ لِسِوَى ٱلْقَطْعِ وَٱلْإِحْرَاقِ وَٱلْقَلْعِ . قَالَ أَيْضًا : لَيْسَ لِمَلِكٍ وَلَا لِرَعِيَّةٍ خَيْرٌ مِنَ ٱلْعَقْلِ . فَإِنَّ بِضِيَائِهِ يُفْرَقُ بَيْنَ ٱلْقَبِيحِ وَٱلْمَلِيحِ . وَٱلْجَيِّدِ وَٱلرَّدِيءِ . وَٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ . وَٱلصِّدْقِ وَٱلْكَذِبِ

(التبر المسبوك للغزالي)

العلم وشرفه

١٩٤ قِيلَ : ٱلْعُلَمَاءُ فِي ٱلْأَرْضِ كَٱلنُّجُومِ فِي ٱلسَّمَاءِ . لَوْلَا ٱلْعِلْمُ لَكَانَ ٱلنَّاسُ كَٱلْبَهَائِمِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْعِلْمُ حَيَاةُ ٱلْقُلُوبِ وَمِصْبَاحُ ٱلْأَبْصَارِ . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ فِي فُصُولِهِ : ٱلْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا . وَٱلْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا . وَقَالَ أَيْضًا : مَا مَاتَ مَنْ أَحْيَا ٱلْعُلُومَ . قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ خُذِ ٱلْعِلْمَ مِنْ أَفْوَاهِ ٱلرِّجَالِ فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ . وَيَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَكْتُبُونَ . وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ (لابي نصر المقدسي)

١٩٥ لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ وَفَدَ عَلَيْهِ ٱلْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ .

فوفد عليه الحجازيون فتقدم منهم غلام للكلام. وكان حديث السن. فقال عمر: لينطق من هو أسن منك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين. إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه. فإذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام. ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا. فتعجب عمر من كلامه. وسأل عن سنه فإذا هو ابن إحدى عشرة سنة. فتمثل عمر عند ذلك بقول الشاعر:

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

١٩٦ قيل لبزرجمهر: أي الاكتساب أفضل. قال: العلم والأدب كنزان لا ينفدان. وسراجان لا يطفآن وحلتان لا تبليان. من نالهما أصاب الرشاد. وعرف طريق المعاد. وعاش رفيعا بين العباد

(للقيرواني)

قال الشبراوي:

العلم أنفس ذخر أنت ذاخره
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده
فأول العلم إقبال وآخره

١٩٧ قيل للخليل بن أحمد: أيهما أفضل العلم أو المال. قال: العلم.

قِيلَ لَهُ : فَمَا بَالُ ٱلْعُلَمَاءِ يَزْدَحِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْمُلُوكِ . وَٱلْمُلُوكُ لَا يَزْدَحِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْعُلَمَاءِ . قَالَ : ذٰلِكَ لِمَعْرِفَةِ ٱلْعُلَمَاءِ بِحَقِّ ٱلْمُلُوكِ وَجَهْلِ ٱلْمُلُوكِ بِحَقِّ ٱلْعُلَمَاءِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلْعِلْمُ يُحْيِي قُلُوبَ ٱلْمَيِّتِينَ كَمَا
تَحْيَا ٱلْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا ٱلْمَطَرُ
وَٱلْعِلْمُ يَجْلُو ٱلْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ
كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ ٱلظُّلْمَةِ ٱلْقَمَرُ

(لابن عبد ربّه)

١٩٨ قَالَ ٱلْجَاحِظُ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَمِيرِ بَغْدَاذَ فِي أَيَّامِ وِلَايَتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ٱلدِّيوَانِ وَٱلنَّاسُ مُثُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمِ ٱلطَّيْرَ . ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ مُدَّةٍ وَهُوَ مَعْزُولٌ وَهُوَ جَالِسٌ فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ وَحَوَالَيْهِ ٱلْكُتُبُ وَٱلدَّفَاتِرُ وَٱلْمَحَابِرُ وَٱلْمَسَاطِرُ فَمَا رَأَيْتُهُ أَهْيَبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ (للفخري)

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

مَنْ يَعْدَمِ ٱلْعِلْمَ يُظْلِمْ عَقْلُهُ أَبَدًا نَرَاهُ أَشْبَهَ مَا نَلْقَاهُ بِٱلنَّعَمِ
كَمْ مِنْ نُفُوسٍ غَدَتْ لِلّٰهِ مُخْلِصَةً بِٱلْعِلْمِ فِي صَفْحَةِ ٱلْقِرْطَاسِ وَٱلْقَلَمِ
وَٱلْعَقْلُ شَمْسٌ وَنُورُ ٱلْعِلْمِ مُنْبَثِقٌ مِنْهَا وَمِنْهَا ثِمَارُ ٱلْفَضْلِ فَٱفْتَهِمِ

شرائط العلم

١٩٩ (قَالُوا) لَا يَكُونُ ٱلْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ . لَا

يحتقر من دونه . ولا يحسد من فوقه . ولا يأخذ على العلم ثمنا . ومدح خالد بن صفوان رجلا فقال : كان بديع المنطق . جزل الألفاظ . عربي اللسان . قليل الحركات . حسن الإشارات . حلو الشمائل . كثير الطلاوة صموتا وقورا . قال الشافعي :

أخي لا تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

٢٠٠ كان حمزة من خطباء العرب ومن علماء زمانه . ضرب به المثل في الفصاحة وطول العمر . سأله معاوية يوما عن أشياء فأجابه عنها . فقال له : بم نلت العلم . قال : بلسان سؤول . وقلب عقول . ثم قال يا أمير المؤمنين : إن للعلم آفة وإضاعة ونكدا واستجاعة . فآفته النسيان . وإضاعته أن تحدث به غير أهله . ونكده الكذب فيه واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع أبدا (للدميري)

آفات العلم

٢٠١ من كلام بعض الأعلام : من ازداد في العلم رشدا . ولم يزدد في الدنيا زهدا . فقد ازداد من الله بعدا . ومن كلام بعض الأكابر : إذا لم يكن العالم زاهدا في الدنيا فهو عقوبة لأهل زمانه . قال بعض الحكماء : إذا أوتيت علما فلا تطفئ نور العلم بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . قال بعض الحكماء : لست منتفعا بما تعلم ما لم تعمل بما تعلم . فإن

زِدتَّ فِي عِلْمِكَ فَأَنْتَ مِثْلُ رَجُلٍ حَزَمَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ وَأَرَادَ حَمْلَهَا فَلَمْ يُطِقْ فَوَضَعَهَا وَزَادَ عَلَيْهَا (لبهاء الدين)

(قَالُوا) لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا عِلْمَهُمْ لَسَادُوا أَهْلَ الدُّنْيَا. لَكِنْ وَضَعُوهُ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فَقَصَّرَ فِي حَقِّهِمْ أَهْلُ الدُّنْيَا. قَالَ حَكِيمٌ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ. قَالُوا: بَلَى. قَالَ: الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا (لابن عبد ربّه)

٢٠٢ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: الْعِلْمُ جَمَالٌ لَا يُخْفَى. وَنَسَبٌ لَا يُجْفَى. وَقَالَ أَيْضًا: زَلَّةُ الْعَالِمِ كَانْكِسَارِ سَفِينَةٍ تَغْرَقُ وَيَغْرَقُ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ. قَالَ غَيْرُهُ: إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ. زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ. قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: الْمُتَوَاضِعُ فِي طُلَّابِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ الْبِقَاعِ مَاءً. إِذَا عَلِمْتَ فَلَا تَذْكُرْ مَنْ دُونَكَ مِنَ الْجُهَّالِ. وَاذْكُرْ مَنْ فَوْقَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَقَالَ أَيْضًا: مَاتَ خَزَنَةُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ. وَعَاشَ خُزَّانُ الْعِلْمِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ. مَثَلُ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ (للقيروانى)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَطَلْيَوْسِيُّ النَّحْوِيُّ:

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمُ
وَذُو الْجَهْلِ مَيْتٌ وَهْوَ مَاشٍ عَلَى الثَّرَى
يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهْوَ عَدِيمُ

الادب

٢٠٣ قَالَ شَبِيبُ بْنُ شُبَّةَ : اطْلُبُوا الْأَدَبَ فَإِنَّهُ مَادَّةُ الْعَقْلِ وَدَلِيلٌ عَلَى الْمُرُوءَةِ . وَصَاحِبٌ فِي الْغُرْبَةِ . وَمُؤْنِسٌ فِي الْوَحْشَةِ . وَصِلَةٌ فِي الْمَجْلِسِ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِبَنِيهِ : عَلَيْكُمْ بِطَلَبِ الْأَدَبِ فَإِنَّكُمْ إِنِ احْتَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا . وَإِنِ اسْتَغْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ جَمَالًا . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَوْ لِسُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبْكَ ذٰلِكَ . فَإِنَّ الْكَرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا . لِيُعْجِبْكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ

قَالَ الشَّافِعِيُّ :

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ يَنْفَعُنِي
قَلْبِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ
إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

٢٠٤ قَالَ بُزُرْجُمِهْرُ : الْجَهْلُ هُوَ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ . وَالْعِلْمُ هُوَ الْحَيَاةُ الشَّرِيفَةُ . مَنْ أَكْثَرَ أَدَبُهُ شَرُفَ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا . وَارْتَفَعَ صِيتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا (للسيوطي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلسَّبُعُ سَبْعٌ وَلَوْ كَلَّتْ مَخَالِبُهُ وَالْكَلْبُ كَلْبٌ وَلَوْ بَيْنَ السِّبَاعِ رُبِّي
وَهٰكَذَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيزُ خَالَطَهُ صُفْرُ النُّحَاسِ فَكَانَ الْفَضْلُ لِلذَّهَبِ

لَا تَنْظُرَنَّ لِأَثْوَابٍ عَلَى أَحَدٍ إِنْ رُمْتَ تَعْرِفُهُ فَانْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ
فَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَفُحْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرُقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ

دَخَلَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَأَقْعَدَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَحْتَهُ. فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجُهُومَةَ وُجُوهِهِمْ. فَقَالَ: مَالَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الشَّحِيحِ إِلَى الْغَرِيمِ الْمُفْلِسِ. هَكَذَا الْأَدَبُ يُشَرِّفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ. وَيَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْمَوْلَى. وَيُقْعِدُ الْعَبِيدَ عَلَى الْأَسِرَّةِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا لِيَ عَقْلِي وَهِمَّتِي حَسَبِي مَا أَنَا مَوْلًى وَلَا أَنَا عَرَبِي
إِذَا انْتَمَى مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ فَإِنَّنِي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

(للابشيهي)

٢٠٥ دَخَلَ سَالِمُ بْنُ مَخْزُومٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَخَلَّى لَهُ عَنِ الصَّدْرِ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ مَنْ لَا تَرَى لَكَ عَلَيْهِ فَضْلًا فَلَا تَأْخُذْ عَلَيْهِ شَرَفَ الْمَنْزِلَةِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

أَيُّهَا الْفَاخِرُ جَهْلًا بِالْحَسَبْ إِنَّمَا النَّاسُ لِأُمٍّ وَلِأَبْ
إِنَّمَا الْفَخْرُ بِعَقْلٍ رَاجِحٍ وَبِأَخْلَاقٍ حِسَانٍ وَأَدَبْ

قَالَ آخَرُ:

لَا تَدَّخِرْ غَيْرَ الْعُلُو مِ فَإِنَّهَا نِعْمَ الذَّخَائِرْ
فَالْمَرْءُ لَوْ رَبِحَ الْبَقَا ءَ مَعَ الْجَهَالَةِ كَانَ خَاسِرْ

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ مُؤَدِّبُ الْوَاثِقِ عَلَى الْوَاثِقِ. فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ

وَأَكْثَرَ إِعْظَامَهُ. فَقِيلَ لَهُ: مَنْ هٰذَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: هٰذَا أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ ٱللهِ. وَأَدْنَانِي مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ

تاديب الصغير

٢٠٦ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سُرَّ بِهِ كَبِيرًا. وَقَالُوا: أَطْبَعُ ٱلطِّينِ مَا كَانَ رَطْبًا. وَأَعْدَلُ ٱلْعُودِ مَا كَانَ لَدْنًا. وَقَالَ صَالِحُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ:

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبْتَهُ فِي ٱلصِّبَا كَٱلْعُودِ يُسْقَى ٱلْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ ٱلَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ
وَٱلشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ٱرْعَوَى عَادَ لَهُ جَهْلُهُ كَذِي ٱلضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ
مَا تَبْلُغُ ٱلْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ ٱلْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

قَالَ بَعْضُهُمْ فِي سُوءِ تَرْبِيَةِ صَغِيرٍ:

فَيَا عَجَبًا لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا أُلَقِّمُهُ بِأَطْرَافِ ٱلْبَنَانِ
أُعَلِّمُهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
أُعَلِّمُهُ ٱلْفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَفَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ ٱلْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: ٱلْحَيَاءُ فِي ٱلصَّبِيِّ خَيْرٌ مِنَ ٱلْخَوْفِ. لِأَنَّ ٱلْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى ٱلْعَقْلِ. وَٱلْخَوْفَ يَدُلُّ عَلَى ٱلْجُبْنِ (لابن عبد ربّه)

ما ينبغي للوالد في تربية ابنه

٢٠٧ يَنْبَغِي لِلْوَالِدِ أَنْ لَا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ . وَيُحَسِّنَ عِنْدَهُ الْحَسَنَ . وَيُقَبِّحَ عِنْدَهُ الْقَبِيحَ . وَيَحُثَّهُ عَلَى الْمَكَارِمِ وَعَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَيَضْرِبَهُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا تَسْهُ عَنْ أَدَبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ شَكَا أَلَمَ التَّعَبِ
وَدَعِ الْكَبِيرَ وَشَأْنَهُ كِبَرُ الْكَبِيرِ عَنِ الْأَدَبْ

٢٠٨ قَالَ ابْنُ عُتْبَةَ يُوصِي مُؤَدِّبَ وَلَدِهِ : لِيَكُنْ أَوَّلُ إِصْلَاحِكَ بَنِيَّ إِصْلَاحَكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّ عُيُوبَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْبِكَ . فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا فَعَلْتَ . وَالْقَبِيحُ مَا تَرَكْتَ . عَلِّمْهُمُ الدِّينَ وَلَا تُمَلِّهِمْ فِيهِ فَيَتْرُكُوهُ . وَلَا تَتْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ . وَرَوِّهِمْ مِنَ الشِّعْرِ أَعَفَّهُ . وَمِنَ الْكَلَامِ أَشْرَفَهُ . وَلَا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكِمُوهُ . فَإِنَّ ازْدِحَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةٌ لِلْفَهْمِ . تَهَدَّدْهُمْ بِي وَأَدِّبْهُمْ دُونِي . وَكُنْ كَالطَّبِيبِ الَّذِي لَا يُعَجِّلُ بِالدَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . وَجَنِّبْهُمْ مُحَادَثَةَ السُّفَهَاءِ . وَرَوِّهِمْ سِيَرَ الْحُكَمَاءِ (كتاب الدراري لكمال الدين الحلبي)

٢٠٩ أَوْصَى الرَّشِيدُ مُؤَدِّبَ وَلَدِهِ الْأَمِينِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةَ نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ . فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . أَقْرِئْهُ كُتُبَ الدِّينِ . وَعَرِّفْهُ الْآثَارَ . وَرَوِّهِ الْأَشْعَارَ . وَعَلِّمْهُ السُّنَنَ وَبَصِّرْهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ . وَامْنَعْهُ الضَّحِكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تُمَرِّرْ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فِيهَا فَائِدَةً تُفِيدُهُ

إيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْرِقَ بِهِ فَتُمِيتَ ذِهْنَهُ. وَلَا تُمْعِنْ فِي مُسَامَحَتِهِ فَيَسْتَحْلِيَ الْفَرَاغَ وَيَأْلَفَهُ. وَقَوِّمْهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْمُلَايَنَةِ. فَإِنْ أَبَاهُمَا فَعَلَيْكَ بِالشِّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ (الشريشي)

رقة الادب في الظاهر

٢١٠ قَالَ أَبُو حَفْصٍ: حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ. قِيلَ لِأَبِي وَائِلٍ: أَيُّكُمَا أَكْبَرُ أَنْتَ أَمِ الرَّبِيعُ ابْنُ خُثَيْمٍ. قَالَ: أَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا. وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي عَقْلًا

قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ: مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ أَدَبًا وَلَا أَكْرَمَ عَشِيرَةً مِنْ أَبِيكَ. سَمَرْتُ عِنْدَهُ لَيْلَةً فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ عَشِيَ الْمِصْبَاحُ وَنَامَ الْغُلَامُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَشِيَ الْمِصْبَاحُ وَنَامَ الْغُلَامُ فَلَوْ أَذِنْتَ لِي أَصْلَحْتُهُ. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مُرُوءَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ. ثُمَّ حَطَّ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ. وَقَامَ إِلَى الدَّبَّةِ. فَصَبَّ مِنَ الزَّيْتِ فِي الْمِصْبَاحِ وَأَشْخَصَ الْفَتِيلَةَ. ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ

قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مُعَاشَرَةِ الْأُدَبَاءِ:

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَمْسَى أَدِيبًا ... بِصُحْبَةِ عَاقِلٍ وَغَدَا إِمَامَا
كَمَاءِ الْبَحْرِ مُرٌّ ثُمَّ تَحْلُو ... مَذَاقَتُهُ إِذَا صَحِبَ الْغَمَامَا

الادب في الحديث والاستماع

٢١١ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: رَأْسُ الْأَدَبِ كُلِّهِ حُسْنُ الْفَهْمِ وَالتَّفَهُّمِ.

وَالْإِصْغَاءُ لِلْمُتَكَلِّمِ. قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الْاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْحَدِيثِ. وَلْيَعْلَمِ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ. فَاحْذَرْ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ. قَالُوا: مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ أَنْ لَا تُغَالِبَ أَحَدًا عَلَى كَلَامِهِ. وَإِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلَا تُجِبْ عَنْهُ. وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَلَا تُنَازِعْهُ إِيَّاهُ. وَلَا تَقْتَحِمْ عَلَيْهِ فِيهِ. وَلَا تُرِهِ أَنَّكَ تَعْلَمُهُ

يُقَالُ إِنَّ هِشَامًا كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ: مِنْ هِشَامٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَلِكِ الطَّاغِيَةِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْمُلُوكَ تَسُبُّ. وَمَا الَّذِي يُؤْمِنُكَ أَنْ أُجِيبَكَ: مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْمَلِكِ الْمَذْمُومِ

الادب في المجالسة

٢١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ بَيْتًا فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ أَجْلَسَهُ أَهْلُهُ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ: مَا مَدَدْتُ رِجْلِي قَطُّ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسِي. وَلَا قُمْتُ حَتَّى يَقُومَ. وَقَالَ أَيْضًا: لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ. إِذَا دَنَا رَحَّبْتُ بِهِ. وَإِذَا جَلَسَ وَسَّعْتُ لَهُ. وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ. قَالَ زِيَادٌ: إِيَّاكَ وَصُدُورَ الْمَجَالِسِ وَإِنْ صَدَّرَكَ صَاحِبُهَا فَإِنَّهَا مَجْلِسُ قُلْعَةٍ. وَلَأَنْ أَدْعَى مِنْ بُعْدٍ إِلَى قُرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْصَى مِنْ قُرْبٍ إِلَى بُعْدٍ. قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: لَا تُسْرِعْ إِلَى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ فِي الْمَجْلِسِ فَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُحَطُّ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُحَطُّ مِنْهُ

(لابن عبد ربه)

٢١٣ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ: بَعَثَنِي أَبِي إِلَى الْمُعْتَمِدِ فِي شَيْءٍ. فَقَالَ لِي: اجْلِسْ. فَاسْتَعْظَمْتُ ذٰلِكَ. فَأَعَادَ. فَاعْتَذَرْتُ بِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يَجُوزُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ تَرْكَ أَدَبِكَ فِي الْقَبُولِ مِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَدَبِكَ فِي خِلَافِي

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ فَاسْتَحْسَنَ لَفْظَهُ وَأَدَبَهُ. فَقَالَ لَهُ: سَلْ حَاجَتَكَ. فَقَالَ: يُبْقِيكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ. فَقَالَ: سَلْ حَاجَتَكَ فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمَرَ لَكَ بِذٰلِكَ. فَقَالَ: وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللهِ مَا أَخَافُ بُخْلَكَ. وَلَا أَسْتَقْصِرُ أَجَلَكَ. وَلَا أَغْتَنِمُ مَالَكَ. وَإِنَّ عَطَاءَكَ لَزَيْنٌ. وَمَا بِأَمْرِئٍ بَذَلَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ نَقْصٌ وَلَا شَيْنٌ. فَأَعْجَبَ الْمَنْصُورَ كَلَامُهُ. وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي أَدَبِهِ وَوَصَلَهُ

٢١٤ وَقَفَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بِبَابِ مُعَاوِيَةَ فَأَذِنَ لِلْأَحْنَفِ ثُمَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَشْعَثَ. فَأَسْرَعَ مُحَمَّدٌ فِي مَشْيِهِ حَتَّى دَخَلَ قَبْلَ الْأَحْنَفِ. فَلَمَّا رَآهُ مُعَاوِيَةُ. قَالَ لَهُ: إِنِّي وَاللهِ مَا أَذِنْتُ لَهُ قَبْلَكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ قَبْلَهُ. وَإِنَّا كَمَا نَلِي أُمُورَكُمْ كَذٰلِكَ نَلِي أَدَبَكُمْ. وَمَا تَزَيَّدَ مُتَزَيِّدٌ إِلَّا لِنَقْصٍ يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِهِ (للمستعصمي)

وَمِنَ الْأَدَبِ أَلَّا تُنَاتِبَ صَاحِبًا فَتُثَقِّلَ عَلَيْهِ. قَالَ الثَّعَالِبِيُّ:

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا
إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكَا

فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْغَيْثَ يُسْأَمُ دَائِمًا
وَيُسْأَلُ بِٱلْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا

الادب في المماشاة

٢١٥ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : مَاشَيْتُ ٱلْمَأْمُونَ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ فِي بُسْتَانِ مُؤْنِسَةَ بِنْتِ ٱلْمَهْدِيِّ . فَكُنْتُ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ ٱلشَّمْسِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَأَرَادَ ٱلرُّجُوعَ أَرَدْتُ أَنْ أَدُورَ إِلَى ٱلْجَانِبِ ٱلَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ ٱلشَّمْسِ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ وَلٰكِنْ كُنْ بِحَالِكَ حَتَّى أَسْتُرَكَ كَمَا سَتَرْتَنِي . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَقِيَكَ حَرَّ ٱلنَّارِ لَفَعَلْتُ فَكَيْفَ ٱلشَّمْسَ . فَقَالَ : لَيْسَ هٰذَا مِنْ كَرَمِ ٱلصُّحْبَةِ . وَمَشَى سَاتِرًا لِي مِنَ ٱلشَّمْسِ كَمَا سَتَرْتُهُ (لابن عبد ربه)

الادب في الاكل

٢١٦ قَالَ ٱلْغَزَّالِي : إِذَا حَضَرَ ٱلطَّعَامُ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَبْتَدِئَ فِي ٱلْأَكْلِ وَمَعَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ ٱلتَّقَدُّمَ عَلَيْهِ لِكِبَرِ سِنٍّ أَوْ زِيَادَةِ فَضْلٍ . إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ ٱلْمَتْبُوعَ ٱلْمُقْتَدَى بِهِ . فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُطَوِّلَ عَلَيْهِمِ ٱلِٱنْتِظَارَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْكُتَ عَلَى ٱلطَّعَامِ . وَلٰكِنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَبِٱلْحَدِيثِ عَنِ ٱلصَّالِحِينَ وَأَهْلِ ٱلْأَدَبِ فِي ٱلْأَطْعِمَةِ . قَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : أَحْسَنُ ٱلْآكِلِينَ مَنْ لَا يُحْوِجُ صَاحِبَهُ إِلَى تَفَقُّدِهِ فِي ٱلْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَدَّمَ لَهُ أَخُوهُ ٱلطَّسْتَ أَنْ يَقْبَلَهُ وَلَا يَرُدَّهُ (للمستعصمي)

الكتاب والقلم

٢١٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْقَلَمُ صَائِغُ ٱلْكَلَامِ يُفْرِغُ مَا يَجْمَعُهُ ٱلْقَلْبُ . وَيَصُوغُ مَا يَسْبِكُهُ ٱللُّبُّ (الكنز المدفون)

قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي قَلَمٍ :

وَسَاكِنِ رَمْسٍ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ ٱلطَّعَامِ تَكَلَّمَا
يَقُومُ وَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا وَيَرْجِعُ مَنْ فِي ٱلْقَبْرِ مِنْهُ مُقَوَّمَا
وَلَيْسَ بِحَيٍّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً وَلَيْسَ بِمَيْتٍ يَسْتَحِقُّ ٱلتَّرَحُّمَا

قَالَ ٱلْعُتَّابِيُّ : بِبُكَاءِ ٱلْقَلَمِ تَبْتَسِمُ ٱلْكُتُبُ . وَأَلْأَقْلَامُ مَطَايَا ٱلْفِطَنِ .

قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : عُقُولُ ٱلرِّجَالِ تَحْتَ سِنِّ أَقْلَامِهِمْ . قَالَ ثُمَامَةُ ٱبْنُ أَشْرَسَ : مَا أَثَّرَتْهُ ٱلْأَقْلَامُ . لَمْ تَطْمَعْ فِي دِرَاسَتِهِ ٱلْأَيَّامُ

٢١٨ قِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ : إِنَّهُ ٱلْجَلِيسُ ٱلَّذِي لَا يُنَافِقُ وَلَا يَمَلُّ . وَلَا يُعَاتِبُكَ إِذَا جَفَوْتَهُ وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي فَضِيلَتِهِ :

جَلِيسُ ٱلْأَنِيسِ يَأْمَنُ ٱلنَّاسُ شَرَّهُ وَيَذْكُرُ أَنْوَاعَ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلنُّهَى
وَيَأْمُرُ بِٱلْإِحْسَانِ وَٱلْبِرِّ وَٱلتُّقَى وَيَنْهَى عَنِ ٱلطُّغْيَانِ وَٱلشَّرِّ وَٱلْأَذَى

الشعر

٢١٩ قَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ : رَوُّوا أَوْلَادَكُمُ ٱلشِّعْرَ تَعْذُبْ أَلْسِنَتُهُمْ . فَإِنَّ أَفْضَلَ صِنَاعَاتِ ٱلرَّجُلِ ٱلْأَبْيَاتُ مِنَ ٱلشِّعْرِ . يُقَدِّمُهَا فِي حَاجَتِهِ يَسْتَعْطِفُ بِهَا قَلْبَ ٱلْكَرِيمِ . وَيَسْتَمِيلُ بِهَا قَلْبَ ٱللَّئِيمِ . وَقَالَ أَيْضًا : ٱلشِّعْرُ جُزْلٌ مِنْ كَلَامِ ٱلْعَرَبِ يَسْكُنُ بِهِ ٱلْغَيْظُ . وَتُطْفَأُ بِهِ ٱلنَّائِرَةُ .

وَيَبْلُغُ لَهُ ٱلْقَوْمُ فِي نَادِيهِمْ . وَيُعْطَى بِهِ ٱلسَّائِلُ . وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : ٱلشِّعْرُ عِلْمُ ٱلْعَرَبِ وَدِيوَانُهَا فَتَعَلَّمُوهُ

كَانَ بَنُو أَنْفِ ٱلنَّاقَةِ يُعَيَّبُونَ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى قَالَ فِيهِمِ ٱلْحُطَيْئَةُ :

قَوْمُهُمُ ٱلْأَنْفُ وَٱلْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ ٱلنَّاقَةِ ٱلذَّنَبَا

فَعَادَ هٰذَا ٱلِٱسْمُ فَخْرًا لَهُمْ وَشَرَفًا فِيهِمْ (لابن عبد ربّه)

٢٢٠ قِيلَ لِبَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ : مَنْ أَشْعَرُ ٱلنَّاسِ . قَالَ : ٱلنَّابِغَةُ إِذَا رَهِبَ . وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغِبَ . وَجَرِيرٌ إِذَا غَضِبَ . وَعَنْتَرَةُ إِذَا رَكِبَ .

قَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ لِلْفَرَزْدَقِ : مَنْ أَشْعَرُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْإِسْلَامِ . قَالَ : كَفَاكَ بِٱبْنِ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ إِذَا مَدَحَ . (يُرِيدُ ٱلْأَخْطَلَ شَاعِرَ بَنِي أُمَيَّةَ ٱلنَّصْرَانِيَّ) (الاغاني)

الباب الثامن
في اللطائف

٢٢١ رَأَى ٱلْإِسْكَنْدَرُ سَيَّالَهُ لَا يَزَالُ يَنْهَزِمُ فِي ٱلْحُرُوبِ فَقَالَ لَهُ : يَا هٰذَا إِمَّا أَنْ تُغَيِّرَ فِعْلَكَ أَوْ تُغَيِّرَ ٱسْمَكَ

٢٢٢ بَعَثَ مَلِكٌ إِلَى عَبْدٍ لَهُ : مَا لَكَ لَا تَخْدُمُنِي وَأَنْتَ عَبْدِي . فَأَجَابَهُ : لَوِ ٱعْتَبَرْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ عَبْدُ عَبْدِي . لِأَنَّكَ تَتْبَعُ ٱلْهَوَى فَأَنْتَ عَبْدُهُ وَأَنَا أَمْلِكُهُ فَهُوَ عَبْدِي (للمستعصمي)

٢٢٣ قَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِسَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ: مَجِّدْنَا بِشِعْرِكَ. قَالَ: افْعَلُوا حَتَّى أَقُولَ (لابن عبد ربّه)

٢٢٤ سَأَلَ حَكِيمٌ غُلَامًا مَعَهُ سِرَاجٌ: مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ النَّارُ بَعْدَ مَا تَنْطَفِئُ؟ فَقَالَ: إِنْ أَخْبَرْتَنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ أَخْبَرْتُكَ مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ؟

٢٢٥ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي أَعْمَى أَغْلَظَ فِي كَلَامِهِ:

كَيْفَ يَرْجُو الْحَيَاءَ مِنْهُ صَدِيقٌ وَمَكَانُ الْحَيَاءِ مِنْهُ خَرَابُ

٢٢٦ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْجَعْدِيُّ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ كَتَبَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ أَهْدَى إِلَيْهِ غُلَامًا أَسْوَدَ فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتَ عَدَدًا أَقَلَّ مِنْ وَاحِدٍ وَلَوْنًا شَرًّا مِنَ السَّوَادِ لَأَهْدَيْتَهُ وَالسَّلَامُ

٢٢٧ وَصِيفٌ التُّرْكِيُّ وَالِي الشَّامِ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَرَكِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتُ فَعَزَّاهُ بِأَخْبَارٍ وَأَمْثَالٍ. ثُمَّ أُصِيبَ مُحَمَّدٌ بِمُصِيبَةٍ فَرَكِبَ إِلَيْهِ وَصِيفٌ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَنَا رَجُلٌ أَعْجَمِيٌّ لَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ. وَلَكِنِ انْظُرْ مَا عَزَّيْتَنِي بِهِ ذَاكَ الْيَوْمَ فَعَزِّ بِهِ نَفْسَكَ الْآنَ. فَاسْتَظْرَفَ النَّاسُ كَلَامَهُ (لطائف الوزراء)

الاعرابيّ والسنّور

٢٢٨ صَادَ أَعْرَابِيٌّ سِنَّوْرًا وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ. فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مَا هٰذَا السِّنَّوْرُ. وَلَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا الْقِطُّ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا الْهِرُّ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا الضَّيْوَنُ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا الْخَيْدَعُ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا الْخَيْطَلُ. ثُمَّ لَقِيَهُ

آخرُ فقالَ : ما هٰذا الدَّمُ . فقالَ الأعرابيُّ في نفسِهِ : أحمِلُهُ وأبيعُهُ فيجعلُ اللهُ لي فيهِ مالاً كثيرًا . فلمَّا أتى السُّوقَ قيلَ لهُ : بكَمْ هٰذا . قالَ : بمائتَيْ درهمٍ . فقيلَ لهُ : إنَّهُ يُساوي نصفَ درهمٍ . فرَمى بهِ ثمَّ قالَ : ما أكثرَ أسماءَهُ وأقلَّ ثمنَهُ (للدميري)

٢٢٩ حُكِيَ أنَّ الحجَّاجَ اشترى غلامَيْنِ أحدُهما أسودُ والثاني أبيضُ . فقالَ لهُما في بعضِ الأيامِ : كلُّ واحدٍ يمدحُ نفسَهُ ويذمُّ رفيقَهُ

فقالَ الأسودُ :

ألَمْ ترَ أنَّ المسكَ لا شيءَ مثلُهُ وأنَّ بياضَ الثلجِ حملُ بدرهمِ
وأنَّ سوادَ العينِ لا شكَّ نورُها وأنَّ بياضَ العينِ لا شيءَ فاعلَمِ

وقالَ الأبيضُ :

ألَمْ ترَ أنَّ البدرَ لا شيءَ مثلُهُ وأنَّ سوادَ الفحمِ حملُ بدرهمِ
وأنَّ رجالَ اللهِ بيضٌ وجوهُهُمْ ولا شكَّ أنَّ السودَ أهلُ جهنَّمِ

فضحكَ صاحبُهما وأجازَهُما (ألف ليلة وليلة)

٢٣٠ حُكِيَ أنَّ هارونَ الرَّشيدَ لمَّا حضرَ بينَ يديهِ بعضُ أهلِ المغربِ قالَ لهُ : يُقالُ إنَّ الدُّنيا بمثابةِ طائرٍ ذنبُهُ المغربُ . فقالَ الرَّجلُ : صدقوا يا أميرَ المؤمنينَ وإنَّهُ طاؤوسٌ . فضحكَ الرَّشيدُ وتعجَّبَ من سرعةِ جوابِ الرَّجلِ وانتصارِهِ لقُطرِهِ

(نفح الطيب للمقري)

٢٣١ قالَ بعضُهُم مُلغزًا في ميزانٍ :

وقاضٍ قد قضى في الأرض عدلًا له كفٌّ وليس له بنانُ
رأيتُ الناسَ قد قبلوا قضاهُ ولا نطقٌ لديهِ ولا بيانُ

وقد أحسن أبو سرف ملغزًا في إبرة:

ضئيلةُ الجسمِ لها فعلُ متينِ السببِ
حافرُها في رأسِها وعينُها في الذنبِ

٢٣٢ أعتق عمرُ بنُ عتبةَ غلامًا له كبيرًا. فقام إليه عبدٌ صغيرٌ. فقال: اذكرني يا مولاي ذكرك اللهُ بخيرٍ. فقال: إنك لم تحترف. فقال: إنَّ النخلةَ قد تجتنى زهوًا. قبل أن تصير معوًا. فقال: قاتلك اللهُ لقد استعتقتَ وأحسنتَ. وقد وهبتُك لواهبك. كنتَ أمسِ لي واليومَ مني

دعوة أكثم بن صيفي لأولاده

٢٣٣ دعا أكثمُ بنُ صيفيٍّ أولادَه عند موته. فاستدعى إضمامةً من السهام. فتقدَّم إلى كلِّ واحدٍ منهم أن يكسرها. فلم يقدر أحدٌ على كسرها. ثم بدَّدها فتقدَّم إليهم أن يكسروها. فاستسهلوا كسرها. فقال: كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم عن كسرها مجتمعةً. فإنكم إن تفرقتم سهل كسركم وأنشد:

كونوا جميعًا يا بني إذا اعترى خطبٌ ولا تتفرقوا آحادا
تأبى القداحُ إذا اجتمعن تكسرًا وإذا افترقن تكسرت أفرادا

٢٣٤ قال الشعبي: وجهني عبدُ الملكِ إلى ملكِ الروم فلما انصرفتُ

دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مَخْتُومًا . فَلَمَّا قَرَأَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ رَأَيْتُهُ تَغَيَّرَ . فَقَالَ : يَا شَعْبِيُّ أَعَلِمْتَ مَا كَتَبَ هٰذَا النَّذْلُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : إِنَّهُ كَتَبَ : يَنْبَغِي لِلْعَرَبِ أَنْ لَا تَمْلِكَ إِلَّا مَنْ أَرْسَلْتَ بِهِ إِلَيَّ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَمْ يَرَكَ فَكَانَ يَعْرِفُ فَضْلَكَ . وَإِنَّهُ حَسَاكَ عَلَى اسْتِخْدَامِكَ مِثْلِي . فَسُرِّيَ عَنْهُ (للثعالبي)

٢٣٥ لَمَّا عَلَا أَمْرُ يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ ارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَظَهَرَ اسْمُهُ وَذِكْرُهُ . وَمَلَكَ كِرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ . وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ الْمُعْتَمِدَ . فَكَتَبَ إِلَى يَعْقُوبَ : إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا صَفَّارًا فَمِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتَ تَدْبِيرَ الْمَمَالِكِ . فَرَدَّ يَعْقُوبُ إِلَيْهِ جَوَابًا وَقَالَ : إِنَّ الْمَوْلَى الَّذِي أَعْطَانِي الدَّوْلَةَ أَعْطَانِي التَّدْبِيرَ (للغزالي)

الاعرابي الشاعر والخليفة

٢٣٦ اسْتَدْعَى بَعْضُ الْخُلَفَاءِ شُعَرَاءَ مِصْرَ . فَصَادَفَهُمْ شَاعِرٌ فَقِيرٌ بِيَدِهِ جَرَّةٌ فَارِغَةٌ ذَاهِبًا بِهَا إِلَى الْبَحْرِ لِيَمْلَأَهَا مَاءً . فَتَبِعَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ . فَبَالَغَ الْخَلِيفَةُ فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَرَأَى ذٰلِكَ الرَّجُلُ وَالْجَرَّةُ عَلَى كَتِفِهِ وَنَظَرَ إِلَى ثِيَابِهِ الْوَسِخَةِ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ . فَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ شَدُّوا رِحَالَهُمْ إِلَى بَحْرِكَ الطَّامِي أَتَيْتُ بِجَرَّتِي

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : امْلَأُوا لَهُ الْجَرَّةَ ذَهَبًا وَفِضَّةً . فَحَسَدَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَقَالَ : هٰذَا فَقِيرٌ مَجْنُونٌ لَا يَعْرِفُ قِيمَةَ هٰذَا الْمَالِ وَرُبَّمَا

أتلفه وضيعه . فقال الخليفة : هو ماله يفعل به ما شاء . فملئت له ذهبا وخرج إلى الباب ففرق الجميع . وبلغ الخليفة ذلك فاستدعاه وعاتبه على ذلك . فقال :

يجود علينا الخيرون بمالهم ونحن بمال الخيرين نجود

فأعجبه ذلك . وأمر أن تملأ له عشر مرات وقال : الحسنة بعشرة أمثالها . (حلبة الكميت للنواجي)

٢٣٧ ألح رجل على الأحنف بالشتم . فلما فرغ قال له : هل لك في الغداء . فإنك مذ اليوم تحدو بجمال ثقال . وقال له رجل : إن قلت واحدة لتسمعن عشرا . فقال : وأنت إن قلت عشرا لم تسمع واحدة (للابشيهي)

٢٣٨ قال شرف الدولة بن منقذ ملغزا في الزنبور والنحل :

ومغردين ترنما في مجلس فنفاهما لأذاهما الأقوام

هذا يجود بما يجود بعكسه هذا فيحمد ذا وذاك يلام

٢٣٩ جاءت امرأة إلى قيس بن سعد بن عبادة فقالت له : مشت جرذان بيتي على العفاء . فقال : سأدعهم يثبون وثوب الأسود . ثم أرسل لها ما ملأ البيت من سائر الحبوب والأطعمة . (والعفاء التراب . ومرادها أنه لم يبق في بيتها شيء يأكله الفار)

شقيق والبطيخة

٢٤٠ اشترى شقيق البلخي بطيخة لامرأته . فوجدتها غير طيبة

فَغَضِبَتْ. فَقَالَ لَهَا: عَلَى مَنْ تَغْضَبِينَ. أَعَلَى ٱلْبَائِعِ. أَمْ عَلَى ٱلْمُشْتَرِي. أَمْ عَلَى ٱلزَّارِعِ. أَمْ عَلَى ٱلْخَالِقِ. فَأَمَّا ٱلْبَائِعُ فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَكَانَ أَطْيَبَ شَيْءٍ يُرْغَبُ فِيهِ. وَأَمَّا ٱلْمُشْتَرِي فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَٱشْتَرَى أَحْسَنَ ٱلْأَشْيَاءِ. وَأَمَّا ٱلزَّارِعُ فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَأَنْبَتَ أَحْسَنَ ٱلْأَشْيَاءِ. فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا غَضَبُكِ عَلَى ٱلْخَالِقِ فَٱتَّقِي ٱللهَ وَٱرْضَيْ بِقَضَائِهِ (للقليوبي)

اسحاق الموصلي عند البرامكة

٢٤١ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَهِيمَ ٱلْمَوْصِلِيُّ: دَعَانِي يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ ٱلْفَضْلَ وَجَعْفَرًا وَوَلَدَيْهِ جَالِسِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ إِسْحَاقُ: أَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَهْمُومًا فَأَرَدْتُ ٱلصَّبُوحَ لِأَتَسَلَّى فَغَنِّنِي صَوْتًا لَعَلِّي أَرْتَاحُ لَهُ فَغَنَّيْتُهُ:

إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ بِيَحْيَى وَبِٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرِ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لِجُودٍ أَكُفُّهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مِنْبَرِ

فَسُرَّ وَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَأَمَرَ لِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ وَلَدَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَحَمَلْتُ ٱلْمَالَ وَٱنْصَرَفْتُ (للنواجي)

الروم بموت احمد الخلفاء

٢٤٢ لَمَّا مَاتَ بَعْضُ ٱلْخُلَفَاءِ تَجَيَّشَتِ ٱلرُّومُ وَٱحْتَشَدَتْ وَٱجْتَمَعَتْ مُلُوكُهَا وَقَالُوا: ٱلْآنَ يَسْتَقِلُّ ٱلْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَتُمَكِّنُنَا ٱلْغِرَّةُ فِيهِمْ وَٱلْوَثْبَةُ عَلَيْهِمْ. وَضَرَبُوا فِي ذٰلِكَ مُشَاوَرَاتٍ. وَتَرَاجَعُوا فِيهِ بِٱلْمُنَاظَرَاتِ. وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ فُرْصَةُ ٱلدَّهْرِ. وَثُغْرَةُ ٱلنَّحْرِ. وَكَانَ رَجُلٌ

مِنْهُمْ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ غَائِبًا عَنْهُمْ فَقَالُوا: مِنَ الْحَزْمِ عَرْضُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ: لَا أَرَى ذٰلِكَ صَوَابًا. فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذٰلِكَ. فَقَالَ: غَدًا أُخْبِرُكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَيْهِ لِلْوَعْدِ وَقَالُوا: لَقَدْ وَعَدْتَنَا. قَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كَلْبَيْنِ عَظِيمَيْنِ قَدْ أَعَدَّهُمَا. ثُمَّ حَرَشَ بَيْنَهُمَا وَأَلَّبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَتَوَاثَبَا وَتَهَارَشَا حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا. فَلَمَّا بَلَغَ الْغَايَةَ فَتَحَ بَابَ بَيْتٍ عِنْدَهُ وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَلْبَيْنِ ذِئْبًا عِنْدَهُ قَدْ أَعَدَّهُ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ تَرَكَا مَا كَانَا عَلَيْهِ وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا. وَوَثَبَا جَمِيعًا عَلَى الذِّئْبِ فَنَالَا مِنْهُ مَا أَرَادَا. ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ: مَثَلُكُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هٰذَا الذِّئْبِ مَعَ الْكِلَابِ لَا يَزَالُ الْهَرْجُ وَالْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَتَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ. فَاسْتَحْسَنُوا قَوْلَهُ وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِ

الرشيد والذكي

٢٤٣ يُحْكَى أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ فَقَالَ: إِنِّي أَصْنَعُ مَا تَعْجِزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ. فَقَالَ الرَّشِيدُ: هَاتِ. فَأَخْرَجَ أُنْبُوبَةً فَصَبَّ مِنْهَا إِبَرًا عِدَّةً. ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الْأَرْضِ. وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يَرْمِي إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ فَتَقَعُ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ الْإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ حَتَّى فَرَغَ دَسْتُهُ. فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ مِائَةَ سَوْطٍ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ. فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْهَوَانِ فَقَالَ: وَصَلْتُهُ لِجَوْدَةِ ذَكَائِهِ. وَأَدَّبْتُهُ لِكَيْ لَا يَصْرِفَ فَرْطَ ذَكَائِهِ فِي الْفُضُولِ

الملك وسائق الحمار

٢٤٤ مَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِغُلَامٍ يَسُوقُ حِمَارًا غَيْرَ مُنْبَعِثٍ وَقَدْ عَنُفَ عَلَيْهِ فِي السَّوْقِ فَقَالَ : يَا غُلَامُ ارْفُقْ بِهِ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ فِي الرِّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا مَضَرَّتُهُ . قَالَ : يَطُولُ طَرِيقُهُ وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ . وَفِي الْعُنْفِ بِهِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ . قَالَ : يَخِفُّ حِمْلُهُ وَيَطُولُ أَكْلُهُ . قَالَ : فَأَعْجَبَ الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : رِزْقٌ مَقْدُورٌ . وَوَاهِبٌ مَأْجُورٌ . قَالَ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِ اسْمِكَ فِي جَيْشِي . فَقَالَ : كُفِيتُ مُؤْنَةً . وَرُزِقْتُ بِهَا مَعُونَةً . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ حَدِيثُ السِّنِّ لَاسْتَوْزَرْتُكَ . قَالَ : لَنْ يَعْدَمَ الْفَضْلَ مَنْ رُزِقَ الْعَقْلَ . قَالَ : فَهَلْ تَصْلُحُ لِذَلِكَ . قَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ بَعْدَ التَّجْرِبَةِ . وَلَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى يَبْلُوَهَا . قَالَ : فَاسْتَوْزَرَهُ فَوَجَدَهُ ذَا رَأْيٍ صَائِبٍ وَفَهْمٍ رَحِيبٍ وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ التَّوْفِيقِ

(للطرطوشي)

٢٤٥ فَرَّ حَمَاسُ عَنِ الْعَدُوِّ مُنْهَزِمًا يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ . فَلَامَتْهُ امْرَأَتُهُ ، فَقَالَ :

إِنَّكِ لَوْ شَاهَدْتِ يَوْمَ الْخَنْدَمَهْ ... إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ
إِذْ لَحِقُونَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَهْ ... يَفْلِقْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهْ ... لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ

عمر بن الخطاب والصمصامة

٢٤٦ بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِسَيْفِهِ الْمَعْرُوفِ بِالصَّمْصَامَةِ. فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ. فَلَمَّا ضَرَبَ بِهِ وَجَدَهُ دُونَ مَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْهُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي ذٰلِكَ. فَرَدَّ عَلَيْهِ: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّيْفِ وَلَمْ أَبْعَثْ بِالسَّاعِدِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ

ابرهيم الموصلي عند الرشيد

٢٤٧ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: كُنْتُ عِنْدَ الرَّشِيدِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ فَأَنْشَدَهُ:

وَآمِرَةٍ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا اقْصِرِي فَلَيْسَ إِلَى مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ
فَعَالِي فَعَالُ الْمُكْثِرِينَ تَجَمُّلًا وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
فَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أُحْرَمُ الْغِنَى وَرَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ

فَقَالَ: لِلّٰهِ أَبْيَاتٌ تَأْتِينَا بِهَا مَا أَحْسَنَ أُصُولَهَا. وَأَبْيَنَ فُصُولَهَا. وَأَقَلَّ فُضُولَهَا. يَا غُلَامُ أَعْطِهِ عِشْرِينَ أَلْفًا. قَالَ: وَاللّٰهِ لَا أَخَذْتُ مِنْهَا دِرْهَمًا. قَالَ: وَلِمَ. قَالَ: لِأَنَّ كَلَامَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ شِعْرِي. قَالَ: أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَصْيَدُ لِدَرَاهِمِ الْمُلُوكِ مِنِّي

٢٤٨ كَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى بَعْضِ وُلَاةِ الْكُوفَةِ رُقْعَةً فِيهَا هٰذِهِ الْأَبْيَاتُ:

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ الرَّحِيمِ

فَأَمَّا بَعْدَ ذَاكَ فَلِي غَرِيمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قُبِّحَ مِنْ غَرِيمِ
لَزُومٌ مَا عَلِمْتُ لِبَابِ دَارِي لُزُومَ الْكَلْبِ أَصْحَابَ الرَّقِيمِ
لَهُ مِائَةٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أُخْرَى وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صَكٍّ قَدِيمِ
دَرَاهِمُ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي تَمِيمِ
قَالَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (للشريشي)

ازهر وابو جعفر المنصور

٢٤٩ رَوَى الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ إِذَا دَخَلَ دَخَلَ مُسْتَتِرًا. فَكَانَ يَجْلِسُ فِي حَلْقَةِ أَزْهَرَ السَّمَّانِ الْمُحَدِّثِ. فَلَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ قَدِمَ عَلَيْهِ أَزْهَرُ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَرَّبَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ يَا أَزْهَرُ. قَالَ: دَارِي مُنْهَدِمَةٌ. وَعَلَيَّ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَوَصَلَهُ بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَقَالَ: قَدْ قَضَيْنَا حَاجَتَكَ يَا أَزْهَرُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا. فَأَخَذَهَا وَارْتَحَلَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ فَلَمَّا رَآهُ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ. قَالَ: جِئْتُكَ مُسَلِّمًا. قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَاذْهَبْ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا مُسَلِّمًا. فَأَخَذَهَا وَمَضَى. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ. فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ. قَالَ: أَتَيْتُ عَائِدًا. قَالَ: إِنَّهُ يَقَعُ فِي خَلَدِي أَنَّكَ جِئْتَ طَالِبًا. قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا عَائِدًا. قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا. وَاذْهَبْ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا مُسَلِّمًا وَلَا عَائِدًا. فَأَخَذَهَا وَانْصَرَفَ. فَلَمَّا مَضَتِ السَّنَةُ أَقْبَلَ. فَقَالَ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ.

قالَ : دُعاءٌ كُنتُ أَسمعُكَ تَدعُو بِهِ يا أَميرَ المُؤمنينَ جِئتُ لِأَكتُبَهُ. فَضَحِكَ أَبُو جَعفرٍ وقالَ : إِنَّهُ دُعاءٌ غيرُ مُستجابٍ . وذٰلِكَ أَنِّي قَدْ دَعَوتُ اللهَ بِهِ أَنْ لا أَرَاكَ فَلَمْ يَستَجِبْ لِي وقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِاثْنَي عَشَرَ أَلفاً . وتَعالَ مَتَى شِئتَ فَقَدْ أَعيَتْنِي فِيكَ الحِيَلُ

٢٥٠ أَبطَأَ عُبيدُ اللهِ بنُ يَحيَى عَنِ الدِّيوانِ فَأَرسَلَ إِلَيهِ المُتَوكِّلُ يَتَعَرَّفُ خَبَرَهُ فَكَتَبَ إِلَيهِ :

عَلِيلٌ مِنْ مَكانَيْنِ مِنَ الإِفلاسِ والدَّيْنِ
فَفِي هٰذَيْنِ لِي شُغْلٌ وَحَسبِي شُغْلُ هٰذَيْنِ

فَبَعَثَ إِلَيهِ بِأَلفِ دِينارٍ

المستعطي بالحلم

٢٥١ قالَ العُتبِيُّ : دَخَلَ ابنُ دِعبِلٍ عَلَى بِشرِ بنِ مَروانَ لَمَّا وَلِيَ الكُوفَةَ فَقَعَدَ بَينَ السِّماطَينِ ثُمَّ قالَ : أَيُّها الأَميرُ إِنِّي رَأَيتُ رُؤيا فَأَذِنْ لِي فِي قَصِّها . فَقالَ : قُلْ . فَقالَ :

أَغفَيتُ قَبلَ الصُّبحِ نَومَ مُسَهَّدٍ فِي ساعَةٍ مَا كُنتُ قَبلُ أَنامُها
فَرَأَيتُ أَنَّكَ جُدتَ لِي بِوَصِيفَةٍ مَوسُومَةٍ حَسَنٌ عَلَيَّ قِيامُها
وَبِبَدْرَةٍ حُمِلَتْ إِلَيَّ وَبَغْلَةٍ شَهباءَ نَاجِيَةٍ يَصِرُّ لِجَامُها

قالَ لَهُ بِشرُ بنُ مَروانَ : كُلُّ شَيءٍ رَأَيتَ فَهُوَ عِندِي إِلَّا البَغْلَةَ فَإِنَّها دَهماءُ فَارِهَةٌ . قالَ : بِرِئتُ مِن نَسبِي إِنْ كُنتُ رَأَيتُها إِلَّا دَهماءَ إِلَّا أَنِّي غَلِطتُ

٢٥٢ قَالَ ٱلْبَطَيْنُ ٱلشَّاعِرُ: قَدِمْتُ عَلَى ٱبْنِ يَحْيَى ٱلْأَرْمِينِيِّ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

رَأَيْتُ فِي ٱلنَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا ... وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِّي دَنَانِيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ حِذْقٌ وَمَعْرِفَةٌ ... رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسِّرْ غَدًا عِنْدَ ٱلْأَمِيرِ تَجِدْ ... تَعْبِيرَ ذَاكَ وَفِي ٱلْقَالِ ٱلْبَشَائِيرُ
فَجِئْتُ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرَحًا ... وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِٱلْفِعْلِ تَبْشِيرُ

(قَالَ) فَوَقَّعَ لِي فِي أَسْفَلِ كِتَابِي: أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ. ثُمَّ أَمَرَ لِي بِكُلِّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ فِي أَبْيَاتِي وَرَأَيْتُهُ فِي مَنَامِي

٢٥٣ مَدَحَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ أَمِيرًا فَخَيَّبَهُ. فَأَنْشَدَهُ:

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِيكَ مَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَخْلَلْتُ آمَالِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعِ

السائل وعبيد الله بن عباس

٢٥٤ مِنْ جُودِ عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَتَاهُ سَائِلٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ لَهُ: صَدَقَ فَإِنِّي نُبِّئْتُ أَنَّ عُبَيْدَ ٱللهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَعْطَى سَائِلًا أَلْفَ دِرْهَمٍ فَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: وَأَيْنَ أَنَا مِنْ عُبَيْدِ ٱللهِ. قَالَ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْهُ فِي ٱلْحَسَبِ أَمْ فِي كَثْرَةِ ٱلْمَالِ. قَالَ: فِيهِمَا. قَالَ: أَمَّا ٱلْحَسَبُ فِي ٱلرَّجُلِ مُرُوءَتُهُ وَفِعْلُهُ. وَإِذَا شِئْتَ فَعَلْتَ. وَإِذَا فَعَلْتَ كُنْتَ حَسِيبًا. فَأَعْطَاهُ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ ضِيقِ ٱلْحَالِ. فَقَالَ لَهُ ٱلسَّائِلُ:

إنْ لَمْ تَكُنْ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْهُ. وَإِنْ كُنْتَ هُوَ فَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسِ. فَأَعْطَاهُ أَلْفًا أُخْرَى. فَقَالَ ٱلسَّائِلُ: هٰذِهِ هَزَّةُ كَرِيمٍ حَسِيبٍ. وَاللهِ لَقَدْ نَقَرَتْ حَبَّةَ قَلْبِي فَأَفْرَغْتَهَا فِي قَلْبِكَ فَمَا أَخْطَأْتُ إِلَّا بِٱعْتِرَاضِ ٱلشَّدِّ مِنْ جَوَانِحِي

٢٥٥ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُطَيْرٍ: أَنْشَدْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ طَاهِرٍ أَبْيَاتًا كُنْتُ مَدَحْتُ بِهَا بَعْضَ ٱلْوُلَاةِ وَهِيَ:

لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسُ ... وَيَوْمُ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعُمُ
فَيَقْطُرُ يَوْمَ ٱلْجُودِ مِنْ كَفِّهِ ٱلنَّدَى ... وَيَقْطُرُ يَوْمَ ٱلْبُؤْسِ مِنْ كَفِّهِ ٱلدَّمُ
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْبُؤْسِ لَمْ يَثْنِ كَفَّهُ
عَنِ ٱلنَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُجْرِمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْجُودِ فَرَّغَ كَفَّهُ
لِبَذْلِ ٱلنَّدَى مَا كَانَ بِٱلْأَرْضِ مُعْدِمُ

فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ: كَمْ أَعْطَاكَ. قُلْتُ: خَمْسَةَ آلَافٍ. قَالَ: فَقَبِلْتَهَا. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ لِي: أَخْطَأْتَ. مَا ثَمَنُ هٰذِهِ إِلَّا مِائَةُ أَلْفٍ

٢٥٦ قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ: سَمِعْتُ عَمِّي يُنْشِدُ لِأَبِي عَبَّاسٍ ٱلزُّبَيْرِيِّ:

وَكُلُّ خَلِيفَةٍ وَوَلِيِّ عَهْدٍ ... لَكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ ٱلْفِدَاءُ
إِمَارَتُكُمْ شِفَاءٌ حَيْثُ كَانَتْ ... وَبَعْضُ إِمَارَةِ ٱلْأَقْوَامِ دَاءُ
فَأَنْتُمْ تُحْسِنُونَ إِذَا مَلَكْتُمْ ... وَبَعْضُ ٱلْقَوْمِ إِنْ مَلَكُوا أَسَاؤُوا
أَأَجْعَلُكُمْ وَغَيْرَكُمْ سَوَاءً ... وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ ٱلْهَوَاءُ

هُمْ أَرْضٌ لِأَرْجُلِكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ سَمَاءٌ
فَقُلْتُ لَهُ : كَمْ أَعْطَى عَلَيْهَا . قَالَ : عِشْرِينَ أَلْفًا

٢٥٧ دَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ : كَبِرْتَ يَا مَعْنُ . قَالَ : فِي طَاعَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَتَتَجَلَّدُ . قَالَ : عَلَى أَعْدَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً . قَالَ : هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَيُّ الدَّوْلَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ أَبْغَضُ . أَدَوْلَتُنَا أَمْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ زَادَ بِرُّكَ عَلَى بِرِّهِمْ كَانَتْ دَوْلَتُكَ أَحَبَّ إِلَيَّ . وَإِنْ زَادَ بِرُّهُمْ عَلَى بِرِّكَ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ أَحَبَّ إِلَيَّ . قَالَ : صَدَقْتَ

٢٥٨ دَخَلَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا بَيْتَ الدِّيوَانِ فَرَأَى غُلَامًا جَمِيلًا عَلَى أُذُنِهِ قَلَمٌ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ . قَالَ : أَنَا النَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ . وَالْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ . وَالْمُؤَمِّلُ لِخِدْمَتِكَ الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ . قَالَ الْمَأْمُونُ : بِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيهَةِ تَفَاضَلَتِ الْعُقُولُ . إِرْفَعُوا هَذَا الْغُلَامَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ

٢٥٩ كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ إِلَى عَلِيلٍ :

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مُعْتَلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورِ
يَا لَيْتَ عِلَّتَهُ بِي ثُمَّ كَانَ لَهُ أَجْرُ الْعَلِيلِ وَإِنِّي غَيْرُ مَأْجُورِ

٢٦٠ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي شَكَاةٍ لَهُ يَعُودُهُ فَقَالَ :

أَللهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ الْإِمَامِ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْمَنَايَا دُونَهُ عَرَضُ

فَلَيْتَ أَنَّ الَّذِي يَعْرُوهُ مِنْ مَرَضٍ ... بِالْعَائِدِينَ جَمِيعًا لَا بِهِ الْمَرَضُ
فَبِالْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا عِوَضٌ ... وَلَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْهُ لَنَا عِوَضُ
فَمَا أُبَالِي إِذَا مَا نَفْسُهُ سَلِمَتْ ... لَوْ بَادَ كُلُّ عِبَادِ اللهِ وَانْقَرَضُوا

(لابن عبد ربه)

٢٦١ لَمَّا قَدِمَ نَصْرُ بْنُ مَنِيعٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ وَكَانَ قَدْ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: اسْمَعْ مِنِّي كَلِمَاتٍ أَقُولُهَا. قَالَ: قُلْ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

زَعَمُوا بِأَنَّ الصَّقْرَ صَادَفَ مَرَّةً ... عُصْفُورَ بَرٍّ سَاقَهُ التَّقْدِيرُ
فَتَكَلَّمَ الْعُصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ ... وَالصَّقْرُ مُنْقَضٌّ عَلَيْهِ يَطِيرُ
إِنِّي لِمِثْلِكَ لَا أَتَمَّ لُقْمَةً ... وَلَئِنْ شُوِيتُ فَإِنَّنِي لَحَقِيرُ
فَتَهَاوَنَ الصَّقْرُ الْمُدِلُّ بِصَيْدِهِ ... كَرَمًا وَأَفْلَتَ ذَلِكَ الْعُصْفُورُ

فَعَفَا عَنْهُ (لابن خلكان)

الدجاجة المدفونة في بقعة مباركة

٢٦٢ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ: نَزَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى خَيْمَةِ أَعْرَابِيَّةٍ وَلَهَا دَجَاجَةٌ وَقَدْ دَجَنَتْ عِنْدَهَا. فَذَبَحَتْهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَيْهِ. فَقَالَتْ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ هَذِهِ دَجَاجَةٌ لِي كُنْتُ أُدْجِنُهَا وَأَعْلِفُهَا مِنْ قُوتِي وَأُلْمِسُهَا فِي آنَاءِ اللَّيْلِ فَكَأَنَّمَا أُلْمِسُ بِنْتِي زَلَّتْ عَنْ كَبِدِي. فَنَذَرْتُ لِلهِ أَنْ أَدْفِنَهَا فِي أَكْرَمِ بُقْعَةٍ تَكُونُ. فَلَمْ أَجِدْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ الْمُبَارَكَةَ إِلَّا بَطْنَكَ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْفِنَهَا فِيهِ. فَضَحِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَمَرَ لَهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ

٢٦٣ دَخَلَ عَقِيلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ. فَأَجْلَسَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى سَرِيرِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَنْتُمْ مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ. قَالَ: وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ بَنِي أُمَيَّةَ تُصَابُونَ فِي بَصَائِرِكُمْ

٢٦٤ كَانَ بَطْلَمْيُوسُ الْأَخِيرُ مَلِكُ الرُّومِ يَقُولُ: يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْمِرْآةِ فَإِنْ رَأَى وَجْهَهُ حَسَنًا لَمْ يَشِنْهُ بِقُبْحٍ. وَإِنْ رَآهُ قَبِيحًا لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَبِيحَيْنِ (ثمرات الاوراق للحموي)

٢٦٥ قَالَ حَسَّانُ: خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ مُرَابِطِينَ إِلَى الشَّامِ. فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَأَنَا مَعَهُ فِي أَزِقَّةِ الْمَصِّيصَةِ إِذْ لَقِيَ سَكْرَانَ قَدْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى. فَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ بَرْنَامَجًا مِنْ كُمِّهِ فَكَتَبَ الْبَيْتَ. فَقُلْنَا لَهُ: أَتَكْتُبُ بَيْتَ شِعْرٍ سَمِعْتَهُ مِنْ سَكْرَانَ. قَالَ: أَمَا سَمِعْتُمُ الْمَثَلَ. رُبَّ جَوْهَرَةٍ فِي مَزْبَلَةٍ: قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: فَهَذِهِ جَوْهَرَةٌ فِي مَزْبَلَةٍ

٢٦٦ إِسْتَأْذَنَ نُصَيْبُ بْنُ رِيَاحٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فَقَالَ: أَعْلِمُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي قُلْتُ شِعْرًا أَوَّلُهُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ. فَأَعْلَمُوهُ فَأَذِنَ لَهُ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ فَقَدْ أَتَتْنَا بِكَ الْحَاجَاتُ وَالْقَدَرُ
فَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وَابْنُ سَيِّدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

فَأَمَرَ لَهُ بِحِلْيَةِ سَيْفِهِ (لابن عبد ربه)

٢٦٧ حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ: كَانَ ثَابِتُ قُطْنَةَ قَدْ وُلِّيَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ. فَلَمَّا صَعِدَ الْمِنْبَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَامَ الْكَلَامَ فَتَعَذَّرَ

عليه وحصر فقال : سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عيي بيانا. وأنتم إلى أمير فمال أحوج منكم إلى أمير قوال

وإلا أكن فيكم خطيبا فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان. (ويقال الأحنف بن قيس) فقال : والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه (الاغاني)

٢٦٨ نظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد. فونبه على ذلك فقال :

لا تجزعن من المداد فإنه عطر الرجال وحلية الكتاب

فأجابه :

حمار في الكتابة يدعيها كدعوى آل حرب في زياد

فدع عنك الكتابة لست منها ولو لطخت نفسك بالسواد

٢٦٩ حدث الغلابي قال : تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه. فقال أبو العتاهية يهجوه :

ألا قل لابن معن والذي م في الود قد حالا

لقد بلغت ما قال فما باليت ما قالا

ولو كان من الأسد لما راع ولا هالا

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا

فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

أرى قومك أبطالا وقد أصبحت بطالا

(قال) فقال عبد الله: ما لبست السيف قط فلحقني إنسان إلا قلت: إنه يحفظ شعر أبي العتاهية في فينظر إلي بسببه

(للشريشي)

٢٧٠ حدث المدائني قال: عير زياد الأعجم المغيرة بن حنباء في مجلس المهلب بالبرص. فقال له المغيرة: إن عتاق الخيل لا تشينها الأوضاح ولا تعير بالغرر والحجول. وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجل عيره بالبرص: إنما أنا سيف الله جلاه واستله على أعدائه

(الاغاني)

٢٧١ قيل لبعض المجانين وقد أقبل من المقبرة: من أين جئت فقال: من هذه القافلة النازلة. قيل: ماذا قلت لهم. قال: قلت لهم متى ترحلون. فقالوا: حين علينا تقدمون (لبهاء الدين)

٢٧٢ قال بعض الشعراء:

لكل فتى خرج من العيب ممتل
على كتفيه منه ومن أهل دهره
فعين عيوب الناس نصب عيونه
وعين عيوب النفس من خلف ظهره

وعد عرقوب

٢٧٣ كان عرقوب وعد رجلا تمر نخلة فلما أطلعت أتاه فقال: دعها حتى تبلح. فلما أبلحت قال: دعها حتى تزهي. فلما أزهت أتاه. فقال:

دَعْهَا حَتَّى تُرْطِبَ . ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : دَعْهَا حَتَّى تُتْمِرَ . فَلَمَّا أَتْمَرَتْ عَدَا عَلَيْهَا ٱلْبَلَاءُ فَجَدَّهَا فَضُرِبَ بِهِ ٱلْمَثَلُ فِي ٱلْخُلْفِ . قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

مَنْ كَانَ خُلْفَ ٱلْوَعْدِ شِيمَتَهُ وَٱلْغَدْرَ عُرْقُوبٌ لَهُ مَثَلُ

٢٧٤ حَدَّثَ أَبُو ٱلْعَالِيَةِ قَالَ : دَخَلَ ٱلتَّيْمِيُّ إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ ٱلرَّبِيعِ فِي يَوْمِ عِيدٍ فَأَنْشَدَهُ :

لَعَمْرُكَ مَا ٱلْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَإِنْ عَظَّمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ
تَرَى عُظَمَاءَ ٱلنَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَّعًا إِذَا مَا بَدَا وَٱلْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ ٱللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

فَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (الاغاني)

٢٧٥ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي ٱسْمِ عَلِيٍّ :

إِسْمُ ٱلَّذِي تَيَمَّنِي أَوَّلُهُ نَاظِرُهُ
إِنْ فَاتَنِي أَوَّلُهُ فَإِنَّ لِي آخِرُهُ

٢٧٦ لِمُجِيرِ ٱلدِّينِ فِي زَهْرِ ٱللَّوْزِ :

أَزْهَرَ ٱللَّوْزِ أَنْتَ لِكُلِّ زَهْرٍ مِنَ ٱلْأَزْهَارِ يَأْتِينَا إِمَامُ
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ ٱلْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ ٱلدُّنْيَا ٱبْتِسَامُ

٢٧٧ كَتَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَدِيَّةٍ وَأَرْسَلَهَا :

يَا أَيُّهَا ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي عَمَّتْ أَيَادِيهِ ٱلْجَلِيلَهْ
إِقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ يَرَى فِي حَقِّكَ ٱلدُّنْيَا قَلِيلَهْ

٢٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ لِٱبْنِ سِينَاءَ : هَلَّا تُسَافِرُ بَحْرًا . فَقَالَ :

لَا أَرْكَبُ ٱلْبَحْرَ أَخْشَى عَلَيَّ مِنْهُ ٱلْمَعَاطِبْ
طِينٌ أَنَا وَهُوَ مَاءٌ وَٱلطِّينُ فِي ٱلْمَاءِ ذَائِبْ

٢٧٩ سَمِعَ رَجُلٌ رَجُلًا يَقُولُ: أَيْنَ ٱلزَّاهِدُونَ فِي ٱلدُّنْيَا. ٱلرَّاغِبُونَ فِي ٱلْآخِرَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا هٰذَا ٱقْلِبْ كَلَامَكَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَنْ شِئْتَ

٢٨٠ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ ٱلْقُلُوبِ: إِنَّ ٱلنَّاسَ يَقُولُونَ: ٱفْتَحُوا أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُبْصِرُوا. وَأَنَا أَقُولُ: غَمِّضُوا أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُبْصِرُوا

٢٨١ كَانَ فِي زَمَانِ دِيُوجَانِسَ ٱلْحَكِيمِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ فَتَرَكَ ٱلتَّصْوِيرَ وَصَارَ طَبِيبًا فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ إِنَّكَ لَمَّا رَأَيْتَ خَطَأَ ٱلتَّصْوِيرِ ظَاهِرًا لِلْعَيْنِ وَخَطَأَ ٱلطِّبِّ يُوَارِيهِ ٱلتُّرَابُ تَرَكْتَ ٱلتَّصْوِيرَ وَدَخَلْتَ فِي ٱلطِّبِّ

٢٨٢ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ قَوْمًا يَجُودُونَ بِأَنْفُسِهِمْ:

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ لَا يَيْأَسُونَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِذَا قَتَلُوا

٢٨٣ وَفَدَ حَاجِبُ بْنُ زُرَارَةَ عَلَى أَنُوشِرْوَانَ فَٱسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لِلْحَاجِبِ: سَلْهُ مَنْ هُوَ. فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ أَنُوشِرْوَانُ: مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ: سَيِّدُ ٱلْعَرَبِ. قَالَ: أَلَيْسَ زَعَمْتَ أَنَّكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ. فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ كَذٰلِكَ. فَلَمَّا أَكْرَمَنِي ٱلْمَلِكُ بِمُكَالَمَتِهِ صِرْتُ سَيِّدَهُمْ. فَأَمَرَ بِحَشْوِ فِيهِ دُرًّا (للعاملي)

٢٨٤ قِيلَ: إِنَّ جَرِيرًا أَفْخَرُ ٱلْعَرَبِ حَيْثُ يَقُولُ:

تَرَى ٱلنَّاسَ إِنْ سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا
وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَّفُوا

عين لبصرت بقلعها

٢٨٥ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَحَدِ الْخُلَفَاءِ فَوَجَدَهُ جَالِسًا وَإِلَى جَانِبِهِ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ تُدْعَى خَالِصَةَ . وَعَلَيْهَا مِنَ الْحُلَى وَأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ وَاللَّآلِئِ مَا لَا يُوصَفُ . فَصَارَ الشَّاعِرُ يَمْتَدِحُهُ وَهُوَ يَسْهُو عَنِ اسْتِمَاعِهِ . فَلَمَّا خَرَجَ كَتَبَ عَلَى الْبَابِ :

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ

فَقَرَأَهُ بَعْضُ حَاشِيَةِ الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِهِ . فَغَضِبَ لِذَلِكَ وَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِ الشَّاعِرِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَابِ مَسَحَ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي لَفْظَةِ ضَاعَ . وَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا كَتَبْتَ عَلَى الْبَابِ . قَالَ : كَتَبْتُ

لَقَدْ ضَاءَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاءَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ

فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ . وَخَرَجَ الشَّاعِرُ وَهُوَ يَقُولُ : لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ شِعْرٍ قُلِعَتْ عَيْنَاهُ فَأَبْصَرَ (للنواجي)

٢٨٦ تَفَاخَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَحَدِ الشُّعَرَاءِ . فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ وَتَرَى الشَّرِيفَ يَحُطُّهُ شَرَفُهْ
كَالْبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لُؤْلُؤُهُ سُفْلًا وَتَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُهْ

قَالَ آخَرُ فِي هٰذَا الْمَعْنَى :

لَا غَرْوَ أَنْ فَاقَ الدَّنِيءُ أَخَا الْعَلَا فِي ذَا الزَّمَانِ وَهَلْ لِذَلِكَ جَاحِدُ
فَالدَّهْرُ كَالْمِيزَانِ يَرْفَعُ كُلَّ مَا هُوَ نَاقِصٌ وَيَحُطُّ مَا هُوَ زَائِدُ

الفلاح الحكيم

٢٨٧ .قيل: وقف كسرى على فلاح يغرس نخلا وقد طعن في السن. فقال له كسرى متعجبا منه: أيها الشيخ أتؤمل أن تأكل من ثمر هذا النخل وهو لا يحمل إلا بعد سنين كثيرة. وأنت قد فني عمرك. فقال: أيها الملك غرسوا وأكلنا وغرسنا فيأكلون. فقال متعجبا من كلامه: زه. وأعطى الفلاح ألف دينار فأخذها وقال: أيها الملك ما أعجل ما أثمر هذا النخل. فاستحسن كسرى ذلك وقال: زه. فأعطاه ألف دينار أخرى. فأخذها وقال: أيها الملك وأعجب من كل شيء أن النخل أثمر السنة مرتين. فاستحسن كسرى ذلك وقال: زه. فأعطاه ألف دينار أخرى ثم تركه وانصرف (للاتليدي)

عفو معن بن زائدة عن أسراه

٢٨٨ قيل: إن معنا قبض على عدة من الأسرى فعرضهم على السيف. فالتفت إليه بعضهم وقال له: أصلح الله الأمير لا تجمع علينا بين الجوع والعطش ثم القتل. فوالله إن كرم الأمير يبعد عن ذلك. فأمر لهم حينئذ بطعام وشراب. فأكلوا وشربوا ومعن ينظر إليهم. فلما فرغوا من أكلهم قالوا له: أيها الأمير أطال الله بقاءك إنا قد كنا أسراك والآن صرنا ضيوفك. فانظر كيف تصنع بضيوفك. فعند ذلك قال لهم معن: قد عفوت عنكم. فقال له أحدهم: والله أيها الأمير إن عندنا عفوك عنا أشرف من يوم

ظَفَرِكَ بِنَا. فَسَرَّ مَعْنًا هٰذَا الْكَلَامُ وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِكُسْوَةٍ وَمَالٍ
(لابن عبد ربّه)

٢٨٩ لَمَّا قُتِلَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ أَكْثَرَ الشُّعَرَاءُ مِنَ الْمَرَاثِي فِيهِ. فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ شِبْلِ الدَّوْلَةِ مُقَاتِلِ بْنِ عَطِيَّةَ:

كَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ جَوْهَرَةً
مَكْنُونَةً صَاغَهَا الْبَارِي مِنَ الشَّرَفِ
جَاءَتْ فَلَمْ تَعْرِفِ الْأَيَّامُ قِيمَتَهَا
فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدَفِ

المتنبي والكتاب

٢٩٠ مِنْ أَرَقِّ مَا حُكِيَ أَنَّ الْمُتَنَبِّيَ امْتَدَحَ بَعْضَ أَعْدَاءِ صَاحِبِ مَمْلَكَتِهِ. فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ فَتَوَعَّدَ الْمُتَنَبِّيَ بِالْقَتْلِ. فَخَرَجَ هَارِبًا ثُمَّ اخْتَفَى مُدَّةً. فَأُخْبِرَ الْمَلِكُ أَنَّهُ بِبَلْدَةِ كَذَا. فَقَالَ الْمَلِكُ لِكَاتِبِهِ: اكْتُبْ لِلْمُتَنَبِّي كِتَابًا وَلَطِّفْ لَهُ الْعِبَارَةَ. وَاسْتَعْطِفْ خَاطِرَهُ وَأَخْبِرْهُ أَنِّي رَضِيتُ عَنْهُ. وَمُرْهُ بِالرُّجُوعِ إِلَيْنَا. فَإِذَا جَاءَ إِلَيْنَا فَعَلْنَا بِهِ مَا نُرِيدُ. وَكَانَ بَيْنَ الْكَاتِبِ وَالْمُتَنَبِّي مُصَادَقَةٌ فِي السِّرِّ. فَلَمْ يَسَعِ الْكَاتِبَ إِلَّا الِامْتِثَالُ. فَكَتَبَ كِتَابًا وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَدُسَّ فِيهِ شَيْئًا خَوْفًا مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَقْرَأَهُ قَبْلَ خَتْمِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَكَتَبَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى شَدَّدَ النُّونَ (إِنَّ). وَقَرَأَهُ السُّلْطَانُ وَخَتَمَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمُتَنَبِّي. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَرَأَى تَشْدِيدَ النُّونِ ارْتَحَلَ مِنْ تِلْكَ الْبَلْدَةِ عَلَى الْفَوْرِ. فَقِيلَ لَهُ

في ذلك. فقال: أشار الكاتب بتشديد النون إلى ما جاء في القرآن: إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك. فاخرج إني لك من الناصحين. فانظر إلى بلوغ هذا الغرض بألطف عبارة. ويحكى أنَّ المتنبي كتب الجواب وزاد ألفا في آخر لفظة إنَّ إشارة إلى ما قيل: إنَّا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها (للنواجي)

٢٩١ قال بعضهم ملغزا في النار:

وآكلة بغير فم وبطن لها الأشجار والحيوان قوت
فما أطعمتها انتعشت وعاشت ولو أسقيتها ماء تموت

٢٩٢ وقال آخر ملغزا في بجع:

ما طائر في قلبه يلوح للناس عجب
منقاره في رأسه والعين منه في الذنب

٢٩٣ رأى أبو المعمار أميرا جائرا يصلي فقال:

قد بلينا بأمير ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم يذكر الله ويذبح

٢٩٤ قال عبد الحكم بن أبي إسحاق في رجل وجب عليه القتل. فرماه مستوفي القصاص بسهم فأصاب كبده فقتله. فقال عبد الحكم.

أخرجت من كبد القوس ابنها فغدت
تئن والأم قد تحنو على الولد

وَمَا دَرَتْ أَنَّـهُ لَمَّـا رَمَيْتَ بِهِ
مَا سَارَ مِنْ كَبِدٍ إِلَّا إِلَى كَبِـدِ

٢٩٥ كَانَ الْوَزِيرُ صَفِيُّ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ شُكْرٍ وَزِيرَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ ابْنِ أَيُّوبَ بِمِصْرَ. فَعَزَلَ عَبْدَ الْحَكَمِ الْمَذْكُورَ عَنْ خَطَابَةِ جَامِعِ مِصْرَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

فَلِأَيِّ بَابٍ غَيْرِ بَابِكَ أَرْجِعُ وَبِأَيِّ جُودٍ غَيْرِ جُودِكَ أَطْمَعُ
سُدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِبِي إِلَّا إِلَيْـكَ فَدُلَّنِي مَا أَصْنَعُ
فَكَأَنَّمَا الْأَبْوَابُ بَابُكَ وَحْدَهُ وَكَأَنَّمَا أَنْتَ الْخَلِيقَـةُ أَجْمَعُ

ذكاء المأمون

٢٩٦ حُكِيَ أَنَّ أُمَّ جَعْفَرٍ عَاتَبَتِ الرَّشِيدَ فِي تَقْرِيظِهِ لِلْمَأْمُونِ دُونَ الْأَمِينِ وَلَدِهَا. فَدَعَا خَادِمًا وَقَالَ لَهُ: وَجِّهْ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ خَادِمًا يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْخَلْوَةِ: مَا تَفْعَلُ بِي إِذَا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْكَ. فَأَمَّا الْأَمِينُ فَقَالَ لِلْخَادِمِ: أَقْطَعُكَ وَأُعْطِيكَ. وَأَمَّا الْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ قَامَ إِلَى الْخَادِمِ بِدَوَاةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: أَتَسْأَلُنِي عَمَّا أَفْعَلُ بِكَ يَوْمَ يَمُوتُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا فِدَاءً لَهُ. فَقَالَ الرَّشِيدُ لِأُمِّ جَعْفَرٍ: كَيْفَ تَرَيْنَ. فَسَكَتَتْ عَنِ الْجَوَابِ (لابن خلكان)

٢٩٧ لَمَّا قُتِلَ ذُو الرِّئَاسَتَيْنِ دَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ: لَا تَجْزَعِي فَإِنِّي ابْنُكِ بَعْدَ ابْنِكِ. فَقَالَتْ: أَفَلَا أَبْكِي عَلَى ابْنٍ أَكْسَبَنِي ابْنًا مِثْلَكَ

٢٩٨ نَظَرَ رَجُلٌ مِنَ الْحُذَّاقِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُهَّالِ النَّاسِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ حَسَنَةٌ وَيَتَكَلَّمُ وَيَلْحَنُ. فَقَالَ لَهُ: تَكَلَّمْ عَلَى قَدْرِ ثِيَابِكَ. أَوِ الْبَسْ عَلَى قَدْرِ كَلَامِكَ (للقيرواني)

٢٩٩ وَصَفَ بَعْضُ النَّبَلَاءِ بَخِيلًا فَقَالَ: هُوَ جَلَمٌ أَيْ مِقَصٌّ. مِنْ حَيْثُ جِئْتَهُ وَجَدْتَ لَا (الكنز المدفون)

٣٠٠ دَخَلَ طَبِيبٌ عَلَى عَلِيلٍ فَقَالَ لَهُ: أَنَا وَأَنْتَ وَالْعِلَّةُ ثَلَاثَةٌ فَإِنْ أَعَنْتَنِي عَلَيْهَا بِالْقَبُولِ مِنِّي صِرْنَا اثْنَيْنِ وَانْفَرَدَتِ الْعِلَّةُ فَقَوِينَا عَلَيْهَا (الملل والنحل للشهرساني)

٣٠١ كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى بَعْضِ إِخْوَتِهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الصَّلَاحُ وَزِيرُهُ مُسْتَشْفِعًا:

مِنْ شَرْطِ صَاحِبِ مِصْرٍ أَنْ يَكُونَ كَمَا
قَدْ كَانَ يُوسُفُ فِي الْحُسْنَى لِإِخْوَتِهِ
سَاؤُوا فَقَابَلَهُمْ بِالْعَفْوِ وَاغْتَفَرُوا
فَبَرَّهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ بِرَحْمَتِهِ

عبد الملك بن مروان والحجاج

٣٠٢ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنْ يُعْمَلَ بَابُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَيُكْتَبَ عَلَيْهِ اسْمُهُ. وَسَأَلَهُ الْحَجَّاجُ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ بَابًا. فَأَذِنَ لَهُ فَاتَّفَقَ أَنَّ صَاعِقَةً وَقَعَتْ فَاحْتَرَقَ مِنْهَا بَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَبَقِيَ بَابُ الْحَجَّاجِ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ. فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ: بَلَغَنِي أَنَّ نَارًا نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ

فَأَحْرَقَتْ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ تُحْرِقْ بَابَ الْحَجَّاجِ . وَمَا مَثَلُنَا فِي ذٰلِكَ إِلَّا كَمَثَلِ ابْنَيْ آدَمَ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ . فَسُرِّيَ عَنْهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ

٣٠٣ رَوَى الْحَافِظُ الْحُمَيْدِيُّ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ الْأُمَوِيِّ فِي الْافْتِرَاقِ:

إِنْ كَانَتِ الْأَبْدَانُ نَائِيَةً فَنُفُوسُ أَهْلِ الظَّرْفِ تَأْتَلِفُ
يَا رُبَّ مُفْتَرِقَيْنِ قَدْ جَمَعَتْ قَلْبَيْهِمَا الْأَقْلَامُ وَالصُّحُفُ

٣٠٤ مِنْ شِعْرِ ابْنِ مُسْهِرٍ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ فِي عِلَّةٍ:

وَلَمَّا اشْتَكَيْتَ اشْتَكَى كُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ وَاعْتَلَّ شَرْقٌ وَغَرْبُ
لِأَنَّكَ قَلْبٌ لِجِسْمِ الزَّمَانِ وَمَا صَحَّ جِسْمٌ إِذَا اعْتَلَّ قَلْبُ

٣٠٥ قَالَ أَبُو الْأَيْمُونِ الْمُبَارَكُ الْكِنَانِيُّ فِي الْبَرَاغِيثِ:

وَمَعْشَرٍ يَسْتَحِلُّ النَّاسُ قَتْلَهُمْ كَمَا اسْتَحَلُّوا دَمَ الْحَجَّاجِ فِي الْحَرَمِ
إِذَا سَفَكْتُ دَمًا مِنْهَا فَمَا سَفَكَتْ يَدَايَ مِنْ دَمِهَا الْمَسْفُوكِ غَيْرَ دَمِي

٣٠٦ كَلَّمَ الشَّعْبِيُّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ أَمِيرَ الْعِرَاقَيْنِ فِي قَوْمٍ حَبَسَهُمْ لِيُطْلِقَهُمْ فَأَبَى . فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْبَاطِلِ فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ . وَإِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْحَقِّ فَالْعَفْوُ يَسَعُهُمْ . فَأَطْلَقَهُمْ

(لابن خلكان)

٣٠٧ لَمَّا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَصْرَهُ جَالَ قَصْرَ الْمَأْمُونِ قِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ وَبَاهَاكَ . فَدَعَاهُ وَقَالَ: لِمَ بَنَيْتَ هٰذَا الْقَصْرَ حِذَائِي . قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْبَبْتُ أَنْ تَرَى نِعْمَتَكَ عَلَيَّ فَجَعَلْتُهُ نُصْبَ

عينك . فاستحسن المأمون جوابه وعفا عنه (للمستعصمي)

ان للعالم خالقا

٣٠٨ حكي أن دهريا جاء إلى هارون الرشيد وقال : يا أمير المؤمنين قد اتفق علماء عصرك مثل أبي حنيفة على أن للعالم صانعا . فمن كان فاضلا من هؤلاء فمره أن يحضر ههنا حتى أبحث معه بين يديك وأثبت أنه ليس للعالم صانع . فأرسل هارون الرشيد إلى أبي حنيفة لأنه كان أفضل العلماء . وقال : يا إمام المسلمين اعلم أنه قد جاء إلينا دهري وهو يدعي نفي الصانع ويدعوك إلى المناظرة . فقال أبو حنيفة : أذهب بعد الظهر . فجاء رسول الخليفة وأخبر بما قال أبو حنيفة . فأرسل ثانيا . فقام أبو حنيفة وأتى إلى هارون الرشيد . فاستقبله هارون وجاء به وأجلسه في الصدر وقد اجتمع الأكابر والأعيان . فقال الدهري : يا أبا حنيفة لم أبطأت في مجيئك . فقال أبو حنيفة : قد حصل لي أمر عجيب فلذلك أبطأت . وذلك أن بيتي وراء دجلة . فخرجت من منزلي وجئت إلى جنب دجلة حتى أعبرها فرأيت بجنب دجلة سفينة عتيقة مقطعة قد افترق ألواحها . فلما وقع بصري عليها اضطربت الألواح وتحركت واجتمعت وتوصل بعضها ببعض وصارت السفينة صحيحة بلا نجار ولا عمل عامل . فقعدت عليها وعبرت الماء وجئت ههنا . فقال الدهري : اسمعوا أيها الأعيان ما يقول إمامكم وأفضل زمانكم .

فَهَلْ سَمِعْتُمْ كَلَامًا أَكْذَبَ مِنْ هٰذَا كَيْفَ تَحْصُلُ السَّفِينَةُ الْمَكْسُورَةُ بِلَا عَمَلِ نَجَّارٍ فَهُوَ كَذِبٌ مَحْضٌ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَائِكُمْ. فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: أَيُّهَا الْكَافِرُ الْمُطْلَقُ إِذَا لَمْ تَحْصُلِ السَّفِينَةُ بِلَا صَانِعٍ وَنَجَّارٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْصُلَ هٰذَا الْعَالَمُ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ بِعَدَمِ الصَّانِعِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِ عُنُقِ الدَّهْرِيِّ فَقَتَلُوهُ

(انيس الجليس للسوطي)

الباب التاسع
في الحكايات

٣٠٩ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْإِسْكَنْدَرِ إِنَّهُ دَعَاهُمْ فَلَكِيٌّ لَيْلَةً لِيُرِيَهُمُ النُّجُومَ وَيُعَرِّفَهُمْ خَوَاصَّهَا وَأَحْوَالَ سَيْرِهَا. فَأَدْخَلَهُمْ إِلَى بُسْتَانٍ وَجَعَلَ يَمْشِي مَعَهُمْ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيْهَا حَتَّى سَقَطَ فِي بِئْرٍ هُنَاكَ. فَقَالَ: مَنْ تَعَاطَى عِلْمَ مَا فَوْقَهُ بُلِيَ بِجَهْلِ مَا تَحْتَهُ (لبهاء الدين)

٣١٠ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا انْكَسَرَتْ بِهِ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ فَوَقَعَ إِلَى جَزِيرَةٍ. فَعَمِلَ شَكْلًا هَنْدَسِيًّا عَلَى الْأَرْضِ فَرَآهُ بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ وَكَتَبَ الْمَلِكُ إِلَى سَائِرِ مَمَالِكِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ اقْتَنُوا مَا إِذَا كُسِرْتُمْ فِي الْبَحْرِ صَارَ مَعَكُمْ

(تاريخ الحكماء للشهرزوري)

بزرجمهر في حبسه

٣١١ سَخِطَ كِسْرَى عَلَى بُزُرْجُمِهْرَ فَحَبَسَهُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَمَرَ أَنْ يُصَفَّدَ بِالْحَدِيدِ فَبَقِيَ أَيَّامًا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فَإِذَا هُوَ مَشْرُوحُ الصَّدْرِ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ فِي هٰذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الضِّيقِ وَتَرَاكَ نَاعِمَ الْبَالِ. فَقَالَ: اصْطَنَعْتُ سِتَّةَ أَخْلَاطٍ وَعَجَنْتُهَا وَاسْتَعْمَلْتُهَا فَهِيَ الَّتِي أَبْقَتْنِي عَلَى مَا تَرَوْنَ. قَالُوا: صِفْ لَنَا هٰذِهِ الْأَخْلَاطَ لَعَلَّنَا نَنْتَفِعُ بِهَا عِنْدَ الْبَلْوَى. فَقَالَ: نَعَمْ. أَمَّا الْخَلْطُ الْأَوَّلُ فَالثِّقَةُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَمَّا الثَّانِي فَكُلُّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ. وَأَمَّا الثَّالِثُ فَالصَّبْرُ خَيْرُ مَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُمْتَحَنُ. وَأَمَّا الرَّابِعُ فَإِذَا لَمْ أَصْبِرْ فَمَاذَا أَصْنَعُ وَلَا أُعِينُ نَفْسِي بِالْجَزَعِ. وَأَمَّا الْخَامِسُ فَقَدْ يَكُونُ أَشَدُّ مِمَّا أَنَا فِيهِ. وَأَمَّا السَّادِسُ فَمِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجٌ. فَبَلَغَ مَا قَالَهُ كِسْرَى. فَأَطْلَقَهُ وَأَعَزَّهُ

٣١٢ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاقِفًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ فَسَمِعَ صَوْتَ رَعْدٍ فَفَزِعَ سُلَيْمَانُ مِنْهُ وَوَضَعَ صَدْرَهُ عَلَى مُقَدَّمِ رَحْلِهِ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هٰذَا صَوْتُ رَحْمَتِهِ فَكَيْفَ صَوْتُ عَذَابِهِ

المدعو الى الوليمة والسائل

٣١٣ دَعَا رَجُلٌ آخَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ: لِنَأْكُلْ مَعَكَ خُبْزًا وَمِلْحًا. فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّ ذٰلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ طَعَامٍ لَطِيفٍ لَذِيذٍ أَعَدَّهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ. فَمَضَى مَعَهُ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْخُبْزِ وَالْمِلْحِ. فَبَيْنَمَا هُمَا يَأْكُلَانِ إِذْ وَقَفَ

بِٱلْبَابِ سَائِلٌ . فَنَهَرَهُ صَاحِبُ ٱلْمَنْزِلِ مِرَارًا فَلَمْ يَنْزَجِرْ . فَقَالَ لَهُ : ٱذْهَبْ وَإِلَّا خَرَجْتُ وَكَسَرْتُ رَأْسَكَ . فَقَالَ ٱلْمَدْعُوُّ : يَا هٰذَا ٱنْصَرِفْ فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ مِنْ صِدْقِ وَعِيدِهِ مَا عَرَفْتُ مِنْ صِدْقِ وَعْدِهِ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ

علي بن ابي رافع وابنة علي بن ابي طالب

٣١٤ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ . قَالَ : كُنْتُ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكَاتِبَهُ . فَكَانَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عِقْدُ لُؤْلُؤٍ كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ ٱلْبَصْرَةِ فَأَرْسَلَتْ إِلَيَّ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عِقْدَ لُؤْلُؤٍ . وَهُوَ فِي يَدِكَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي يَوْمِ ٱلْأَضْحَى . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَتْ : نَعَمْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهَا وَإِذْ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَآهُ عَلَيْهَا فَعَرَفَهُ . فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكِ هٰذَا ٱلْعِقْدُ . فَقَالَتِ : ٱسْتَعَرْتُهُ مِنِ ٱبْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِأَتَزَيَّنَ بِهِ فِي ٱلْعِيدِ ثُمَّ أَرُدَّهُ . فَبَعَثَ إِلَيَّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَجِئْتُهُ فَقَالَ لِي : أَتَخُونُ ٱلْمُسْلِمِينَ يَا ٱبْنَ أَبِي رَافِعٍ . فَقُلْتُ : مَعَاذَ ٱللهِ أَنْ أَخُونَ ٱلْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ : كَيْفَ أَعَرْتَ بِنْتَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْعِقْدَ ٱلَّذِي فِي بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ إِذْنِي وَرِضَاهُمْ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا بِنْتُكَ وَسَأَلَتْنِي أَنْ أُعِيرَهَا تَتَزَيَّنُ بِهِ . فَأَعَرْتُهَا إِيَّاهُ عَارِيَّةً مَضْمُونَةً مَرْدُودَةً

عَلَى أَنْ تَرُدَّهُ سَالِمًا إِلَى مَوْضِعِهِ . فَقَالَ : رُدَّهُ مِنْ يَوْمِكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ فَتَنَالَكَ عُقُوبَتِي . ثُمَّ قَالَ : وَيْلٌ لِابْنَتِي . لَوْ كَانَتْ أَخَذَتِ الْعِقْدَ عَلَى غَيْرِ عَارِيَةٍ مَرْدُودَةٍ مَضْمُونَةٍ لَكَانَتْ إِذَنْ أَوَّلَ هَاشِمِيَّةٍ قَطَعْتُ يَدَهَا فِي سَرِقَةٍ . فَبَلَغَتْ مَقَالَتُهُ ابْنَتَهُ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا ابْنَتُكَ وَبَضْعَةٌ مِنْكَ فَمَنْ أَحَقُّ بِلُبْسِهِ مِنِّي . فَقَالَ لَهَا : يَا بِنْتَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكِ عَنِ الْحَقِّ . أَكُلُّ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَتَزَيَّنَّ فِي مِثْلِ هٰذَا الْعِيدِ بِمِثْلِ هٰذَا . فَقَبَضْتُهُ مِنْهَا وَرَدَدْتُهُ إِلَى مَوْضِعِهِ (لبهاء الدين)

الحلاوة المدَّخرة

٣١٥ حَدَّثَ عَنِ الْوَزِيرِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ الْقُمِّيِّ مَمْلُوكُهُ بَدْرُ الدِّينِ أَيَازُ قَالَ : طَلَبَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي حَلَاوَةَ النَّبَاتِ فَعُمِلَ فِي الْحَالِ مِنْهَا صُحُونٌ كَثِيرَةٌ وَأُحْضِرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . فَقَالَ لِي : يَا أَيَازُ أَتَقْدِرُ أَنْ تَدَّخِرَ هٰذِهِ الْحَلَاوَةَ لِي مُوَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا وَكَيْفَ يَكُونُ ذٰلِكَ وَهَلْ يُمْكِنُ هٰذَا . قَالَ : نَعَمْ . تَمْضِي فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ إِلَى مَشْهَدِ مُوسَى وَالْجَوَادِ . تَضَعُ هٰذِهِ الْأَصْحُنَ قُدَّامَ أَيْتَامِ الْعَلَوِيِّينَ فَإِنَّهَا تُدَّخَرُ لِي مُوَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَيَازُ : فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَمَضَيْتُ وَكَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ إِلَى الْمَشْهَدِ وَفَتَحْتُ الْأَبْوَابَ وَنَبَّهْتُ الصِّبْيَانَ الْأَيْتَامَ وَوَضَعْتُ الْأَصْحُنَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَرَجَعْتُ (للفخري)

بهرام جور والراعي

٣١٦ حُكِيَ أَنَّ الْمَلِكَ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ يَوْمًا لِلصَّيْدِ فَظَهَرَ لَهُ حِمَارُ وَحْشٍ فَاتَّبَعَهُ حَتَّى خَفِيَ عَنْ عَسْكَرِهِ. فَظَفِرَ بِهِ فَمَسَكَهُ. وَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهُ. فَرَأَى رَاعِيًا أَقْبَلَ مِنَ الْبَرِّيَّةِ فَقَالَ لَهُ: يَا رَاعِي أَمْسِكْ فَرَسِي هٰذَا حَتَّى أَذْبَحَ هٰذَا الْحِمَارَ فَمَسَكَهُ ثُمَّ تَشَاغَلَ بِذَبْحِ الْحِمَارِ. فَلَاحَتْ مِنْهُ الْتِفَاتَةٌ فَرَأَى الرَّاعِيَ يَقْطَعُ جَوْهَرَةً فِي عِذَارِ فَرَسِهِ. فَأَعْرَضَ الْمَلِكُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَهَا وَقَالَ: إِنَّ النَّظَرَ إِلَى الْعَيْبِ مِنَ الْعَيْبِ. ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَلَحِقَ بِعَسْكَرِهِ. فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ أَيْنَ جَوْهَرَةُ عِذَارِ فَرَسِكَ. فَتَبَسَّمَ الْمَلِكُ ثُمَّ قَالَ: أَخَذَهَا مَنْ لَا يَرُدُّهَا وَأَبْصَرَ مَنْ لَا يَنِمُّ عَلَيْهِ فَمَنْ رَآهَا مِنْكُمْ مَعَ أَحَدٍ فَلَا يُعَارِضْهُ بِشَيْءٍ بِسَبَبِ ذٰلِكَ (للقليوبي)

الملك المتعظ بمجنون

٣١٧ مِنَ الْحِكَايَاتِ اللَّطِيفَةِ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ قَصَدَ التَّفَرُّجَ عَلَى الْمَجَانِينِ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَأَى فِيهِمْ شَابًّا حَسَنَ الْهَيْئَةِ نَظِيفَ الصُّورَةِ يُرَى عَلَيْهِ آثَارُ اللُّطْفِ. وَتَلُوحُ عَلَيْهِ شَمَائِلُ الْفِطْنَةِ. فَدَنَا مِنْهُ وَسَأَلَهُ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ عَنْ جَمِيعِهَا بِأَحْسَنِ جَوَابٍ. فَتَعَجَّبَ مِنْهُ عَجَبًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ الْمَجْنُونَ قَالَ لِلْمَلِكِ: قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَبْتُكَ وَإِنِّي سَأَسْأَلُكَ سُؤَالًا وَاحِدًا. قَالَ: وَمَا هُوَ. قَالَ: مَتَى يَجِدُ النَّائِمُ لَذَّةَ النَّوْمِ. فَفَكَّرَ الْمَلِكُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: يَجِدُ لَذَّةَ النَّوْمِ حَالَ نَوْمِهِ. فَقَالَ

ٱلْمَجْنُونُ : حَالَةُ ٱلنَّوْمِ لَيْسَ لَهُ إِحْسَاسٌ . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : قَبْلَ ٱلدُّخُولِ فِي ٱلنَّوْمِ . فَقَالَ ٱلْمَجْنُونُ : كَيْفَ تُوجَدُ لَذَّتُهُ قَبْلَ وُجُودِهِ . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : بَعْدَ ٱلنَّوْمِ . فَقَالَ ٱلْمَجْنُونُ : تُوجَدُ لَذَّتُهُ وَقَدِ ٱنْقَضَى . فَتَحَيَّرَ ٱلْمَلِكُ وَزَادَ إِعْجَابُهُ . وَقَالَ : لَعَمْرِي إِنَّ هٰذَا لَا يَحْصُلُ مِنْ عُقَلَاءَ كَثِيرَةٍ فَأَوْلَى أَنْ يَكُونَ نَدِيمِي فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ وَأَمَرَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ تَخْتٌ بِإِزَاءِ شُبَّاكِ ٱلْمَجْنُونِ . ثُمَّ ٱسْتَدْعَى بِٱلشَّرَابِ فَحُضِرَ . فَتَنَاوَلَ ٱلْكَأْسَ وَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَ ٱلْمَجْنُونَ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنْتَ شَرِبْتَ هٰذَا لِتَصِيرَ مِثْلِي فَأَنَا أَشْرَبُهُ لِأَصِيرَ مِثْلَ مَنْ . فَٱتَّعَظَ ٱلْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَرَمَى ٱلْقَدَحَ مِنْ يَدِهِ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ (للاتليدي)

الشاب السارق

٣١٨ سَرَقَ شَابٌّ سَرِقَةً فَأُتِيَ بِهِ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ فَتَقَدَّمَ لِتُقْطَعَ يَدُهُ فَأَنْشَدَ ٱلشَّابُّ يَقُولُ :

يَدِي يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِيذُهَا بِعَفْوِكَ أَنْ تَلْقَى نَكَالًا يَشِينُهَا
فَلَا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا حَاجَةٌ بِهَا إِذَا مَا شِمَالٌ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا

وَكَانَتْ أُمُّ ٱلشَّابِّ وَاقِفَةً عَلَى رَأْسِهِ فَبَكَتْ وَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَلَدِي وَوَاحِدِي . نَاشَدْتُكَ ٱللهَ إِلَّا رَحِمْتَنِي وَهَدَّأْتَ لَوْعَتِي . وَجُدْتَ بِٱلْعَفْوِ عَمَّا ٱسْتَحَقَّ ٱلْعُقُوبَةَ . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : هٰذَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ ٱللهِ تَعَالَى . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْ هٰذَا ٱلْحَدِّ ذَنْبًا مِنَ ٱلذُّنُوبِ ٱلَّتِي تَسْتَغْفِرُ مِنْهَا . فَرَقَّ لَهَا ٱلْمَأْمُونُ وَعَفَا عَنْهُ

المأمون والفقير

٣١٩ حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَأْمُونَ أَشْرَفَ يَوْمًا عَلَى قَصْرِهِ فَرَأَى رَجُلًا يَكْتُبُ بِفَحْمَةٍ عَلَى حَائِطِ قَصْرِهِ. فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ لِبَعْضِ خَدَمِهِ: ٱذْهَبْ إِلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ فَٱنْظُرْ مَا كَتَبَ وَأْتِنِي بِهِ. فَبَادَرَ ٱلْخَادِمُ إِلَى ٱلرَّجُلِ مُسْرِعًا وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَالَ: مَا كَتَبْتَ. فَإِذَا هُوَ قَدْ كَتَبَ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ:

يَا قَصْرُ جُمِّعَ فِيكَ ٱلشُّؤْمُ وَٱللُّؤْمُ مَتَى يُعَشِّشُ فِي أَرْكَانِكَ ٱلْبُومُ
يَوْمًا يُعَشِّشُ فِيكَ ٱلْبُومُ مِنْ فَرَحِي أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنْعَاكَ مَرْغُومُ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَادِمَ قَالَ لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: سَأَلْتُكَ بِٱللهِ لَا تَذْهَبْ بِي إِلَيْهِ. فَقَالَ ٱلْخَادِمُ: لَا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ. ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا مَثُلَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأُعْلِمَ بِمَا كَتَبَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَأْمُونُ: وَيْلَكَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هٰذَا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا حَوَاهُ قَصْرُكَ هٰذَا مِنْ خَزَائِنِ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْحُلِيِّ وَٱلْحُلَلِ وَٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَٱلْفُرُشِ وَٱلْأَوَانِي وَٱلْأَمْتِعَةِ وَٱلْجَوَارِي وَٱلْخَدَمِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ وَصْفِي. وَيَعْجِزُ عَنْهُ فَهْمِي. وَإِنِّي قَدْ مَرَرْتُ عَلَيْهِ ٱلْآنَ وَأَنَا فِي غَايَةٍ مِنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْفَاقَةِ. فَوَقَفْتُ مُفَكِّرًا فِي أَمْرِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هٰذَا ٱلْقَصْرُ عَامِرٌ عَالٍ. وَأَنَا جَائِعٌ وَلَا فَائِدَةَ لِي فِيهِ. فَلَوْ كَانَ خَرَابًا وَمَرَرْتُ بِهِ لَمْ أَعْدَمْ رُخَامَةً أَوْ خَشَبَةً أَوْ مِسْمَارًا أَبِيعُهُ وَأَتَقَوَّتُ بِثَمَنِهِ. أَوَمَا عَلِمَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَعَاهُ ٱللهُ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ ٱمْرِئٍ نَصِيبٌ وَلَا حَظٌّ تَمَنَّى زَوَالَهَا

وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ يُزْجِي سِوَاهَا فَهْوَ يَهْوَى انْتِقَالَهَا

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ. ثُمَّ قَالَ: هِيَ لَكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَا دَامَ قَصْرُنَا عَامِرًا بِأَهْلِهِ مَسْرُورًا بِدَوْلَتِهِ

وَأَنْشَدُوا فِي مَعْنَى ذَلِكَ:

إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحْسِنًا فَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ مَاضٍ وَتَارِكُهْ

(اعلام الناس للاتليدي)

الادب يرفع الخامل

٣٢٠ رُوِيَ أَنَّ الْمَأْمُونَ لَمْ يَكُنْ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ خَلِيفَةٌ أَعْلَمُ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ. وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَوْمَانِ يَجْلِسُ فِيهِمَا لِمُنَاظَرَةِ الْعُلَمَاءِ. فَيَجْلِسُ الْمُنَاظِرُونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ بِحَضْرَتِهِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ مَعَهُمْ إِذْ دَخَلَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ رَثَّةٌ. فَجَلَسَ فِي آخِرِ النَّاسِ وَقَعَدَ مِنْ وَرَاءِ الْفُقَهَاءِ فِي مَكَانٍ مَجْهُولٍ. ثُمَّ ابْتَدَأُوا فِي الْكَلَامِ وَشَرَعُوا فِي مُعْضِلَاتِ الْمَسَائِلِ. وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُدِيرُونَ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ زِيَادَةً لَطِيفَةً أَوْ نُكْتَةً غَرِيبَةً ذَكَرَهَا. فَدَارَتِ الْمَسْأَلَةُ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ. فَتَكَلَّمَ وَأَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنْ أَجْوِبَةِ الْفُقَهَاءِ كُلِّهِمْ. فَاسْتَحْسَنَ الْخَلِيفَةُ كَلَامَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَى أَعْلَى مِنْهُ. فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنَ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ.

فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُرْفَعَ إِلَى أَعْلَى مِنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ. فَلَمَّا دَارَتِ الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ وَأَصْوَبَ مِنَ الْجَوَابَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ. فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يَجْلِسَ قَرِيبًا مِنْهُ. فَلَمَّا انْقَضَتِ الْمُنَاظَرَةُ أُحْضِرُوا الْمَاءَ وَغَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ وَأُحْضِرُوا الطَّعَامَ فَأَكَلُوا. ثُمَّ نَهَضَ الْفُقَهَاءُ فَخَرَجُوا وَمَنَعَ الْمَأْمُونُ ذٰلِكَ الشَّخْصَ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ وَأَدْنَاهُ مِنْهُ وَلَاطَفَهُ وَوَعَدَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ. ثُمَّ تَهَيَّأَ مَجْلِسُ الشَّرَابِ وَحَضَرَ النُّدَمَاءُ الْمِلَاحُ وَدَارَتِ الرَّاحُ. فَلَمَّا وَصَلَ الدَّوْرُ إِلَى ذٰلِكَ الرَّجُلِ وَثَبَ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَقَالَ: إِنْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَكَلَّمْتُ كَلِمَةً وَاحِدَةً. قَالَ لَهُ: قُلْ مَا تَشَاءُ. فَقَالَ: قَدْ عَلِمَ الرَّأْيُ الْعَالِي زَادَهُ اللّٰهُ عُلُوًّا أَنَّ الْعَبْدَ كَانَ الْيَوْمَ فِي هٰذَا الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ مِنْ مَجَاهِيلِ النَّاسِ وَوُضَعَاءِ الْجُلَّاسِ. وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ بِيَسِيرٍ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَبْدَاهُ وَجَعَلَهُ مَرْفُوعًا عَلَى دَرَجَةِ غَيْرِهِ. وَبَلَغَ بِهِ الْغَايَةَ الَّتِي لَمْ تَسْمُ إِلَيْهَا هِمَّتُهُ. وَالْآنَ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذٰلِكَ الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَعَزَّهُ بَعْدَ الذِّلَّةِ وَكَثَّرَهُ بَعْدَ الْقِلَّةِ. وَحَاشَا وَكَلَّا أَنْ يَحْسُدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هٰذَا الْقَدْرِ الَّذِي مَعَهُ مِنَ الْعَقْلِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْفَضْلِ. لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا شَرِبَ الشَّرَابَ تَبَاعَدَ عَنْهُ الْعَقْلُ وَقَرُبَ مِنْهُ الْجَهْلُ وَسُلِبَ أَدَبَهُ. وَعَادَ إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ الْحَقِيرَةِ كَمَا كَانَ وَصَارَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ حَقِيرًا مَجْهُولًا. فَأَرْجُو مِنَ الرَّأْيِ الْعَالِي أَنَّهُ لَا يَسْلُبُ مِنْهُ هٰذِهِ الْجَوْهَرَةَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَسِيَادَتِهِ وَحُسْنِ شِيَمِهِ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ مِنْهُ الْقَوْلَ مَدَحَهُ وَشَكَرَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي رُتْبَتِهِ وَوَقَّرَهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَأَعْطَاهُ ثِيَابًا فَاخِرَةً. وَكَانَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَرْفَعُهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَى جَمَاعَةِ الْفُقَهَاءِ حَتَّى صَارَ أَرْفَعَ مِنْهُمْ دَرَجَةً وَأَعْلَى مَرْتَبَةً (الف ليلة وليلة)

عدالة انوشروان في بناية الايوان

٣٢١ حُكِيَ أَنَّ قَيْصَرَ مَلِكَ الرُّومِ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى مَلِكِ فَارِسَ أَنُوشِرْوَانَ صَاحِبِ الْإِيوَانِ. فَلَمَّا وَصَلَ وَرَأَى عَظَمَةَ الْإِيوَانِ وَظَرَافَتَهُ وَعَظَمَةَ مَجْلِسِ كِسْرَى عَلَى كُرْسِيِّهِ وَالْمُلُوكَ فِي خِدْمَتِهِ مِنْ الْإِيوَانَ فَرَأَى فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ أُعْوِجَاجًا. فَسَأَلَ التَّرْجُمَانَ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هُنَاكَ بَيْتًا لِعَجُوزٍ كَرِهَتْ بَيْعَهُ عِنْدَ عِمَارَةِ الْإِيوَانِ. وَلَمْ يَرَ الْمَلِكُ إِكْرَاهَهَا عَلَى الْبَيْعِ فَأَبْقَى بَيْتَهَا فِي جَانِبِ الْإِيوَانِ. فَذَلِكَ مَا رَأَيْتَ وَسَأَلْتَ. فَقَالَ الرُّومِيُّ: وَحَقِّ رَأْسِهِ إِنَّ هَذَا الْأُعْوِجَاجَ أَحْسَنُ مِنَ الْاِسْتِقَامَةِ وَإِنَّ مَا فَعَلَهُ مَلِكُ الزَّمَانِ لَمْ يُؤَرِّخْ فِيمَا مَضَى لِمَلِكٍ وَلَا يُؤَرِّخُ فِيمَا بَقِيَ لِمَلِكٍ. فَأَعْجَبَ كِسْرَى كَلَامُهُ وَرَدَّهُ مَسْرُورًا مَحْبُورًا (للابشيهي)

الغلام والثعلب

٣٢٢ كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ التُّجَّارِ وَلَدٌ نَجِيبٌ صَرَفَهُ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ فِي التِّجَارَةِ بِبَلَدِهِ حَتَّى رَضِيَ بِخِبْرَتِهِ فِيهَا. فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَوِّدَهُ عَلَى الْأَسْفَارِ فِي تِجَارَةِ الْأَقْطَارِ. فَجَهَّزَهُ تَجْهِيزًا يَلِيقُ بِأَمْثَالِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَضَى الْغُلَامُ. فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَ

ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ الْمُرُوجِ . وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ مُقْمِرَةً . فَقَامَ يَتَمَشَّى وَقَدْ مَضَى جُزْءٌ مِنَ اللَّيْلِ . فَبَصُرَ بِثَعْلَبٍ طَرِيحٍ وَقَدْ أَخَذَهُ الْهَرَمُ وَالْإِعْيَاءُ وَضَعُفَ عَنِ الْحَرَكَةِ . فَوَقَفَ عِنْدَهُ وَأَخَذَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَيَقُولُ : كَيْفَ يُرْزَقُ هٰذَا الْحَيَوَانُ الْمِسْكِينُ وَمَا أَظُنُّ إِلَّا أَنَّهُ يَمُوتُ جُوعًا . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذَا هُوَ بِأَسَدٍ مُقْبِلٍ قَدِ افْتَرَسَ فَرِيسَةً فَجَاءَ حَتَّى قَرُبَ مِنَ الثَّعْلَبِ . فَتَنَاوَلَ مِنْهَا حَتَّى شَبِعَ وَتَرَكَ بَقِيَّتَهَا وَمَضَى . فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَحَامَلَ الثَّعْلَبُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخَذَ يَتَحَرَّكُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَا تَرَكَهُ الْأَسَدُ . فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ وَالْغُلَامُ يَتَعَجَّبُ مِنْ صُنْعِ اللّٰهِ فِي خَلْقِهِ . وَمَا سَاقَ لِهٰذَا الْحَيَوَانِ الْعَاجِزِ مِنْ رِزْقِهِ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِالْأَرْزَاقِ فَلِأَيِّ شَيْءٍ احْتِمَالُ الْمَشَاقِّ وَرُكُوبُ الْأَسْفَارِ وَاقْتِحَامُ الْأَخْطَارِ . ثُمَّ انْثَنَى رَاجِعًا إِلَى وَالِدِهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وَشَرَحَ لَهُ مَا ثَنَى عَزْمَهُ عَنِ السَّفَرِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ قَدْ أَخْطَأْتَ النَّظَرَ إِنَّمَا أَرَدْتُ بِكَ أَنْ تَكُونَ أَسَدًا تَأْوِي إِلَيْكَ الثَّعَالِبُ الْجِيَاعُ . لَا أَنْ تَكُونَ ثَعْلَبًا جَائِعًا تَنْتَظِرُ فَضْلَةَ السِّبَاعِ . فَقَبِلَ نَصِيحَةَ أَبِيهِ وَرَجَعَ لِمَا كَانَ فِيهِ

الثوب المبيع

٣٢٣ قَالَ ابْنُ الْخَرِيفِ : حَدَّثَنِي وَالِدِي قَالَ : أَعْطَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَسَبٍ الدَّلَّالَ ثَوْبًا وَقُلْتُ : بِعْهُ لِي وَبَيِّنْ هٰذَا الْعَيْبَ الَّذِي فِيهِ . وَأَرَيْتُهُ خَرْقًا فِي الثَّوْبِ . فَمَضَى وَجَاءَ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَدَفَعَ إِلَيَّ ثَمَنَهُ

وَقَالَ : بِعْتُهُ عَلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ غَرِيبٍ بِهٰذِهِ الدَّنَانِيرِ . قُلْتُ لَهُ : وَأَرَيْتَهُ الْعَيْبَ وَأَعْلَمْتَهُ بِهِ . فَقَالَ : لَا وَإِنِّي نَسِيتُ ذٰلِكَ . فَقُلْتُ : لَا جَزَاكَ اللّٰهُ خَيْرًا إِمْضِ مَعِي إِلَيْهِ . وَذَهَبْتُ مَعَهُ وَقَصَدْنَا مَكَانَهُ فَلَمْ نَجِدْهُ . فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقِيلَ : إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ قَافِلَةِ الْحُجَّاجِ . فَأَخَذْتُ صِفَةَ الرَّجُلِ مِنَ الدَّلَّالِ وَاكْتَرَيْتُ دَابَّةً وَلَحِقْتُ الْقَافِلَةَ . وَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ فَدُلِلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الثَّوْبَ الْفُلَانِيَّ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ أَمْسِ مِنَ الدَّلَّالِ فُلَانٍ بِكَذَا وَكَذَا فِيهِ عَيْبٌ فَهَاتِهِ وَخُذْ ذَهَبَكَ . فَقَامَ وَأَخْرَجَ الثَّوْبَ وَطَافَ عَلَى الْعَيْبِ حَتَّى وَجَدَهُ . فَلَمَّا وَجَدَهُ قَالَ : يَا شَيْخُ أَخْرِجْ ذَهَبِي حَتَّى أَرَاهُ وَكُنْتُ لَمَّا قَبَضْتُهُ لَمْ أُمَيِّزْهُ وَلَمْ أَنْتَقِدْهُ . فَأَخْرَجْتُهُ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ : هٰذَا ذَهَبِي انْتَقِدْهُ يَا شَيْخُ . فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا هُوَ مَغْشُوشٌ لَا يُسَاوِي شَيْئًا . فَأَخَذْتُهُ وَرَمَيْتُ بِهِ وَقَالَ لِي : قَدِ اشْتَرَيْتُ مِنْكَ هٰذَا الثَّوْبَ عَلَى عَيْبِهِ بِهٰذَا الذَّهَبِ . وَدَفَعَ إِلَيَّ بِمِقْدَارِ ذٰلِكَ الذَّهَبِ الْمَغْشُوشِ ذَهَبًا جَيِّدًا وَعُدْتُ بِهِ .

كسرى انوشروان والمؤدب

٣٢٤ رُوِيَ أَنَّ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ التَّأْدِيبِ يُعَلِّمُهُ حَتَّى فَاقَ فِي الْعُلُومِ . فَضَرَبَهُ الْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ . فَحَقَدَ أَنُوشِرْوَانُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا وَلِيَ الْمُلْكَ قَالَ لِلْمُعَلِّمِ . مَا حَمَلَكَ عَلَى ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرْغَبُ فِي الْعِلْمِ رَجَوْتُ

لَكَ ٱلْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيكَ. فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُذِيقَكَ طَعْمَ ٱلظُّلْمِ لِئَلَّا تَظْلِمَ.
فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ: زِهْ زِهْ وَرَفَعَ قَدْرَهُ (للابشيهي)

الهادي والخارجي

٣٢٥ ذَكَرَ صَاحِبُ ٱلسُّكَّرَدَانِ أَنَّ ٱلْهَادِيَ كَانَ يَوْمًا فِي بُسْتَانٍ يَتَنَزَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا سِلَاحَ مَعَهُ. وَبِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ بِٱلْبَابِ بَعْضَ ٱلْخَوَارِجِ لَهُ بَأْسٌ وَمَكَايِدُ وَقَدْ ظَفِرَ بِهِ بَعْضُ ٱلْقُوَّادِ. فَأَمَرَ ٱلْهَادِي بِإِدْخَالِهِ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ قَدْ قَبَضَا عَلَى يَدَيْهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَ ٱلْخَارِجِيُّ ٱلْهَادِيَ جَذَبَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلرَّجُلَيْنِ وَٱخْتَطَفَ سَيْفَ أَحَدِهِمَا وَقَصَدَ ٱلْهَادِيَ. فَفَرَّ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ وَبَقِيَ وَحْدَهُ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى حِمَارِهِ. حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ ٱلْخَارِجِيُّ وَهَمَّ أَنْ يَعْلُوَهُ بِٱلسَّيْفِ أَوْمَأَ إِلَى وَرَاءِ ٱلْخَارِجِيِّ وَأَوْهَمَهُ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ وَقَالَ: يَا غُلَامُ ٱضْرِبْ عُنُقَهُ. فَظَنَّ ٱلْخَارِجِيُّ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ. فَٱلْتَفَتَ ٱلْخَارِجِيُّ فَنَزَلَ ٱلْهَادِي مُسْرِعًا عَنْ حِمَارِهِ فَقَبَضَ عَلَى عُنُقِ ٱلْخَارِجِيِّ وَذَبَحَهُ بِٱلسَّيْفِ ٱلَّذِي كَانَ مَعَهُ. ثُمَّ عَادَ إِلَى ظَهْرِ حِمَارِهِ مِنْ فَوْرِهِ. وَٱلْخَدَمُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَتَسَلَّلُونَ عَلَيْهِ وَقَدْ مُلِئُوا مِنْهُ حَيَاءً وَرُعْبًا. فَمَا عَاتَبَهُمْ وَلَا خَاطَبَهُمْ فِي ذٰلِكَ بِكَلِمَةٍ. وَلَمْ يُفَارِقِ ٱلسِّلَاحَ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ (اعلام الناس للاتليدي)

المنصور وابو عبد الله

٣٢٦ قَالَ ٱلْمَنْصُورُ لِلرَّبِيعِ: عَلَيَّ بِجَعْفَرٍ. قَتَلَنِي ٱللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْ أَبَا عَبْدِ

اللهِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ ثُمَّ قَرُبَ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : لَا سَلَامَ اللهِ عَلَيْكَ يَا عَدُوَّ اللهِ تَعْمَلُ عَلَيَّ الْغَوَائِلَ فِي مُلْكِي . قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ . وَإِنَّ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ . وَإِنَّ يُوسُفَ ظُلِمَ فَغَفَرَ . وَأَنْتَ عَلَى أَثَرِهِمْ وَأَحَقُّ مَنْ تَأَسَّى بِهِمْ . فَنَكَسَ الْمَنْصُورُ رَأْسَهُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : إِلَيَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ فَأَنْتَ الْقَرِيبُ الْقَرَابَةِ . وَأَنْتَ ذُو الرَّحِمِ الْوَاشِجَةِ . وَالسَّالِمُ النَّاجِيَةِ . الْقَلِيلُ الْغَائِلَةِ . ثُمَّ صَافَحَهُ بِيَمِينِهِ وَعَانَقَهُ بِشِمَالِهِ . وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَقْبَلَ يُسَائِلُهُ وَيُحَادِثُهُ . ثُمَّ قَالَ : عَجِّلُوا لِأَبِي عَبْدِ اللهِ إِذْنَهُ وَجَائِزَتَهُ وَكُسْوَتَهُ . فَلَمَّا خَرَجَ أَمْسَكَهُ الرَّبِيعُ وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتَكَ قَدْ حَرَّكْتَ شَفَتَيْكَ فَانْجَلَى الْأَمْرُ وَأَنَا خَادِمُ السُّلْطَانِ وَلَا غِنَى لِي عَنْهُ فَعَلِّمْنِي إِيَّاهُ . فَقَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ . وَاكْنُفْنِي بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ . لَا أَهْلَكُ وَأَنْتَ رَجَائِي فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ قَلَّ عِنْدَهَا شُكْرِي فَلَمْ تَحْرِمْنِي . وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتُلِيتُ بِهَا قَلَّ عِنْدَهَا صَبْرِي فَلَمْ تَخْذُلْنِي . اللَّهُمَّ بِكَ أَدْرَأُ فِي نَحْرِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ (للشريشي)

القاضي والنصراني المحسن

٣٢٧ حُكِيَ أَنَّ فَقِيرًا جَاءَ إِلَى قَاضٍ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَقَالَ لَهُ : أَعَزَّ اللهُ الْقَاضِيَ وَإِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ وَذُو عِيَالٍ وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِهَذَا الْيَوْمِ أَنْ تُعْطِيَنِي عَشَرَةَ أَمْنَانٍ لَحْمًا وَدِرْهَمَيْنِ لِأُشْبِعَ أَطْفَالِي فِي هَذَا

ٱلْيَوْمِ وَلَكَ ٱلْجَزَاءُ عَلَى ٱللهِ. فَوَعَدَهُ إِلَى ٱلظُّهْرِ. فَلَمَّا جَاءَ ٱلظُّهْرُ عَادَ إِلَيْهِ. فَوَعَدَهُ إِلَى ٱلْعَصْرِ. فَلَمَّا جَاءَ ٱلْعَصْرُ عَادَ إِلَيْهِ وَأَوْلَادُهُ فِي مَنْزِلِهِ ذَابَتْ أَكْبَادُهُمْ مِنَ ٱلْجُوعِ فَوَعَدَهُ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ. فَعَادَ إِلَيْهِ عِنْدَ ٱلْغُرُوبِ. فَقَالَ لَهُ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ. فَرَجَعَ ٱلْفَقِيرُ مُنْكَسِرَ ٱلْقَلْبِ بَاكِيَ ٱلْعَيْنِ خَائِفًا مِنْ أَطْفَالِهِ كَيْفَ جَوَابُهُ لَهُمْ. فَمَرَّ وَهُوَ يَبْكِي بِنَصْرَانِيٍّ جَالِسٍ عَلَى بَابِهِ. فَرَآهُ بَاكِيًا فَقَالَ لَهُ: لِمَ بُكَاؤُكَ يَا هٰذَا. فَقَالَ لَهُ: لَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِي. فَقَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ بِٱللهِ أَنْ أَعْلِمَنِي بِحَالِكَ. فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ مَعَ ٱلْقَاضِي. فَقَالَ لَهُ ٱلنَّصْرَانِيُّ: مَا هٰذَا ٱلْيَوْمُ عِنْدَكُمْ. فَقَالَ لَهُ: هُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ. فَرَقَّ لَهُ ٱلنَّصْرَانِيُّ وَأَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ مِنَ ٱلْخُبْزِ وَٱللَّحْمِ وَأَعْطَاهُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا فَوْقَ ٱلدِّرْهَمَيْنِ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ هٰذَا وَهُوَ لَكَ وَلِعِيَالِكَ عَلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ. فَذَهَبَ بِهِ ٱلْفَقِيرُ لِأَطْفَالِهِ فَرِحًا مَسْرُورًا. فَلَمَّا رَآهُ أَطْفَالُهُ فَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا. ثُمَّ نَادَوْا بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ: ٱللّٰهُمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْنَا ٱلسُّرُورَ فَأَدْخِلْ عَلَيْهِ ٱلْفَرَحَ عَاجِلًا. فَلَمَّا كَانَ ٱللَّيْلُ وَنَامَ ٱلْقَاضِي سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَهُ: ٱرْفَعْ رَأْسَكَ. فَرَفَعَهُ وَإِذَا هُوَ بِنَظَرِ قَصْرَيْنِ مَبْنِيَّيْنِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ. فَقَالَ: إِلٰهِي لِمَنْ هٰذَانِ ٱلْقَصْرَانِ. فَأُجِيبَ إِنَّهُمَا كَانَا لَكَ لَوْ قَضَيْتَ حَاجَةَ ٱلْفَقِيرِ فَلَمَّا رَدَدْتَهُ صَارَا لِلنَّصْرَانِيِّ فُلَانٍ. فَٱنْتَبَهَ ٱلْقَاضِي مَرْعُوبًا يُنَادِي بِٱلْوَيْلِ وَٱلثُّبُورِ. ثُمَّ سَارَ إِلَى ٱلنَّصْرَانِيِّ وَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلْتَ ٱلْبَارِحَةَ مِنَ ٱلْخَيْرِ. فَقَالَ لَهُ: وَلِمَ ذَا سُؤَالُكَ. فَأَخْبَرَهُ بِمَا

رأى . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بِعْنِي هٰذَا الْجَمِيلَ الَّذِي فَعَلْتَهُ الْبَارِحَةَ مَعَ الْفَقِيرِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ : إِنِّي لَا أَبِيعُ ذٰلِكَ بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا . فَرَحِمَ اللهُ ثَرَاهُ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ (للقليوبي)

اجارة معن لرجل استغاث به وكان المنصور قد اهدر دمهُ

٣٢٨ رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورَ أَهْدَرَ دَمَ رَجُلٍ كَانَ يَسْعَى بِفَسَادِ دَوْلَتِهِ مَعَ الْخَوَارِجِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ جَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي مُخْتَفِيًا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَعَرَفَهُ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ وَقَالَ : هٰذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَبَيْنَمَا الرَّجُلُ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ إِذْ سَمِعَ وَقْعَ حَوَافِرِ الْخَيْلِ . فَالْتَفَتَ فَإِذَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَاسْتَغَاثَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : أَجِرْنِي أَجَارَكَ اللهُ . فَالْتَفَتَ مَعْنٌ إِلَى الرَّجُلِ الْمُتَعَلِّقِ بِهِ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ وَهٰذَا . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : دَعْهُ . وَقَالَ لِغُلَامِهِ : أَنْزِلْ عَنْ دَابَّتِكَ وَاحْمِلِ الرَّجُلَ عَلَيْهَا . فَصَاحَ الرَّجُلُ الْمُتَعَلِّقُ بِهِ وَصَرَخَ وَاسْتَجَارَ بِالنَّاسِ وَقَالَ : أَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ بُغْيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ : اذْهَبْ فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ عِنْدِي . فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَنْصُورِ وَأَخْبَرَهُ . فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِ مَعْنٍ فِي السَّاعَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُ الْمَنْصُورِ إِلَى مَعْنٍ دَعَا جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ وَحَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُوذُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

أُقسِمُ عَلَيكُمْ بِأَنْ لَا يَصِلَ إِلَى هٰذَا الرَّجُلِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ. ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ السَّلَامَ. ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لَهُ: يَا مَعْنُ أَتَتَجَرَّأُ عَلَيَّ. قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْمَنْصُورُ: وَنَعَمْ أَيْضًا. وَقَدِ اشْتَدَّ غَضَبُهُ. فَقَالَ مَعْنٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقَدَّمَ فِي دَوْلَتِكُمْ بَلَائِي وَحُسْنُ عَنَائِي. وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدَمِي. أَفَمَا رَأَيْتَنِي أَهْلًا بِأَنْ يُوهَبَ لِي رَجُلٌ وَاحِدٌ اسْتَجَارَ بِي بَيْنَ النَّاسِ بِوَهْمِهِ أَنِّي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذٰلِكَ هُوَ. فَمُرْ بِمَا شِئْتَ هَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ. قَالَ: فَأَطْرَقَ الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ سَكَنَ مَا بِهِ مِنَ الْغَضَبِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ أَجَرْنَاهُ لَكَ يَا مَعْنُ. فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ: إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْأَجْرَيْنِ فَيَأْمُرَ لَهُ بِصِلَةٍ فَيَكُونَ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ. فَقَالَ الْمَنْصُورُ: قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صِلَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ جِنَايَاتِ الرَّعِيَّةِ. وَإِنَّ ذَنْبَ الرَّجُلِ عَظِيمٌ فَأَجْزِلْ صِلَتَهُ. قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ: عَجِّلْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ خَيْرَ الْبِرِّ عَاجِلُهُ. فَأَمَرَ بِتَعْجِيلِهَا فَحَمَلَهَا وَانْصَرَفَ وَأَتَى مَنْزِلَهُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: يَا رَجُلُ خُذْ صِلَتَكَ وَالْحَقْ بِأَهْلِكَ وَإِيَّاكَ وَمُخَالَفَةَ الْخُلَفَاءِ فِي أُمُورِهِمْ بَعْدَ هٰذِهِ (للابشيهي)

ملك الفرس وصاحب المطبخ

٣٢٩ كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ عَظِيمَ الْمَمْلَكَةِ شَدِيدَ النِّقْمَةِ.

وَكَانَ لَهُ صاحِبُ مَطْبَخٍ . فَلَمَّا قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ سَقَطَتْ نُقْطَةٌ مِنَ الطَّعَامِ عَلَى يَدَيْهِ . فَزَوَى لَهَا الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَعَلِمَ صَاحِبُ الْمَطْبَخِ أَنَّهُ قَاتِلُهُ . فَكَفَأَ الصَّحْفَةَ عَلَى رَأْسِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ : عَلَيَّ بِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سُقُوطَ النُّقْطَةِ أَخْطَأَتْ بِهَا يَدُكَ . فَمَا عُذْرُكَ فِي الثَّانِيَةِ . قَالَ : اسْتَحْيَيْتُ لِلْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ مِثْلِي فِي سِنِّي وَقَدِيمِ حُرْمَتِي فِي نُقْطَةٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَظِّمَ ذَنْبِي لِيَحْسُنَ بِهِ قَتْلِي وَلِئَلَّا يَنْسُبَكَ النَّاسُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنَّ لُطْفَ الِاعْتِذَارِ يُنْجِيكَ مِنَ الْقَتْلِ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ (لابن عبد ربه)

الرشيد والدمشقي

٣٣٠ رُفِعَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّ رَجُلًا بِدِمَشْقَ مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةَ عَظِيمُ الْمَالِ كَثِيرُ الْجَاهِ مُطَاعٌ فِي الْبَلَدِ لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَمَمَالِيكُ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ السِّلَاحَ وَيَغْزُونَ الرُّومَ . وَأَنَّهُ سَمْحٌ جَوَادٌ كَثِيرُ الْبَذْلِ وَالضِّيَافَةِ وَأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ مِنْهُ . فَعَظُمَ ذٰلِكَ عَلَى الرَّشِيدِ . قَالَ مَنَارَةُ : وَكَانَ وُقُوفُ الرَّشِيدِ عَلَى هٰذَا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ فِي بَعْضِ حِجِّهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَقَدْ عَادَ مِنَ الْمَوْسِمِ . وَقَدْ بَايَعَ لِلْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ أَوْلَادِهِ فَدَعَانِي وَهُوَ خَالٍ . وَقَالَ : إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَمْرٍ يُهِمُّنِي وَقَدْ مَنَعَنِي النَّوْمَ . فَانْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُ . ثُمَّ قَصَّ عَلَيَّ خَبَرَ الْأُمَوِيِّ وَقَالَ : اخْرُجِ السَّاعَةَ فَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ الْخُيُولَ وَأَزَحْتُ عِلَّتَكَ فِي الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَالْآلَةِ . وَتَضُمُّ إِلَيْكَ مِائَةَ

غُلَامٍ وَاسْلُكِ الْبَرِّيَّةَ وَهٰذَا كِتَابِي إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ وَهٰذِهِ قُيُودٌ فَابْدَأْ بِالرَّجُلِ فَإِنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ فَقَيِّدْهُ وَجِئْنِي بِهِ . وَإِنْ عَصَى فَتَوَكَّلْ بِهِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ لِئَلَّا يَهْرُبَ . وَأَنْفِذِ الْكِتَابَ إِلَى أَمِيرِ دِمَشْقَ لِيَكُونَ مُسَاعِدًا وَاقْبِضْ عَلَيْهِ وَجِئْنِي بِهِ وَأَجَّلْتُكَ لِذَهَابِكَ سِتًّا وَلِإِيَابِكَ سِتًّا وَيَوْمًا لِمُقَامِكَ . وَهٰذَا مَحْمِلٌ تَجْعَلُهُ فِي شِقَّةٍ مِنْهُ إِذَا قَيَّدْتَهُ وَتَقْعُدُ أَنْتَ فِي الشِّقَّةِ الْأُخْرَى . وَلَا تَكِلْ حِفْظَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ فِي الثَّالِثَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ خُرُوجِكَ . فَإِذَا دَخَلْتَ دَارَهُ فَتَفَقَّدْهَا وَجَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ وَغِلْمَانِهِ وَقَدْرِ نِعْمَتِهِ وَالْحَالَ وَالْمَحَالَ . وَاحْفَظْ مَا يَقُولُهُ الرَّجُلُ حَرْفًا بِحَرْفٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ مُنْذُ يَقَعُ طَرْفُكَ عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ يَشُذَّ عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ . انْطَلِقْ . قَالَ مَنَارَةُ : فَوَدَّعْتُهُ وَانْطَلَقْتُ وَخَرَجْتُ فَرَكِبْتُ الْإِبِلَ وَسِرْتُ أَطْوِي الْمَنَازِلَ أَسِيرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى دِمَشْقَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلَةِ السَّابِعَةِ وَأَبْوَابُ الْبَلَدِ مُغْلَقَةٌ . فَكَرِهْتُ طُرُوقَهَا لَيْلًا فَبِتُّ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ إِلَى أَنْ فُتِحَ بَابُهَا مِنْ غَدٍ . فَدَخَلْتُ عَلَى هَيْئَتِي ثُمَّ أَتَيْتُ بَابَ الرَّجُلِ وَعَلَيْهِ صَفٌّ عَظِيمٌ وَحَاشِيَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ أَسْتَأْذِنْ وَدَخَلْتُ بِغَيْرِ إِذْنٍ . فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ ذٰلِكَ سَأَلُوا بَعْضَ مَنْ مَعِي عَنِّي . قَالَ : هٰذَا مَنَارَةُ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى صَاحِبِكُمْ . (قَالَ) فَلَمَّا صِرْتُ فِي صَحْنِ الدَّارِ نَزَلْتُ وَدَخَلْتُ مَجْلِسًا رَأَيْتُ فِيهِ قَوْمًا جُلُوسًا فَظَنَنْتُ أَنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ . فَقَامُوا وَرَحَّبُوا بِي . فَقُلْتُ : أَفِيكُمْ

فُلانٌ. قالوا: لا. نَحْنُ أَوْلادُهُ وَهُوَ فِي الْحَمّامِ. فَقُلْتُ: اسْتَعْجِلُوهُ. فَمَضَى بَعْضُهُمْ يَسْتَعْجِلُهُ وَأَنا أَتَفَقَّدُ الدّارَ وَالْأَحْوالَ وَالْحاشِيَةَ فَوَجَدْتُها ماجَتْ بِأَهْلِها مَوْجًا كَثِيرًا. فَلَمْ أَزَلْ كَذٰلِكَ حَتّى خَرَجَ الرَّجُلُ بَعْدَ أَنْ أَطالَ مُكْثَهُ. وَاسْتَرَبْتُ بِهِ وَاشْتَدَّ قَلَقِي وَخَوْفِي مِنْ أَنْ يَتَوارَى إِلَى أَنْ رَأَيْتُ شَيْخًا بِزِيِّ الْحَمّامِ يَمْشِي فِي صَحْنِ الدّارِ وَحَوالَيْهِ جَماعَةٌ كُهُولٌ وَأَحْداثٌ وَصِبْيانٌ. وَهُمْ أَوْلادُهُ وَغِلْمانُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ الرَّجُلُ. فَجاءَ وَجَلَسَ وَسَلَّمَ عَلَيَّ سَلامًا خَفِيفًا. وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِقامَةِ أَمْرِ حَضْرَتِهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِما وَجَبَ. وَما قَضى كَلامَهُ حَتّى جاؤُوا بِأَطْباقِ فاكِهَةٍ فَقالَ: تَقَدَّمْ يا مَنارَةُ وَكُلْ مَعَنا. فَقُلْتُ: ما لِي إِلَى ذٰلِكَ مِنْ سَبِيلٍ. فَلَمْ يُعاوِدْنِي فَأَكَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعا بِالطَّعامِ فَجاؤُوا إِلَيْهِ بِمائِدَةٍ حَسَنَةٍ لَمْ أَرَ مِثْلَها إِلّا لِلْخَلِيفَةِ. فَقالَ: يا مَنارَةُ ساعِدْنا عَلَى الْأَكْلِ. لا يَزِيدُنِي عَلى أَنْ يَدْعُونِي بِاسْمِي كَما يَدْعُونِي الْخَلِيفَةُ. فَامْتَنَعْتُ عَلَيْهِ فَما عاوَدَنِي. فَأَكَلَ وَمَنْ مَعَهُ وَكانُوا تِسْعَةً مِنْ أَوْلادِهِ. فَتَأَمَّلْتُ أَكْلَهُ فِي نَفْسِهِ فَوَجَدْتُهُ يَأْكُلُ أَكْلَ الْمُلُوكِ. وَوَجَدْتُ ذٰلِكَ الِاضْطِرابَ الَّذِي كانَ فِي دارِهِ قَدْ سَكَنَ وَوَجَدْتُهُمْ لا يَرْفَعُونَ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قَدْ وُضِعَ عَلَى الْمائِدَةِ إِلّا تَهَيَّأَ غَيْرُهُ حالًا أَعْظَمَ وَأَحْسَنَ مِنْهُ. وَقَدْ كانَ غِلْمانُهُ أَخَذُوا لَمّا نَزَلْتُ إِلَى الدّارِ مالِي وَغِلْمانِي وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دارٍ أُخْرَى. فَما أَطاقُوا مُمانَعَتَهُمْ وَبَقِيتُ وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلّا خَمْسَةُ أَوْ سِتَّةُ غِلْمانٍ وُقُوفٍ عَلَى رَأْسِي.

فقلت في نفسي : هذا جبار عنيد فإن امتنع من الشخوص لم أطق إشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا حفظه إلا أن يلحقني أمير البلد. وجزعت جزعا شديدا ورابني منه استخفافه وتهاونه بأمري. يدعوني بأسمي ولا يفكر في امتناعي من الأكل. ولا يسأل عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا مفكر في ذلك. فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام إلى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال. ورأيت صلاته حسنة. فلما انتقل من المحراب أقبل علي وقال : ما أقدمك يا منارة. فأخرجت كتاب أمير المؤمنين ودفعته إليه ففضه وقرأه. فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير. فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي. فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة والوقف أن لا يجتمع اثنان في موضع واحد. وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يظهروا إلى أن يكشف لهم أمر يعتمدون عليه وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين بالمضي إليه ولست أقيم بعد نظري فيه ساعة واحدة. فاستوصوا بمن ورائي من الحريم خيرا. وما لي حاجة أن يصحبني أحد. هات قيودك يا منارة. فدعوت بها وكانت في سفط ومد رجليه فقيدته وأمرت غلماني بحمله حتى صار في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي. ولم ألق أمير البلد ولا غيره. وسرت بالرجل وليس معه أحد إلى أن

صِرْنَا بِظَاهِرِ دِمَشْقَ. فَابْتَدَأَ يُحَدِّثُنِي بِانْبِسَاطٍ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنٍ فِي الْغُوطَةِ فَقَالَ لِي: أَتَرَى هٰذَا. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّهُ لِي. وَفِيهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ كَيْتَ وَكَيْتَ. ثُمَّ انْتَهَى إِلَى آخَرَ فَقَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ. ثُمَّ انْتَهَى إِلَى مَزَارِعَ حِسَانٍ وَقُرًى فَقَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ: هٰذَا لِي. فَاشْتَدَّ غَيْظِي مِنْهُ. وَقُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهَمَّهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَنِ انْتَزَعَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَوُلْدِكَ وَأَخْرَجَكَ فَرِيدًا مُقَيَّدًا مَغْلُولًا مَا تَدْرِي إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ. وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ هٰذَا حَتَّى تَصِفَ ضِيَاعَكَ وَبَسَاتِينَكَ بَعْدَ أَنْ جِئْتُكَ. وَأَنْتَ لَا تُفَكِّرُ فِيمَ جِئْتُ بِهِ. وَأَنْتَ سَاكِنُ الْقَلْبِ قَلِيلُ التَّفَكُّرِ لَقَدْ كُنْتَ عِنْدِي شَيْخًا فَاضِلًا. فَقَالَ لِي مُجِيبًا: إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أَخْطَأْتُ فَرَاسَتِي فِيكَ. لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ كَامِلُ الْعَقْلِ وَأَنَّكَ مَا حَلَلْتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ هٰذَا الْمَحَلَّ إِلَّا لِمَا عَرَفُوكَ بِذٰلِكَ. فَإِذَا كَلَامُكَ يُشْبِهُ كَلَامَ الْعَوَامِّ. وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ. أَمَّا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ إِيَّايَ إِلَى بَابِهِ عَلَى صُورَتِي هٰذِهِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنَ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِيَدِهِ نَاصِيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَلَا يَمْلِكُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضُرًّا إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَافُهُ. وَبَعْدُ فَإِذَا عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي وَعَرَفَ سَلَامَتِي وَصَلَاحَ نَاحِيَتِي سَرَّحَنِي مُكَرَّمًا. فَإِنَّ الْحَسَدَةَ وَالْأَعْدَاءَ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِيَّ.

وَتَقَوَّلُوا عَلَيَّ الْأَقَاوِيلَ فَلَا يَسْتَحِلُّ دَمِي وَيَخْرُجُ مِنْ إِيذَائِي وَإِزْعَاجِي. وَيَرُدُّنِي مُكَرَّمًا وَيُقِيمُنِي بِبِلَادِهِ مُعَظَّمًا مُبَجَّلًا. وَإِنْ كَانَ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَبْدُرُ إِلَيَّ مِنْهُ بَادِرَةُ سَوْءٍ وَقَدْ حَضَرَ أَجَلِي وَكَانَ سَفْكُ دَمِي عَلَى يَدِهِ. فَإِنِّي أُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ الَّذِي خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَحْيَا وَأَمَاتَ. وَإِنَّ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمَ إِلَى مَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ تَعْرِفُ هٰذَا فَإِذَنْ قَدْ عَرَّفْتُ مُبْلَغَ فَهْمِكَ. فَإِنِّي لَا أُكَلِّمُكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُفْرَقَ بَيْنَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِّي فَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ لَفْظَةً غَيْرَ التَّسْبِيحِ أَوْ طَلَبِ مَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ حَتَّى شَارَفْنَا الْكُوفَةَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثَ عَشَرَ بَعْدَ الظُّهْرِ وَالنُّجُبُ قَدِ اسْتَقْبَلَتْنِي قَبْلَ سِتَّةِ فَرَاسِخَ مِنَ الْكُوفَةِ يَتَجَسَّسُونَ خَبَرِي. فَحِينَ رَأَوْنِي رَجَعُوا عَنِّي مُتَقَدِّمِينَ بِالْخَبَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَانْتَهَيْتُ إِلَى الْبَابِ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَحَطَطْتُ رَحْلِي. وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَقَفْتُ. فَقَالَ: هَاتِ مَا عِنْدَكَ يَا مَنَارَةُ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلَ مِنْهُ عَنْ لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ. فَسُقْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ الْفَاكِهَةِ وَالطَّعَامِ وَالْغَسْلِ وَالْبَخُورِ وَمَا حَدَّثَتْنِي بِهِ نَفْسِي مِنِ امْتِنَاعِهِ. وَالْغَضَبُ يَظْهَرُ فِي وَجْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَزَايَدُ. حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى فَرَاغِ الْأُمَوِيِّ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْتِفَاتِهِ إِلَيَّ وَسُؤَالِهِ عَنْ سَبَبِ قُدُومِي وَدَفْعِي الْكِتَابَ إِلَيْهِ وَمُبَادَرَتِهِ إِلَى إِحْضَارِ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَلِفِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتْبَعَهُ أَحَدٌ

وَصَرْفِهِ إِيَّاهُمْ وَمَدِّ رِجْلَيْهِ فَقَيَّدَتْهُ. فَمَا زَالَ وَجْهُ الرَّشِيدِ يُسْفِرُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَا خَاطَبَنِي بِهِ عِنْدَ تَوْبِيخِي لَهُ لَمَّا رَكِبْنَا فِي الْمَحْمِلِ فَقَالَ: صَدَقَ وَاللهِ مَا هٰذَا الرَّجُلُ إِلَّا مَحْسُودٌ عَلَى النِّعْمَةِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ. وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَزْعَجْنَاهُ وَآذَيْنَاهُ وَرَوَّعْنَا أَهْلَهُ. فَبَادِرْ بِنَزْعِ قُيُودِهِ وَأْتِنِي بِهِ. (قَالَ) فَخَرَجْتُ وَنَزَعْتُ قُيُودَهُ وَأَدْخَلْتُهُ إِلَى الرَّشِيدِ. فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَآهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ الْحَيَاءِ يَجُولُ فِي وَجْهِ الرَّشِيدِ. فَدَنَا الْأُمَوِيُّ وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ وَوَقَفَ. فَرَدَّ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ رَدًّا جَمِيلًا وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ. فَجَلَسَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: بَلَغَنَا عَنْكَ فَضْلُ هَيْئَةٍ وَأُمُورٌ أَحْبَبْنَا مَعَهَا أَنْ نَرَاكَ وَنَسْمَعَ كَلَامَكَ وَنُحْسِنَ إِلَيْكَ فَاذْكُرْ حَاجَتَكَ. فَأَجَابَ الْأُمَوِيُّ جَوَابًا جَمِيلًا وَشَكَرَ وَدَعَا ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَاجَةٌ وَاحِدَةٌ. فَقَالَ: مَقْضِيَّةٌ فَمَا هِيَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرُدُّنِي إِلَى بَلَدِي وَأَهْلِي وَوُلْدِي. قَالَ: نَفْعَلُ ذٰلِكَ. وَلٰكِنْ سَلْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَصَالِحِ جَاهِكَ وَمَعَاشِكَ فَإِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْلُو أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هٰذَا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَّالُكَ مُنْصِفُونَ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ بِعَدْلِهِمْ عَنْ مَسْأَلَتِي. فَأُمُورِي مُسْتَقِيمَةٌ وَكَذٰلِكَ أَهْلُ بَلَدِي بِالْعَدْلِ الشَّامِلِ فِي ظِلِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الرَّشِيدُ: انْصَرِفْ مَحْفُوظًا إِلَى بَلَدِكَ وَاكْتُبْ إِلَيْنَا بِأَمْرٍ إِنْ عَرَضَ لَكَ. فَوَدَّعَهُ الْأُمَوِيُّ. فَلَمَّا وَلَّى خَارِجًا قَالَ الرَّشِيدُ: يَا مَنَارَةُ احْمِلْهُ مِنْ وَقْتِكَ وَسِرْ بِهِ رَجْعًا كَمَا جِئْتَ بِهِ حَتَّى إِذَا وَصَلْتَ إِلَى مَجْلِسِهِ

ٱلَّذِي أَخَذْتَهُ مِنْهُ فَوَدِّعْهُ وَٱنْصَرِفْ. قَالَ مَنَارَةُ: فَمَا زِلْتُ مَعَهُ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى مَحَلِّهِ فَفَرِحَتْ بِهِ أَهْلُهُ وَأَعْطَانِي عَطَاءً جَزِيلًا وَٱنْصَرَفْتُ

(للاتليدي)

استقامة رجل اشتُكي عليه ظلماً

٣٣١ نُقِلَ عَنِ ٱلرَّبِيعِ حَاجِبِ أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْضَرَ جَنَانًا وَلَا أَرْبَطَ جَأْشًا مِنْ رَجُلٍ سُعِيَ بِهِ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ أَنَّ عِنْدَهُ وَدَائِعَ وَأَمْوَالًا لِبَنِي أُمَيَّةَ. فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ فَأَحْضَرْتُهُ وَدَخَلْتُ بِهِ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ: قَدْ رُفِعَ إِلَيْنَا خَبَرُ ٱلْوَدَائِعِ وَٱلْأَمْوَالِ ٱلَّتِي عِنْدَكَ لِبَنِي أُمَيَّةَ فَأَخْرِجْهَا لَنَا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَوَارِثٌ أَنْتَ لِبَنِي أُمَيَّةَ. قَالَ: لَا. قَالَ: أَفَأَنْتَ لَهُمْ وَصِيٌّ. قَالَ: لَا. فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ: إِذًا فَمَا سَبَبُ سُؤَالِكَ عَمَّا فِي يَدِي مِنْ ذٰلِكَ. فَأَطْرَقَ ٱلْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ ظَلَمُوا ٱلْمُسْلِمِينَ فِي هٰذِهِ ٱلْأَمْوَالِ وَأَنَا وَكِيلُهُمْ فِي حَقِّهِمْ فَأُرِيدُ أَنْ آخُذَ هٰذِهِ ٱلْوَدَائِعَ وَأَرُدَّهَا إِلَى بَيْتِ ٱلْمَالِ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَلْزَمُ فِي ذٰلِكَ إِقَامَةُ ٱلْبَيِّنَةِ ٱلْعَادِلَةِ عَلَى أَنَّ ٱلَّذِي فِي يَدِي هُوَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَنَّهُمْ قَدْ خَانُوا بِهِ وَٱغْتَصَبُوهُ ظُلْمًا مِنْ أَمْوَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ. فَإِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَ لَهُمْ أَمْوَالٌ غَيْرُ أَمْوَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ. فَعَادَ ٱلْمَنْصُورُ وَأَطْرَقَ إِلَى ٱلْأَرْضِ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: يَا رَبِيعُ مَا وَجَبَ عَلَى ٱلرَّجُلِ عِنْدَنَا شَيْءٌ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَنْصُورَ ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَبَشَّرَهُ

مُبْتَسِمًا فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَقْضِيَهَا لَكَ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَتِي أَنْ تُنْفِذَ كِتَابِي عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى أَهْلِي فِي الشَّامِ لِيَسْكُنُوا إِلَى سَلَامَتِي فَقَدْ رَاعَهُمْ إِشْخَاصِي مِنْ عِنْدِهِمْ . ثُمَّ أَسْأَلُكَ حَاجَةً أُخْرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : وَمَا هِيَ . فَقَالَ : أُرِيدُ مِنْ كَرَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِي إِلَيْهِ فَوَاللهِ مَا عِنْدِي لِبَنِي أُمَيَّةَ شَيْءٌ . وَلَا فِي يَدِي مَالٌ وَلَا وَدِيعَةٌ وَلَا فِي مَعْرِفَتِي أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ أَحَدٍ شَيْئًا . وَلَكِنِّي لَمَّا مَثُلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَسَأَلْتَنِي رَأَيْتُ مَا قُلْتُهُ أَقْرَبَ إِلَى الْخَلَاصِ وَالنَّجَاةِ . فَالْتَفَتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ اجْمَعْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِهِ . قَالَ الرَّبِيعُ : فَأَخَذْتُ الرَّجُلَ وَجَمَعْتُهُ بِالَّذِي سَعَى بِهِ . فَحِينَ رَآهُ الرَّجُلُ قَالَ : هَذَا غُلَامِي ضَرَبَ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ مَالِي وَأَبَقَ بِهَا مِنِّي . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَنْصُورُ ذَلِكَ هَدَّدَهُ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِتَعْذِيبِهِ . فَأَقَرَّ عِنْدَ ذَلِكَ الْغُلَامُ بِصِدْقِ كَلَامِ الرَّجُلِ وَأَنَّهُ غُلَامُهُ . وَأَنَّهُ أَخَذَ الْمَالَ الَّذِي ذَكَرَهُ مَوْلَاهُ وَأَبَقَ بِهِ . وَسَعَى بِمَوْلَاهُ لِيَجْرِيَ عَلَيْهِ أَمْرُ اللهِ وَيَسْلَمَ هُوَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي يَدِهِ . فَالْتَفَتَ الْمَنْصُورُ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ : نَسْأَلُكَ الصَّفْحَ عَنْهُ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَفَحْتُ عَنْ جُرْمِهِ وَأَبْرَأْتُ ذِمَّتَهُ مِنَ الْمَالِ وَأَعْطَيْتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ أُخْرَى . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَا عَلَى مَا فَعَلْتَ مِنَ الْكَرَمِ مَزِيدٌ . فَقَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ كَلَامُكَ لِي وَعَفْوُكَ عَنِّي . ثُمَّ اسْتَأْذَنَ

وَانْصَرَفَ . وَكَانَ الْمَنْصُورُ بَعْدَ ذٰلِكَ يَذْكُرُهُ يَتَعَجَّبُ وَيَقُولُ لِي :
مَا رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَ هٰذَا الرَّجُلِ يَا رَبِيعُ (للاتليدي)

غيلان بن سلمة عند كسرى

٣٣٢ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُرِيدُونَ الْعِرَاقَ بِتِجَارَةٍ . فَلَمَّا سَارُوا ثَلَاثًا جَمَعَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّا مِنْ مَسِيرِنَا هٰذَا لَعَلَى خَطَرٍ مَا قُدُومُنَا عَلَى مَلِكٍ جَبَّارٍ لَمْ يَأْذَنْ لَنَا فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ وَلَيْسَتْ بِلَادُهُ لَنَا بِمُتَجَرٍ . وَلٰكِنْ أَيُّكُمْ يَذْهَبُ بِالْعِيرِ فَإِنْ أُصِيبَ فَنَحْنُ بُرَآءُ مِنْ دَمِهِ وَإِنْ غَنِمَ فَلَهُ نِصْفُ الرِّبْحِ . فَقَالَ غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ : دَعُونِي إِذًا فَأَنَا لَهَا ... فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ كِسْرَى تَخَلَّقَ وَلَبِسَ ثَوْبَيْنِ أَصْفَرَيْنِ . وَشَهَرَ أَمْرَهُ وَجَلَسَ بِبَابِ كِسْرَى حَتَّى أَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَبَيْنَهُمَا شُبَّاكٌ مِنْ ذَهَبٍ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ التَّرْجُمَانُ وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ : مَا أَدْخَلَكَ بِلَادِي بِغَيْرِ إِذْنِي . فَقَالَ : قُلْ لَهُ : لَسْتُ مِنْ أَهْلِ عَدَاوَةٍ لَكَ وَلَا أَتَيْتُكَ جَاسُوسًا لِضِدٍّ مِنْ أَضْدَادِكَ . وَإِنَّمَا جِئْتُ بِتِجَارَةٍ تَسْتَمْتِعُ بِهَا . فَإِنْ أَرَدْتَهَا فَهِيَ لَكَ . وَإِنْ لَمْ تُرِدْهَا وَأَذِنْتَ فِي بَيْعِهَا لِرَعِيَّتِكَ بِعْتُهَا . وَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ فِي ذٰلِكَ رَدَدْتُهَا . (قَالَ) فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ فَإِذَا سَمِعَ صَوْتَ كِسْرَى سَجَدَ . فَقَالَ لَهُ التَّرْجُمَانُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ . لِمَ سَجَدْتَ . فَقَالَ : سَمِعْتُ صَوْتًا عَالِيًا حَيْثُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْلُوَ صَوْتُهُ إِجْلَالًا لِلْمَلِكِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يُقْدِمْ عَلَى رَفْعِ الصَّوْتِ هُنَاكَ غَيْرُ الْمَلِكِ فَسَجَدْتُ إِعْظَامًا لَهُ . (قَالَ) فَاسْتَحْسَنَ كِسْرَى مَا فَعَلَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِرْفَقَةٍ

تُوضَعُ تَحْتَهُ . فَلَمَّا أُتِيَ بِهَا رَأَى عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَلِكِ فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ فَاسْتَجْهَلَهُ كِسْرَى وَاسْتَحْمَقَهُ . وَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ : إِنَّمَا بَعَثْنَا بِهٰذِهِ لِتُجْلَسَ عَلَيْهَا . قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ وَلٰكِنِّي لَمَّا أُتِيتُ بِهَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَلِكِ فَلَمْ يَكُنْ حَقُّ صُورَتِهِ عَلَى مِثْلِي أَنْ يُجْلَسَ عَلَيْهَا . وَلٰكِنْ كَانَ حَقُّهَا التَّعْظِيمَ فَوَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي لِأَنَّهُ أَشْرَفُ أَعْضَائِي وَأَكْرَمُهَا عَلَيَّ . فَاسْتَحْسَنَ فِعْلَهُ جِدًّا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَلَكَ وَلَدٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبَرَ . وَالْمَرِيضُ حَتَّى يَبْرَأَ . وَالْغَائِبُ حَتَّى يَؤُوبَ . فَقَالَ كِسْرَى : زِهْ . مَا أَدْخَلَكَ عَلَيَّ وَدَلَّكَ عَلَى هٰذَا الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ إِلَّا حَظُّكَ . فَهٰذَا فِعْلُ الْحُكَمَاءِ وَكَلَامُهُمْ وَأَنْتَ مِنْ قَوْمٍ جُفَاةٍ لَا حِكْمَةَ فِيهِمْ . فَمَا غِذَاؤُكَ . قَالَ : خُبْزُ الْبُرِّ . قَالَ : هٰذَا الْعَقْلُ مِنَ الْبُرِّ لَا مِنَ اللَّبَنِ وَالتَّمْرِ . ثُمَّ اشْتَرَى مِنْهُ التِّجَارَةَ بِأَضْعَافِ ثَمَنِهَا وَكَسَاهُ وَبَعَثَ مَعَهُ مِنَ الْفُرْسِ مَنْ بَنَى لَهُ أُطُمًا بِالطَّائِفِ فَكَانَ أَوَّلَ أُطُمٍ بُنِيَ بِهَا (للاصبهاني)

المأمون ورائي البرامكة

٣٣٣ قَالَ خَادِمُ الْمَأْمُونِ : طَلَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَيْلَةً وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثُهُ . فَقَالَ لِي : خُذْ مَعَكَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَّاهُمَا لِي أَحَدُهُمَا عَلِيُّ ابْنُ مُحَمَّدٍ وَالْآخَرُ دِينَارٌ الْخَادِمُ . وَاذْهَبْ مُسْرِعًا لِمَا أَقُولُ لَكَ . فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ شَيْخًا يَحْضُرُ لَيْلًا إِلَى آثَارِ دُورِ الْبَرَامِكَةِ وَيُنْشِدُ شِعْرًا وَيَذْكُرُهُمْ ذِكْرًا كَثِيرًا وَيَنْدُبُهُمْ وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . فَامْضِ أَنْتَ وَعَلِيٌّ

ودينار حتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر. فإذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتاً فأتوني به. (قال) فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات فإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي جديد. وإذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الأبيات:

ولما رأيت السيف جندل جعفرا ... ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي ... عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها. فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له: أجب أمير المؤمنين. ففزع فزعاً شديداً وقال: دعوني حتى أوصي بوصية فإني لا أوقن بعدها بحياة. ثم تقدم إلى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها إلى غلامه. ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين فقال حين رآه: من أنت وبم استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم. قال الشيخ: يا أمير المؤمنين إن للبرامكة أيادي خطيرة عندي أفتأذن لي أن أحدثك بحالي معهم. قال: قل. فقال: يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك. وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال. فلما ركبني الدين واحتجت إلى بيع مسقط رأسي ورؤوس أهلي وبيتي الذي ولدت فيه أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة فخرجت من

دِمَشْقَ وَمَعِي نَيِّفٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِي وَوُلْدِي وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يُبَاعُ وَلَا مَا يُوهَبُ. حَتَّى دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَنَزَلْنَا فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ. فَدَعَوْتُ بِبَعْضِ ثِيَابٍ كُنْتُ أَعْدَدْتُهَا لِأَسْتَتِرَ بِهَا فَلَبِسْتُهَا وَخَرَجْتُ. وَتَرَكْتُهُمْ جِيَاعًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُمْ. وَدَخَلْتُ شَوَارِعَ بَغْدَادَ سَائِلًا عَنِ الْبَرَامِكَةِ. فَإِذَا أَنَا بِمَسْجِدٍ مُزَخْرَفٍ وَفِي جَانِبِهِ شَيْخٌ بِأَحْسَنِ زِيٍّ وَزِينَةٍ. وَعَلَى الْبَابِ خَادِمَانِ وَفِي الْجَامِعِ جَمَاعَةُ جُلُوسٌ. فَطَمِعْتُ فِي الْقَوْمِ وَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ. وَأَنَا أُقَدِّمُ رِجْلًا وَأُؤَخِّرُ أُخْرَى. وَالْعَرَقُ يَسِيلُ مِنِّي لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ صِنَاعَتِي. وَإِذَا الْخَادِمُ قَدْ أَقْبَلَ وَدَعَا الْقَوْمَ فَقَامُوا وَأَنَا مَعَهُمْ. فَدَخَلُوا دَارَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا يَحْيَى جَالِسٌ عَلَى دَكَّةٍ لَهُ وَسْطَ بُسْتَانٍ. فَسَلَّمْنَا وَهُوَ يَعُدُّنَا مِائَةً وَوَاحِدًا. وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَشَرَةٌ مِنْ وُلْدِهِ. وَإِذَا بِمِائَةٍ وَاثْنَا عَشَرَ خَادِمًا قَدْ أَقْبَلُوا وَمَعَ كُلِّ خَادِمٍ صِينِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ عَلَى كُلِّ صِينِيَّةٍ أَلْفُ دِينَارٍ. فَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا صِينِيَّةً. فَرَأَيْتُ الْقَاضِيَ وَالْمَشَايِخَ يَصُبُّونَ الدَّنَانِيرَ فِي أَكْمَامِهِمْ وَيَجْعَلُونَ الصَّوَانِيَ تَحْتَ آبَاطِهِمْ وَيَقُومُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ حَتَّى بَقِيتُ وَحْدِي لَا أَجْسُرُ عَلَى أَخْذِ الصِّينِيَّةِ. فَغَمَزَنِي الْخَادِمُ فَجَسَرْتُ وَأَخَذْتُهَا وَجَعَلْتُ الذَّهَبَ فِي كُمِّي وَالصِّينِيَّةَ فِي يَدِي. وَقُمْتُ وَجَعَلْتُ أَتَلَفَّتُ إِلَى وَرَائِي مَخَافَةَ أَنْ أُمْنَعَ مِنَ الذَّهَابِ. فَوَصَلْتُ وَأَنَا كَذَلِكَ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ وَيَحْيَى يُلَاحِظُنِي. فَقَالَ لِلْخَادِمِ: ائْتِنِي بِهَذَا الرَّجُلِ.

فأتى بي. فقال: مالي أراك تلتفت يميناً وشمالاً. فقصصت عليه قصتي. فقال للخادم: ائتني بولدي موسى. فأتاه به. فقال له: يا بني هذا رجل غريب فخذه إليك واحفظه بنفسك ونعمتك. فقبض موسى ولده على يدي وأدخلني إلى دار من دوره. فأكرمني غاية الإكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور. فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال له: الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت أمير المؤمنين. فأقبضه إليك وأكرمه. ففعل ذلك وأكرمني غاية الإكرام. ثم لما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد. ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونني على مدة عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الأموات هم أم في الأحياء. فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم. فقالوا: قم فاخرج إلى عيالك بسلام. فقلت: واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج على هذه الحالة. إنا لله وإنا إليه راجعون. فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع. فلما رفع الخادم الستر الأخير. قال لي: مهما كان لك من الحوائج فارفعها إلي. فإني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به. فلما رفع الستر الأخير رأيت حجرة كالشمس حسناً ونوراً. واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك. وإذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل إلي ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار. ومنشوراً بضيعتين

وَتلكَ الصِّينيَّةَ الَّتي كُنتُ أَخذتُها بِما فيها مِنَ الدَّنانيرِ والبَنادِقِ. وأَقمتُ يا أَميرَ المُؤمنينَ مَعَ البَرامِكةِ في دُورِهِم ثَلاثَ عَشرَةَ سَنَةً لا يَعلَمُ النَّاسُ أَمِنَ البَرامِكةِ أَنا أَم رَجُلٌ غَريبٌ. فَلَمَّا جاءَتهُمُ البَليَّةُ ونَزَلَ بِهِم يا أَميرَ المُؤمنينَ مِنَ الرَّشيدِ ما نَزَلَ أَجحَفَني عَمرُو بنُ مُسعِدَةَ وأَلزَمَني في هاتَينِ الضَّيعَتَينِ مِنَ الخَراجِ ما لا يَفي دَخلُهُما بِهِ. فَلَمَّا تَحامَلَ عَلَيَّ الدَّهرُ كُنتُ في آخِرِ اللَّيلِ أَقصِدُ خَرابَاتِ دُورِهِم فَأَندُبُهُم وأَذكُرُ حُسنَ صُنعِهِم إِلَيَّ وأَبكي عَلى إِحسانِهِم. فَقالَ المَأمونُ: عَلَيَّ بِعَمرِو بنِ مُسعِدَةَ. فَلَمَّا أُتيَ بِهِ قالَ لَهُ: تَعرِفُ هٰذا الرَّجُلَ. قالَ: يا أَميرَ المُؤمنينَ هُوَ بَعضُ صَنائِعِ البَرامِكةِ. قالَ: كَم أَلزَمتَهُ في ضَيعَتَيهِ. قالَ: كَذا وكَذا. فَقالَ لَهُ: رُدَّ إِلَيهِ كُلَّ ما أَخَذتَهُ مِنهُ في مُدَّتِهِ وأَفرِغهُما لَهُ لِيَكونا لَهُ ولِعَقِبِهِ مِن بَعدِهِ. (قالَ) فَعَلا نَحيبُ الرَّجُلِ. فَلَمَّا رَأَى المَأمونُ كَثرَةَ بُكائِهِ قالَ لَهُ: يا هٰذا قَد أَحسَنّا إِلَيكَ فَما يُبكيكَ. قالَ: يا أَميرَ المُؤمنينَ وهٰذا أَيضاً مِن صَنيعِ البَرامِكةِ. لَو لَم آتِ خَرابَاتِهِم فَأَبكيَهُم وأَندُبَهُم حَتّى أَتَّصِلَ خَبَري إِلى أَميرِ المُؤمنينَ فَفَعَلَ بي ما فَعَلَ مِن أَينَ كُنتُ أَصِلُ إِلى أَميرِ المُؤمنينَ. قالَ إِبرٰهيمُ بنُ مَيمونٍ: فَرَأَيتُ المَأمونَ وقَد دَمَعَت عَينٰاهُ وظَهَرَ عَلَيهِ حُزنُهُ وقالَ: لَعَمري هٰذا مِن صَنائِعِ البَرامِكةِ فَعَلَيهِم فَأَبكِ وإِيّاهُم فَاشكُر ولَهُم فَأَوفِ ولِإِحسانِهِم فَاذكُر (للاتليدي)

الباب العاشر
في الفكاهات

٣٣٤ قَرَعَ قَوْمٌ عَلَى الْجَاحِظِ الْبَابَ فَخَرَجَ صَبِيٌّ لَهُ. فَسَأَلُوهُ مَا يَصْنَعُ. فَقَالَ: هُوَ ذَا يَكْذِبُ عَلَى اللهِ. قِيلَ: كَيْفَ. قَالَ: نَظَرَ فِي الْمِرْآةِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَنِي فَأَحْسَنَ صُورَتِي (لكمال الدين الحلبي)

٣٣٥ تَحَاكَمَ إِلَى أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ وَزُبَيْدَةُ فِي الْفَالُوذَجِ وَاللَّوْزِينَجِ أَيُّهُمَا أَطْيَبُ. فَقَالَ: أَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَى الْغَائِبِ. فَأَمَرَ بِاتِّخَاذِهِمَا وَتَقْدِيمِهِمَا إِلَيْهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْ هٰذَا مَرَّةً وَمِنْ ذَاكَ أُخْرَى حَتَّى نَصَفَ الْجَامَ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتُ أَعْدَلَ مِنْهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُسَجِّلَ لِأَحَدِهِمَا أَدْلَى الْآخَرُ بِحُجَّتِهِ (للابشيهي)

العائد والمريض

٣٣٦ مَرِضَ صَدِيقٌ لِحَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَأَرَادَ أَنْ يُنْفِذَ إِلَيْهِ ابْنَهُ يَعُودُهُ. فَأَوْصَاهُ وَقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ فَاجْلِسْ فِي أَرْفَعِ الْمَوْضِعِ وَقُلْ لِلْمَرِيضِ: مَا تَشْكُو. فَإِذَا قَالَ: كَذَا وَكَذَا فَقُلْ: سَلِيمٌ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَقُلْ لَهُ: مَا يَجِيئُكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ. فَإِذَا قَالَ: فُلَانٌ. فَقُلْ: مُبَارَكٌ مَيْمُونٌ. وَقُلْ لَهُ: مَا غِذَاؤُكَ. فَإِذَا قَالَ: كَذَا وَكَذَا. فَقُلْ طَعَامٌ مَحْمُودٌ. فَذَهَبَ الِابْنُ فَدَخَلَ عَلَى الْعَلِيلِ. وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَنَارَةٌ فَجَلَسَ عَلَيْهَا لِارْتِفَاعِهَا. فَسَقَطَتْ عَلَى صَدْرِ الْعَلِيلِ فَأَوْجَعَتْهُ. ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ

لِلْعَلِيلِ : مَا تَشْكُو . فَقَالَ بِضُجْرَةٍ : أَشْكُو عِلَّةَ الْمَوْتِ . فَقَالَ : سَلِيمٌ إِنْ شَاءَ اللهُ . قَالَ : فَمَنْ يَجِيئُكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ . قَالَ : مَلَكُ الْمَوْتِ . قَالَ : مُبَارَكٌ مَيْمُونٌ . قَالَ : فَمَا غِذَاؤُكَ . فَقَالَ : سُمُّ الْمَوْتِ . قَالَ : طَعَامٌ طَيِّبٌ مَحْمُودٌ (لكمال الدين الحلبي)

الطبخ للمفضل

٣٣٧ مِنْ ظَرِيفِ مَا اتَّفَقَ لِأَبِي الرَّقَعْمَقِ قَالَ : كَانَ لِي إِخْوَانٌ أَرْبَعَةٌ وَكُنْتُ أُنَادِمُهُمْ فِي أَيَّامِ الْأُسْتَاذِ كَافُورٍ . فَأَتَى إِلَيَّ رَسُولُهُمْ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ وَلَيْسَتْ لِي كُسْوَةٌ تُحْصِنُنِي مِنَ الْبَرْدِ . فَقَالَ الرَّسُولُ : إِخْوَانُكَ يَقْرَأُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُونَ لَكَ : اصْطَبَحْنَا الْيَوْمَ وَذَبَحْنَا شَاةً سَمِينَةً فَأَشْتَهِ مَا نَطْبُخُهُ لَكَ وَأْتِنَا عَاجِلًا . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ : إِخْوَانُنَا قَصَدُوا الصَّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فَأَتَى رَسُولُهُمْ إِلَيَّ خَصِيصَا قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نَجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا

فَذَهَبَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ بِالرُّقْعَةِ . فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى عَادَ وَمَعَهُ أَرْبَعُ خِلَعٍ وَأَرْبَعُ صُرَرٍ فِي كُلِّ صُرَّةٍ عَشَرَةُ دَنَانِيرَ فَلَبِسْتُ إِحْدَاهَا وَسِرْتُ إِلَيْهِمْ

٣٣٨ وَحُكِيَ أَنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ مَدَنِيٍّ سَكْرَانَ إِلَى بَعْضِ الْوُلَاةِ فَأَمَرَ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ طَوِيلًا وَالْجَلَّادُ قَصِيرًا فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ضَرْبِهِ . فَقَالَ الْجَلَّادُ : تَقَاصَرْ لِيَنَالَكَ الضَّرْبُ . فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ إِلَى أَكْلِ الْفَالُوذَجِ تَدْعُونِي . وَلَقَدْ وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي أَطْوَلُ مِنْ عُوجٍ

أَبْنِ عَنَقٍ وَأَنْتَ أَقْصَرُ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (للنواجي)

الاعرابي وجرو الذئب

٣٣٩ حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَخَذَ جِرْوَ ذِئْبٍ فَرَبَّاهُ بِلَبَنِ شَاةٍ فَقَالَ: إِذَا رَبَّيْتُهُ مَعَ الشَّاةِ يَأْنَسُ بِهَا فَيَذُبُّ عَنْهَا وَيَكُونُ أَشَدَّ مِنَ الْكَلْبِ. فَلَا يَعْرِفُ طَبْعَ أَجْنَاسِهِ. فَلَمَّا قَوِيَ وَثَبَ عَلَى شَاتِهِ فَافْتَرَسَهَا. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:

بَقَرْتَ شُوَيْهَتِي وَفَجَعْتَ قَلْبِي وَأَنْتَ لِشَاتِنَا وَلَدٌ رَبِيبُ
غُذِيتَ بِدَرِّهَا وَرَبِيتَ فِينَا فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذِيبُ

عدل غريب

٣٤٠ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى قَاضٍ فَقَالَتْ: مَاتَ زَوْجِي وَتَرَكَ أَبَوَيْهِ وَوَلَدًا وَامْرَأَةً وَأَهْلًا وَلَهُ مَالٌ. فَقَالَ: لِأَبَوَيْهِ الثُّلُثُ. وَلِوَلَدِهِ الْبَقِيَّةُ. وَلِامْرَأَتِهِ الْخُلْفُ. وَلِأَهْلِهِ الْقِلَّةُ وَالذِّلَّةُ. وَالْمَالُ يُحْمَلُ إِلَيْنَا حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهِ بَيْنَكُمْ خُصُومَةٌ (للثعالبي)

ابو دلامة وابن سليمان في الصيد

٣٤١ رُوِيَ أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ كَانَ مُنْحَرِفًا عَلَى عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ فَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ الْمَهْدِيُّ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَأَبُو دُلَامَةَ. فَرَمَى الْمَهْدِيُّ ظَبْيًا عَنَّ لَهُ فَأَنْفَذَ مَقَاتِلَهُ. وَرَمَى عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ فَاصْطَادَ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ الصَّيْدِ فَارْتَجَلَ أَبُو دُلَامَةَ:

قَدْ رَمَى الْمَهْدِيُّ ظَبْيًا شَكَّ بِالسَّهْمِ فُؤَادَهْ

وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَا نِ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهْ
فَهَنِيئًا لَهُمَا كُلُّ فَتًى يَأْكُلُ زَادَهْ
فَضَحِكَ ٱلْمَهْدِيُّ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ (بدائع البدائه للازدي)

٣٤٢ يُحْكَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا ٱسْتَضَافَ حَاتِمًا فَلَمْ يُنْزِلْهُ. فَبَاتَ جَائِعًا مَقْرُورًا. فَلَمَّا كَانَ فِي ٱلسَّحَرِ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَٱنْصَرَفَ. فَتَقَدَّمَهُ حَاتِمٌ. فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ ٱلْبُيُوتِ لَقِيَهُ مُتَنَكِّرًا فَقَالَ لَهُ: مَنْ كَانَ أَبَا مَثْوَاكَ ٱلْبَارِحَةَ. قَالَ: حَاتِمٌ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ مَبِيتُكَ عِنْدَهُ. قَالَ: خَيْرَ مَبِيتٍ. نَحَرَ لِي نَاقَةً فَأَطْعَمَنِي لَحْمًا عَبِيطًا وَأَسْقَانِي ٱلْخَمْرَ. وَعَلَفَ رَاحِلَتِي وَسِرْتُ مِنْ عِنْدِهِ بِخَيْرِ حَالٍ. فَقَالَ لَهُ: أَنَا حَاتِمٌ. وَإِنَّكَ لَا تَبْرَحُ حَتَّى تَرَى مَا وَصَفْتَ فَرَدَّهُ وَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى ٱلْكَذِبِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْأَعْرَابِيُّ: إِنَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ يُثْنُونَ عَلَيْكَ بِٱلْجُودِ. وَلَوْ ذَكَرْتُ شَرًّا كُنْتُ أَكْذِبُ. فَرَجَعْتُ مُضْطَرًّا إِلَى قَوْلِهِمْ إِبْقَاءً عَلَى نَفْسِي لَا عَلَيْكَ (للشريشي)

الفتى والحمار

٣٤٣ قِيلَ مَضَى فَتًى فِي طَرِيقٍ عَلَى حِمَارٍ لَهُ حَتَّى أَمْسَى فَنَزَلَ فِي مَنْزِلٍ بِٱلطَّرِيقِ. وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى مُهْرٍ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْفَتَى وَحَيَّاهُ فَأَنِسَ بِهِ. وَجَلَسَا يَتَحَادَثَانِ بُرْهَةً فَٱسْتَلْطَفَهُ ٱلرَّجُلُ. ثُمَّ دَعَا بِطَعَامٍ فَحَضَرَ. وَدَعَا بِعَلَفٍ لِمُهْرِهِ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ. وَجَلَسَ يَأْكُلُ وَٱلْفَتَى. وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ نَفَقَةٌ لِعَلَفِ حِمَارِهِ فَنَظَرَ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَقَالَ:

يَا سَيِّدِي نَظْمِي يُعَابُ بِنَثْرِكَا فَلِذَاكَ شِعْرِي لَا يُقَاسُ بِشِعْرِكَا
أَوْلَيْتَنِي فَضْلًا وَإِنِّي عَاجِزٌ مَا طَالَ عُمْرِي أَنْ أَقُومَ بِشُكْرِكَا
أَنَا فِي ضِيَافَتِكَ الْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فَاجْعَلْ حِمَارِي فِي ضِيَافَةِ مُهْرِكَا

فَضَحِكَ الرَّجُلُ. وَقَالَ: مَا هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ مِنِّي. وَدَعَا بِعَلَفٍ لِلْحِمَارِ كَعَلَفِ الْمُهْرِ فَقُدِّمَ إِلَيْهِ (لابن خلكان)

٣٤٤ قِيلَ لِرَجُلٍ جَبَانٍ فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ: تَقَدَّمْ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَقَالُوا تَقَدَّمْ قُلْتُ لَسْتُ بِفَاعِلٍ أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تُحَطَّمَا
فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أُتْلِفُ وَاحِدًا وَلَكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا رَاحَ أُعْقِمَا
وَلَوْ كَانَ مُبْتَاعًا لَدَى السُّوقِ مِثْلُهُ فَعَلْتُ وَلَمْ أَحْفِلْ بِأَنْ أَتَقَدَّمَا
فَأُوتِمَ أَوْلَادًا وَأُرْمِلَ نِسْوَةً فَكَيْفَ عَلَى هٰذَا تَرَوْنَ التَّقَدُّمَا

ابو دلامة في بيت الدجاج

٣٤٥ كَانَ الْمَهْدِيُّ قَدْ كَسَا أَبَا دُلَامَةَ سَاجًا فَأُخِذَ بِهِ وَهُوَ سَكْرَانُ. فَأُتِيَ بِهِ إِلَى الْمَهْدِيِّ فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ السَّاجِ عَلَيْهِ وَأَنْ يُحْبَسَ فِي بَيْتِ الدَّجَاجِ. فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ وَصَحَا أَبُو دُلَامَةَ مِنْ سُكْرِهِ وَرَأَى نَفْسَهُ بَيْنَ الدَّجَاجِ صَاحَ: يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ. فَاسْتَجَابَ لَهُ السَّجَّانُ وَقَالَ: مَالَكَ يَا عَدُوَّ اللهِ. قَالَ: وَيْلَكَ مَنْ أَدْخَلَنِي مَعَ الدَّجَاجِ. قَالَ: أَعْمَالُكَ الْخَبِيثَةُ. أُتِيَ بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ سَكْرَانُ. فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ سَاجِكَ وَحَبْسِكَ مَعَ الدَّجَاجِ. قَالَ لَهُ: وَيْلَكَ ارْقُبْ لِي سِرَاجًا وَجِئْنِي بِدَوَاةٍ وَوَرَقٍ. فَكَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى الْمَهْدِيِّ:

أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَدَتْكَ نَفْسِي ... عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أُقَادُ إِلَى ٱلسُّجُونِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... كَأَنِّي بَعْضُ عُمَّالِ ٱلْخَرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَهَانَ ذَاكُمْ ... وَلَكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ ٱلدَّجَاجِ
دَجَاجَاتٌ يُطِيفُ بِهِنَّ دِيكٌ ... يُنَادِي بِٱلصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي
وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي ... بِأَنِّي مِنْ عَذَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا ... لِخَيْرِكَ بَعْدَ ذَاكَ ٱلشَّرِّ رَاجِي

ثُمَّ قَالَ أَوْصِلُهَا إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ ٱلسَّجَّانُ. فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ بِتَّ ٱللَّيْلَةَ أَبَا دُلَامَةَ. قَالَ: فِي بَيْتِ ٱلدَّجَاجِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ. قَالَ: كُنْتُ أُقَوِّقِي مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ. فَضَحِكَ ٱلْمَهْدِيُّ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ جَزِيلَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ كُسْوَةً شَرِيفَةً

في أي الاثنين اغلب على الرجل الادب او الطبع

٣٤٦ قِيلَ إِنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ كَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَازِمٌ مُجَرَّبٌ فَكَانَ يَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ وَيَتَعَرَّفُ ٱلْيُمْنَ فِي مَشُورَتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ هَلَكَ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ فَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ مُسْتَبِدًّا بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَاكَ كَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ. فَقَالَ: كَانَ يَغْلَطُ فِيهِ وَسَأَمْتَحِنُهُ بِنَفْسِي. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهُمَا أَغْلَبُ عَلَى ٱلرَّجُلِ ٱلْأَدَبُ أَوِ ٱلطَّبِيعَةُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَزِيرُ: ٱلطَّبِيعَةُ أَغْلَبُ لِأَنَّهَا أَصْلٌ وَٱلْأَدَبُ فَرْعٌ. وَكُلُّ فَرْعٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ. فَدَعَا بِسُفْرَتِهِ فَلَمَّا وُضِعَتْ أَقْبَلَتْ سَنَانِيرُ

بِأَيْدِيهَا الشَّمْعُ فَوَقَفَتْ حَوْلَ السُّفْرَةِ فَقَالَ لِلْوَزِيرِ : اعْتَبِرْ خَطَأَكَ وَضَعْفَ مَذْهَبِكَ مَتَى كَانَ أَبُو هٰذِهِ السَّنَانِيرِ شَمَّاعًا . فَسَكَتَ عَنْهُ الْوَزِيرُ وَقَالَ : أَمْهِلْنِي فِي الْجَوَابِ إِلَى اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ . فَقَالَ : ذٰلِكَ لَكَ . فَخَرَجَ الْوَزِيرُ فَدَعَا بِغُلَامٍ لَهُ فَقَالَ : الْتَمِسْ لِي فَأْرًا وَارْبِطْهُ فِي خَيْطٍ وَجِئْنِي بِهِ . فَأَتَاهُ بِهِ الْغُلَامُ فَعَقَدَهُ فِي سَبِنْتِهِ وَطَرَحَهُ فِي كُمِّهِ . ثُمَّ رَاحَ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْمَلِكِ فَلَمَّا حَضَرَتْ سُفْرَتُهُ أَقْبَلَتِ السَّنَانِيرُ بِالشَّمْعِ حَتَّى حَفَّتْ بِهَا فَحَلَّ الْوَزِيرُ الْفَأْرَ مِنْ سَبِنْتِهِ ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيْهَا . فَاسْتَبَقَتِ السَّنَانِيرُ إِلَيْهِ وَرَمَتْ بِالشَّمْعِ حَتَّى كَادَ الْبَيْتُ يَضْطَرِمُ نَارًا . فَقَالَ الْوَزِيرُ : كَيْفَ رَأَيْتَ غَلَبَةَ الطَّبْعِ عَلَى الْأَدَبِ وَرُجُوعَ الْفَرْعِ إِلَى أَصْلِهِ . قَالَ : صَدَقْتَ . وَرَجَعَ إِلَى مَا كَانَ أَبُوهُ عَلَيْهِ مَعَهُ . فَإِنَّمَا مَدَارُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى طَبْعِهِ وَالتَّكَلُّفُ مَذْمُومٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ (لابن عبد ربه)

المستخبر عن وفاة ابيه

٣٤٧ بَيْنَا قَوْمٌ جُلُوسٌ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَأْكُلُونَ عِنْدَهُ حِيتَانًا . إِذِ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ أَشْعَبُ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : إِنَّ مِنْ شَأْنِ أَشْعَبَ الْبَسْطَ إِلَى أَجَلِ الطَّعَامِ . فَاجْعَلُوا كِبَارَ هٰذِهِ الْحِيتَانِ فِي قَصْعَةٍ بِنَاحِيَةٍ وَيَأْكُلُ مَعَنَا الصِّغَارَ . فَفَعَلُوا وَأَذِنَ لَهُ . فَقَالُوا لَهُ : كَيْفَ رَأْيُكَ فِي الْحِيتَانِ . فَقَالَ : إِنَّ لِي عَلَيْهَا لَحَرَدًا شَدِيدًا وَحَنَقًا لِأَنَّ أَبِي مَاتَ فِي الْبَحْرِ وَأَكَلَتْهُ الْحِيتَانُ . قَالُوا لَهُ : فَدُونَكَ خُذْ بِثَأْرِ أَبِيكَ . فَجَلَسَ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى حُوتٍ مِنْهَا صَغِيرٍ . ثُمَّ وَضَعَهُ عِنْدَ أُذُنِهِ وَقَدْ نَظَرَ إِلَى

ٱلْقَصْعَةَ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْحِيتَانُ فِي زَاوِيَةِ ٱلْمَجْلِسِ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ لِي هٰذَا ٱلْحُوتُ. قَالُوا : لَا. قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ مَوْتَ أَبِي وَلَا أَدْرَكَهُ لِأَنَّ سِنَّهُ يَصْغُرُ عَنْ ذٰلِكَ. وَلٰكِنْ قَالَ لِي : عَلَيْكَ بِتِلْكَ ٱلْكِبَارِ ٱلَّتِي فِي زَاوِيَةِ ٱلْبَيْتِ فَهِيَ أَدْرَكَتْ أَبَاكَ وَأَكَلَتْهُ

المحبّ الايجاز

٣٤٨ إِصْطَحَبَ نَحْوِيٌّ وَرَجُلٌ فِي سَفَرٍ. فَرَضَ ٱلنَّحْوِيُّ. وَأَرَادَ ٱلرَّجُلُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ. فَأَرَادَ ٱلنَّحْوِيُّ أَنْ يُحَمِّلَهُ رِسَالَةً إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لَهُ : قُلْ لِأَهْلِي : لَقَدْ أَصَابَهُ صُدْعٌ فِي رَأْسِهِ. وَبِلِيَ بِوَجَعٍ أَضْرَاسِهِ. وَوَقَعَتِ ٱلْحُمَّةُ فِي أَنْفَاسِهِ. وَقَدْ فَتَرَتْ يَدَاهُ. وَتَوَرَّمَتْ رِجْلَاهُ. وَشَخَصَتْ عَيْنَاهُ. وَٱنْحَلَّتْ رُكْبَتَاهُ. وَأَصَابَهُ وَجَعٌ فِي ظَهْرِهِ. وَضَرَبَانٌ فِي صَدْرِهِ. وَهُزَالٌ فِي طِحَالِهِ. وَتَقَطُّعٌ فِي أَوْصَالِهِ. وَخَفَقَانٌ فِي قَلْبِهِ. وَأَلَمٌ فِي صُلْبِهِ وَمَاءٌ فِي عَيْنَيْهِ. وَرِيحٌ فِي سَاقَيْهِ. وَٱرْتِخَاءٌ فِي حَنَكِهِ. وَنَبَضَانٌ فِي صُدْغَيْهِ. وَسُكُونٌ فِي نَبْضِهِ مِنْ تَوَاتُرِ غَشَيَانِهِ وَسَكْتَةٌ فِي لِسَانِهِ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : يَا سَيِّدِي ٱلشَّيْخُ أَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُطِيلَ ٱلْكَلَامَ وَلٰكِنْ أَقُولُ لَهُمْ : مَاتَ وَٱلسَّلَامُ

البقرة الغارقة

٣٤٩ حُكِيَ فِي ٱلْإِحْيَاءِ أَنَّ شَخْصًا كَانَ لَهُ بَقَرَةٌ وَكَانَ يَشُوبُ لَبَنَهَا بِٱلْمَاءِ وَيَبِيعُهُ. فَجَاءَ ٱلسَّيْلُ فِي بَعْضِ ٱلْأَوْدِيَةِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ تَرْعَى فَمَرَّ عَلَيْهَا فَغَرَّقَهَا. فَجَلَسَ صَاحِبُهَا لِيَنْدُبَهَا. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ بَنِيهِ : يَا أَبَتِ لَا

تَنْدُبُهَا فَإِنَّ الْمِيَاهَ الَّتِي كُنَّا نَخْلِطُهَا بِلَبَنِهَا اجْتَمَعَتْ فَغَرِقَتْهَا (الابشيهي)

السائل والبخيل

٣٥٠ قِيلَ إِنَّ سَائِلًا أَتَى إِلَى بَابِ رَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ أَصْفَهَانَ فَسَأَلَ شَيْئًا لِلَّهِ. فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لِعَبْدِهِ: يَا مُبَارَكُ قُلْ لِعَنْبَرٍ: يَقُولُ لِجَوْهَرٍ وَجَوْهَرٌ يَقُولُ لِيَاقُوتٍ وَيَاقُوتٌ يَقُولُ لِأَلْمَاسٍ وَأَلْمَاسٌ يَقُولُ لِفَيْرُوزٍ وَفَيْرُوزٌ يَقُولُ لِمَرْجَانَ وَمَرْجَانُ يَقُولُ لِهَذَا السَّائِلِ: يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْكَ. فَسَمِعَهُ السَّائِلُ فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: يَا رَبِّ قُلْ لِجِبْرَائِيلَ يَقُولُ لِمِيكَائِيلَ وَمِيكَائِيلُ يَقُولُ لِدَرْدَائِيلَ وَدَرْدَائِيلُ يَقُولُ لِكِيكَائِيلَ وَكِيكَائِيلُ يَقُولُ لِإِسْرَافِيلَ وَإِسْرَافِيلُ يَقُولُ لِعِزْرَائِيلَ أَنْ يَزُورَ هَذَا الْبَخِيلَ. فَعَجِلَ التَّاجِرُ وَمَضَى السَّائِلُ لِحَالِ سَبِيلِهِ (للعيني)

٣٥١ قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ يَصِفُ بَخِيلًا:

لَا يَخْرُجُ الزِّئْبَقُ مِنْ كَفِّهِ وَلَوْ ثَقَبْنَاهَا بِمِسْمَارِ
يُحَاسِبُ الدِّيكَ عَلَى نَقْدِهِ وَيَطْرُدُ الْهِرَّ مِنَ الدَّارِ
يَكْتُبُ فِي كُلِّ رَغِيفٍ لَهُ يَحْرُسُكَ اللهُ مِنَ النَّارِ

٣٥٢ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَالِمٍ الْخَيَّاطُ فِي رَجُلٍ كَثِيرِ الْكَلَامِ:

لِي صَاحِبٌ فِي حَدِيثِهِ الْبَرَكَهْ يَزِيدُ عِنْدَ السُّكُونِ وَالْحَرَكَهْ
لَوْ قَالَ لَا فِي قَلِيلِ أَحْرُفِهَا لَرَدَّهَا بِالْحُرُوفِ مُشْتَبِكَهْ

٣٥٣ حَكَى دِعْبِلٌ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ يَوْمًا فَوَجَدْنَاهُ يَتَضَوَّرُ جُوعًا. ثُمَّ إِنَّهُ نَادَى غُلَامًا لَهُ وَقَالَ: وَيْحَكَ أَيْنَ الْغَدَاءُ. فَجَاءَ

بِقَصْعَةٍ فِيهَا دِيكٌ مَطْبُوخٌ . فَتَأَمَّلَهُ ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الرَّأْسُ . فَقَالَ الْغُلَامُ : رَمَيْتُهُ . قَالَ : إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يُرْمَى بِرِجْلِهِ فَكَيْفَ بِرَأْسِهِ . وَيْحَكَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّأْسَ رَئِيسُ الْأَعْضَاءِ وَمِنْهُ يَصْرُخُ الدِّيكُ . وَلَوْلَا صَوْتُهُ مَا أُرِيدَ . وَفِيهِ فَرْقُهُ الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ . وَعَيْنُهُ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ . فَيُقَالُ شَرَابٌ كَعَيْنِ الدِّيكِ . وَدِمَاغُهُ مُفِيدٌ لِوَجَعِ الْبَطْنِ . وَلَمْ أَرَ عَظْمًا أَهَشَّ تَحْتَ الْأَسْنَانِ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ . وَهَبْكَ ظَنَنْتَ أَنِّي لَا آكُلُهُ أَمَا قُلْتَ عِنْدَهُ مَنْ يَأْكُلُهُ . انْظُرْ فِي أَيِّ مَكَانٍ رَمَيْتَهُ فَأْتِنِي بِهِ . فَقَالَ : بِحَيَاتِكَ مَا أَدْرِي أَيْنَ رَمَيْتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَدْرِي وَأَعْرِفُ . رَمَيْتَهُ فِي بَطْنِكَ اللهُ حَسْبُكَ . نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْبُخْلِ وَأَهْلِهِ (للقيرواني)

الاصبع المقطوعة

٣٥٤ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيَّيْنِ ظَرِيفَيْنِ مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ حَطَمَتْهُمَا سَنَةٌ فَانْحَدَرَا إِلَى الْعِرَاقِ . فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَمَاشَيَانِ فِي السُّوقِ وَاسْمُ أَحَدِهِمَا خِنْدَانُ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَوْطَأَ دَابَّتَهُ رِجْلَ خِنْدَانَ فَقَطَعَ إِصْبَعًا مِنْ أَصَابِعِهِ . فَتَعَلَّقَا بِهِ حَتَّى أَخَذَا أَرْشَ الْإِصْبَعِ . وَكَانَا جَائِعَيْنِ مَقْرُورَيْنِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ بِأَيْدِيهِمَا قَصَدَا إِلَى بَعْضِ الْكَرَابِجِ فَابْتَاعَا مِنَ الطَّعَامِ مَا اشْتَهَيَا . فَلَمَّا شَبِعَ صَاحِبُ خِنْدَانَ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَلَا غَرْثٌ مَا دَامَ فِي النَّاسِ كُرْنَجٌ وَمَا بَقِيَتْ فِي رِجْلِ خِنْدَانَ إِصْبَعُ

السفط المقفل

٣٥٥ أُتِيَ الْحَجَّاجُ بِسَفَطٍ قَدْ أُصِيبَ فِي بَعْضِ خَزَائِنِ كِسْرَى مُقْفَلٍ :

فَأَمَرَ بِالْقُفْلِ فَكُسِرَ فَإِذَا فِيهِ سَفَطٌ آخَرُ مُقْفَلٌ. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي هٰذَا السَّفَطَ بِمَا فِيهِ فَتَزَايَدَ فِيهِ أَصْحَابُهُ حَتَّى بَلَغَ خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ. فَأَخَذَهُ الْحَجَّاجُ وَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ إِلَّا حَمَاقَةٌ مِنْ حَمَاقَاتِ الْعَجَمِ. ثُمَّ أَنْفَذَ الْبَيْعَ وَعَزَمَ عَلَى الْمُشْتَرِي أَنْ يَفْتَحَهُ وَيُرِيَهُ مَا فِيهِ. فَفَتَحَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا فِيهِ رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا: مَنْ أَرَادَ أَنْ تَطُولَ لِحْيَتُهُ فَلْيُمَشِّطْهَا مِنْ أَسْفَلَ (لابن عبد ربه)

٣٥٦ دَخَلَ بَشَّارٌ الضَّرِيرُ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَعِنْدَهُ خَالُهُ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْحِمْيَرِيُّ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً يَمْدَحُهُ بِهَا. فَلَمَّا أَتَمَّهَا قَالَ لَهُ يَزِيدُ: مَا صِنَاعَتُكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ. فَقَالَ لَهُ: أَثْقُبُ اللُّؤْلُؤَ. فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ: أَتَهْزَأُ بِخَالِي. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَكُونُ جَوَابِي لَهُ وَهُوَ يَرَانِي شَيْخًا أَعْمَى أُنْشِدُ شِعْرًا. فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَأَجَازَهُ

٣٥٧ كَانَ أَبُو الشَّمْقَمَقِ الشَّاعِرُ الظَّرِيفُ الْمَشْهُورُ قَدْ لَزِمَ بَيْتَهُ لِأَطْمَارٍ رَثَّةٍ كَانَ يَسْتَحِي أَنْ يَخْرُجَ بِهَا إِلَى النَّاسِ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ يُسَلِّيهِ عَمَّا رَأَى مِنْ سُوءِ حَالِهِ: أَبْشِرْ يَا أَبَا الشَّمْقَمَقِ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْعَارِينَ فِي الدُّنْيَا هُمُ الْكَاسُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا فَإِنِّي لَأَكُونُ بَزَّازًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (لبهاء الدين)

٣٥٨ قَالَ ابْنُ سُكَّرَةَ الْهَاشِمِيُّ فِي صَاحِبٍ يُعْرَفُ بِابْنِ الْبُرْغُوثِ:

بُلِيتُ وَلَا أَقُولُ بِمَنْ لِأَنِّي ... مَتَى مَا قُلْتُ مَنْ هُوَ يَصْحَبُوهُ

خَلِيلٌ قَدْ نَفَى عَنِّي رُقَادِي ... فَإِنْ أَغْمَضْتُ أَيْقَظَنِي أَبُوهُ

الحمار المحبوس

٣٥٩ كَانَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ طَائِفٌ يُقَالُ لَهُ صَفْوَانُ. فَجَاءَ ٱلْخَزِينُ ٱلدَّيْلِيُّ إِلَى شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ فَٱسْتَعَارَهُ حِمَارَهُ وَذَهَبَ إِلَى ٱلْعَقِيقِ فَشَرِبَ. وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلْحِمَارِ وَقَدْ سَكِرَ. فَجَاءَ ٱلْحِمَارُ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى بَابِ ٱلْمَسْجِدِ كَمَا كَانَ صَاحِبُهُ عَوَّدَهُ إِيَّاهُ. فَمَرَّ بِهِ صَفْوَانُ فَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ وَحَبَسَ ٱلْحِمَارَ فَأَصْبَحَ ٱلْحِمَارُ مَحْبُوسًا مَعَهُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَيَا أَهْلَ ٱلْمَدِينَةِ خَبِّرُونِي بِأَيِّ جَرِيرَةٍ حُبِسَ ٱلْحِمَارُ
فَمَا لِلْعِيرِ مِنْ جُرْمٍ إِلَيْكُمْ وَمَا بِٱلْعِيرِ إِنْ ظُلِمَ ٱنْتِصَارُ

فَرَدُّوا ٱلْحِمَارَ عَلَى صَاحِبِهِ وَضَرَبُوا ٱلْخَزِينَ ٱلْحَدَّ (الاغاني)

البرهان القاطع

٣٦٠ إِدَّعَى رَجُلٌ فِي أَيَّامِ ٱلْمَأْمُونِ أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْخَلِيلُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَأْمُونُ: إِنَّ مُعْجِزَةَ ٱلْخَلِيلِ ٱلْإِلْقَاءُ فِي ٱلنَّارِ. فَنَحْنُ نُلْقِيكَ فِيهَا لِنَرَى حَالَكَ. قَالَ: أُرِيدُ وَاحِدَةً أَخَفَّ مِنْ هٰذِهِ. قَالَ: فَبُرْهَانُ مُوسَى إِذْ أَلْقَى ٱلْعَصَا فَصَارَتْ ثُعْبَانًا. قَالَ: هٰذِهِ أَصْعَبُ عَلَيَّ مِنَ ٱلْأُولَى. قَالَ: فَبُرْهَانُ عِيسَى وَهُوَ إِحْيَاءُ ٱلْمَوْتَى. قَالَ: مَكَانَكَ وَصَلْتَ. أَنَا أَضْرِبُ رَقَبَةَ ٱلْقَاضِي يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ وَأُحْيِيهِ لَكُمْ فِي هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ. فَقَالَ يَحْيَى: أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَّقَ. فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ وَأَعْطَاهُ جَائِزَةً

المتظلم من خصمه

٣٦١ بَيْنَمَا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَعْفَرٍ رَاكِبٌ إِذْ تَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ فِي ٱلطَّرِيقِ

فَمَسَكَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ وَقَالَ: سَأَلْتُكَ بِاللهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ تَضْرِبَ عُنُقِي. فَبُهِتَ فِيهِ عَبْدُ اللهِ وَقَالَ: أَمَعْتُوهٌ أَنْتَ. قَالَ: لَا وَرَأْسِ الْأَمِيرِ. قَالَ: فَمَا الْخَبَرُ. قَالَ: لِي خَصْمٌ أَلَدُّ قَدْ لَزِمَنِي وَأَلَحَّ وَضَيَّقَ عَلَيَّ وَلَيْسَ لِي بِهِ طَاقَةٌ. قَالَ: وَمَنْ خَصْمُكَ. قَالَ: الْفَقْرُ. فَالْتَفَتَ عَبْدُ اللهِ لِفَتَاهُ وَقَالَ: ادْفَعْ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ خُذْهَا وَنَحْنُ سَائِرُونَ. وَلَكِنْ إِذَا عَادَ إِلَيْكَ خَصْمُكَ مُتَغَشِّمًا فَأْتِنَا مُتَظَلِّمًا. فَإِنَّا مُنْصِفُوكَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: إِنَّ مَعِي مِنْ جُودِكَ مَا أَدْحِضُ بِهِ حُجَّةَ خَصْمِي بَقِيَّةَ عُمْرِي. ثُمَّ أَخَذَ الْمَالَ وَانْصَرَفَ

سليمان بن عبد الملك والاعرابي

٣٦٢ ذُكِرَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَكَانَ كَثِيرَ التَّطَيُّرِ. فَبَيْنَا هُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذْ لَقِيَهُ رَجُلٌ أَعْوَرُ. فَقَالَ: أَوْثِقُوهُ. فَأَوْثَقُوهُ وَمَرُّوا بِهِ عَلَى بِئْرٍ خَرَابٍ قَدْ تَهَجَّمَ. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: أَلْقُوهُ فِي هٰذِهِ الْبِئْرِ فَإِنْ صِدْنَا فِي يَوْمِنَا هٰذَا أَطْلَقْنَاهُ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ لِتَعَرُّضِهِ لَنَا مَعَ عِلْمِهِ بِتَطَيُّرِنَا. فَأَلْقَوْهُ فِي تِلْكَ الْبِئْرِ فَمَا رَأَى سُلَيْمَانُ فِي عُمْرِهِ صَيْدًا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ. فَلَمَّا رَجَعُوا وَمَرُّوا عَلَى الرَّجُلِ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ. فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: يَا شَيْخُ مَا رَأَيْتُ أَسَرَّ وَأَبَرَّ مِنْ طَلْعَتِكَ. قَالَ الشَّيْخُ: صَدَقْتَ وَلٰكِنِّي أَنَا مَا رَأَيْتُ أَشْأَمَ مِنْ طَلْعَتِكَ عَلَيَّ. فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ

٣٦٣ اعْتَرَضَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ الْمَأْمُونَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

أنا رجلٌ من الأعراب. قال: لا عجب. قال: إني أريد الحج. قال: الطريق واسعة. قال: ليس معي نفقة. قال: قد سقط عنك الحج. قال: أيها الأمير جئتك مستجديًا لا مستفتيًا. فضحك المأمون وأمر له بجائزة (للميني)

٣٦٤ كان العماد بن جبريل المعروف بابن أخي العلم صاحب ديوان بيت المال بمصر. وكان قد وقع فانكسرت يده. فقال فيه ابن المسلم العراقي:

إن العماد بن جبريل أخي علم ... له يد أصبحت مذمومة الأثر
تأخر القطع عنها وهي سارقة ... فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر

٣٦٥ دخل العبسي على بعض الرؤساء فمنعه البواب فقال:

حمدت بوابك إذ ردني ... وذممه غيري على رده
لأنه قلدني نعمة ... تستوجب الإغراق في حمده
أراحني من قبح ملقاك لي ... وكبرك الزائد في حده

٣٦٦ كتب سبط بن التعاويذي قصيدة وسيرها إلى مجاهد الدين الزيني فأجازه جائزة سنية. وسير معها بغلة فوصلت إليه وقد هزلت من تعب الطريق فكتب إليه:

مجاهد الدين دمت ذخرًا ... لكل ذي فاقة وكنزا
بعثت لي بغلة ولكن ... قد مسخت في الطريق عنزا

٣٦٧ ذكر بعض أصحاب الجزولي اليزدكتي أنه حضر عنده

لِيَقْرَأَ عَلَيْهِ قِرَاءَةَ أَبِي عَمْرٍو. فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: أَتُرِيدُ أَنْ تَقْرَأَ عَلَى الشَّيْخِ النَّحْوَ. قَالَ: فَقُلْتُ: لَا. فَسَأَلَنِي آخَرُ كَذَلِكَ. فَقُلْتُ: لَا. فَأَنْشَدَ الشَّيْخُ وَقَالَ: قُلْ لَهُمْ:

لَسْتُ لِلنَّحْوِ جِئْتُكُمْ لَا وَلَا فِيهِ أَرْغَبُ
خَلِّ زَيْدًا لِشَأْنِهِ أَيْنَمَا شَاءَ يَذْهَبُ
أَنَا مَا لِي وَلِلْأَمْرِ أَبَدَ الدَّهْرِ يَضْرِبُ

الباهليّ والاعرابي

٣٦٨ كَانَتِ الْعَرَبُ تَسْتَنْكِفُ الِانْتِسَابَ إِلَى قَبِيلَةِ بَاهِلَةَ وَتَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلَ فِي الْحُمْقِ وَالْجَهْلِ. وَيُحْكَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا لَقِيَ شَخْصًا فِي الطَّرِيقِ فَسَأَلَهُ: مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ: مِنْ بَاهِلَةَ. فَرَثَى لَهُ الْأَعْرَابِيُّ. فَقَالَ ذَلِكَ الشَّخْصُ: وَأَزِيدُكَ أَنِّي لَسْتُ مِنْ صَمِيمِهِمْ وَلَكِنْ مِنْ مَوَالِيهِمْ. فَأَقْبَلَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَيْهِ يُقَبِّلُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: وَلِمَ هٰذَا. فَقَالَ: لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا ابْتَلَاكَ بِهٰذِهِ الرَّزِيَّةِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَيُعَوِّضُكَ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ (لابن خلّكان)

ابان بن عثمان والاعرابي

٣٦٩ حَدَّثَنَا ابْنُ زَبَنْجٍ قَالَ: كَانَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ مِنْ أَهْزَلِ النَّاسِ وَأَعْبَثِهِمْ. فَبَيْنَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهُ وَعِنْدَهُ أَشْعَبُ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ جَمَلٌ لَهُ. وَالْأَعْرَابِيُّ أَشْقَرُ أَزْرَقُ أَزْعَرُ غَضُوبٌ يَتَلَظَّى كَأَنَّهُ أَفْعًى وَيَتَبَيَّنُ الشَّرُّ فِي وَجْهِهِ. مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا شَتَمَهُ وَنَهَرَهُ. فَقَالَ

أَشْعَبُ لِأَبَانَ : هٰذَا مِنَ ٱلْبَادِيَةِ ٱدْعُهُ . فَدُعِيَ وَقِيلَ لَهُ إِنَّ ٱلْأَمِيرَ أَبَانَ ٱبْنَ عُثْمَانَ يَدْعُوكَ . فَأَتَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَسَأَلَهُ أَبَانُ عَنْ نَسَبِهِ فَٱنْتَسَبَ لَهُ . فَقَالَ : حَيَّاكَ ٱللهُ يَا خَالِي . حَبِيبٌ ٱزْدَادَ حُبًّا . فَجَلَسَ . فَقَالَ لَهُ : إِنِّي فِي طَلَبِ جَمَلٍ مِثْلِ جَمَلِكَ هٰذَا مُنْذُ زَمَانٍ . فَلَمْ أَجِدْهُ كَمَا أَشْتَهِي بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ وَهٰذِهِ ٱلْقَامَةِ وَٱللَّوْنِ وَٱلصَّدْرِ وَٱلْوَرِكِ وَٱلْأَخْفَافِ . فَٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي جَعَلَ ظَفَرِي بِهِ مِنْ عِنْدِ مَنْ أُحِبُّهُ . أَتَبِيعُهُ . فَقَالَ : نَعَمْ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ . فَقَالَ : فَإِنِّي قَدْ بَذَلْتُ لَكَ بِهِ مِائَةَ دِينَارٍ . وَكَانَ ٱلْجَمَلُ يُسَاوِي عَشَرَةَ دَنَانِيرَ . فَطَمِعَ ٱلْأَعْرَابِيُّ وَسُرَّ وَٱنْتَفَخَ وَبَانَ ٱلسُّرُورُ وَٱلطَّمَعُ فِي وَجْهِهِ . فَأَقْبَلَ أَبَانُ عَلَى أَشْعَبَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ يَا أَشْعَبُ إِنَّ خَالِي هٰذَا مِنْ أَهْلِكَ وَأَقَارِبِكَ (يَعْنِي ٱلطَّمَعَ) فَأَوْسِعْ لَهُ مِمَّا عِنْدَكَ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَزِيَادَةً . فَقَالَ لَهُ أَبَانُ : يَا خَالِي إِنَّمَا زِدْتُكَ فِي ٱلثَّمَنِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَإِنَّمَا ٱلْجَمَلُ يُسَاوِي سِتِّينَ دِينَارًا . وَلٰكِنْ بَذَلْتُ لَكَ مِائَةً لِقِلَّةِ ٱلنَّقْدِ عِنْدَنَا . وَإِنِّي أُعْطِيكَ بِهِ عُرُوضًا تُسَاوِي مِائَةً . فَزَادَ طَمَعُ ٱلْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ : قَدْ قَبِلْتُ ذٰلِكَ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ . فَأَشَارَ إِلَى أَشْعَبَ فَأَخْرَجَ شَيْئًا مُغَطًّى . فَقَالَ لَهُ : أَخْرِجْ مَا جِئْتَ بِهِ . فَأَخْرَجَ جُرْدَ عِمَامَةِ خَزٍّ خَلَقٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ فَقَالَ لَهُ : قَوِّمْهَا يَا أَشْعَبُ . فَقَالَ لَهُ : عِمَامَةُ ٱلْأَمِيرِ تُعْرَفُ بِهِ وَيَشْهَدُ فِيهَا ٱلْأَعْيَادَ وَٱلْجُمَعَ وَيَلْقَى فِيهَا ٱلْخُلَفَاءَ . خَمْسُونَ دِينَارًا . فَقَالَ : ضَعْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ لِٱبْنِ زَبَنَّجٍ : أَثْبِتْ قِيمَتَهَا . فَكَتَبَ ذٰلِكَ وَوُضِعَتِ ٱلْعِمَامَةُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْأَعْرَابِيِّ .

فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً. ولم يقدر على الكلام. ثم قال: هات قلنسوتي فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم. فقال: قوم. قال: قلنسوة الأمير تعلو هامته ويصلي فيها الصلوات الخمس ويجلس للحكم ثلاثون ديناراً. قال: أثبت. فأثبت ذلك ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي. فتربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب ثم تماسك وهو متقلقل. ثم قال لأشعب: هات ما عندك. فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتقا. فقال: قوم. قال: خفا الأمير يطأ بهما الروضة ويعلو بهما المنبر أربعون ديناراً. فقال: ضعهما بين يديه. فوضعهما ثم قال للأعرابي: اضمم إليك متاعك وقال لبعض الأعوان: اذهب فخذ الجمل. وقال لآخر: امض مع الأعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون ديناراً. فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي به. ثم قال للأمير: أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت. قال: لا. قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك. ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره. وضحك أبان حتى سقط وضحك كل من كان معه. وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم. فيهرب أشعب منه

(الاغاني)

الباب الحادي عشر
في النوادر

٣٧٠ أمسك على النابغة الجعدي الشعر أربعين يوماً فلم ينطق. ثم إن بني جعدة غزوا قوماً فظفروا فلما سمع فرح وطرب فاستحثه الشعر فذل له ما استصعب عليه. فقال له قومه: بحياتك لتحن

بإطلاق لسان شاعرنا أسر من الظفر بعدونا (لبهاء الدين)

وضع الشطرنج

٣٧١ لما افتخر ملوك فارس على ملوك الهند بوضع الملك نردشير لنفسه النرد وضع صصه الحكيم الشطرنج وعرضها على الملك وأظهر خفي أمرها ومكنون سرها. فقال له: اقترح ما تشتهي. قال: أن تضع حبة من البر في البيت الأول ولا تزال تضاعفها حتى تنتهي إلى آخر البيوت فمهما بلغ تعطيني. فاستخف الملك عقله واحتقر ما طلب وقال له: كنت أظنك برجاحة عقلك وتوقد فكرك تطلب شيئاً نفيساً. فقال: أيها الملك إنك لما أمرتني بالتمني لم يخطر ببالي غير ذلك ولا سبيل إلى الرجوع عنه. فأمر له الملك بما سأل وتقدم بإحضار الحساب وأمرهم بحساب ذلك. فأعملوا في بلوغ قصده مطايا الأفكار. حتى لاح لهم نجم صدقه فعرفوه بعد

ٱلْإِنْكَارِ . فَلَمْ يَجِدُوا فِي بِلَادِ ٱلدُّنْيَا مَا يَفِي لَهُ مُرَادَهُ مِنَ ٱلْبِرِّ وَلَوْ كَانَتِ ٱلرِّمَالُ مِنْ أَمْدَادِهِ (للقليوبي)

المريض والخنفساء

٣٧٢ حَكَى ٱلْقَزْوِينِيُّ أَنَّ رَجُلًا رَأَى خُنْفَسَاءَ فَقَالَ : مَاذَا يُرِيدُ ٱللهُ تَعَالَى مِنْ خَلْقِ هٰذِهِ . أَحْسَنَ شَكْلِهَا أَوْ طِيبَ رِيحِهَا . فَٱبْتَلَاهُ ٱللهُ تَعَالَى بِقَرْحَةٍ عَجَزَ عَنْهَا ٱلْأَطِبَّاءُ حَتَّى تَرَكَ عِلَاجَهَا . فَسَمِعَ يَوْمًا صَوْتَ طَبِيبٍ مِنَ ٱلطُّرُقِيِّينَ يُنَادِي فِي ٱلدَّرْبِ . فَقَالَ : هَاتُوهُ حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَمْرِي . فَقَالُوا : وَمَا تَصْنَعُ بِطُرُقِيٍّ وَقَدْ عَجَزَ عَنْكَ حُذَّاقُ ٱلْأَطِبَّاءِ . فَقَالَ : لَا بُدَّ لِي مِنْهُ . فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ وَرَأَى ٱلْقَرْحَةَ ٱسْتَدْعَى بِخُنْفَسَاءَ . فَضَحِكَ ٱلْحَاضِرُونَ مِنْهُ . فَتَذَكَّرَ ٱلْعَلِيلُ ٱلْقَوْلَ ٱلَّذِي سَبَقَ مِنْهُ . فَقَالَ : أَحْضِرُوا لَهُ مَا طَلَبَ فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ . فَأَحْضَرُوهَا لَهُ فَأَحْرَقَهَا وَذَرَّ رَمَادَهَا عَلَى قَرْحَتِهِ فَبَرِئَ بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَى . فَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ : إِنَّ ٱللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُعَرِّفَنِي أَنَّ أَخَسَّ ٱلْمَخْلُوقَاتِ أَعَزُّ ٱلْأَدْوِيَةِ (للدميري)

النعمان وسِنِمّار

٣٧٣ بَنَى ٱلنُّعْمَانُ بْنُ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ قَصْرًا بِظَاهِرِ ٱلْحِيرَةِ فِي سِتِّينَ سَنَةً ٱسْمُهُ ٱلْخَوَرْنَقُ . بَنَاهُ رَجُلٌ مِنَ ٱلرُّومِ يُقَالُ لَهُ سِنِمَّارُ . وَكَانَ يَبْنِي عَلَى وَضْعٍ عَجِيبٍ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَنْ يَبْنِيَ مِثْلَهُ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ بِنَائِهِ كَانَ قَصْرًا عَجِيبًا لَمْ يَكُنْ لِلْمُلُوكِ مِثْلُهُ . فَفَرِحَ بِهِ ٱلنُّعْمَانُ . فَقَالَ

لَهُ سِنِمَّارُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ مَوْضِعَ آجُرَّةٍ لَوْ زَالَتْ لَسَقَطَ ٱلْقَصْرُ كُلُّهُ. فَقَالَ لَهُ ٱلنُّعْمَانُ : هَلْ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ . قَالَ : لَا . فَأَمَرَ بِهِ فَقُذِفَ مِنْ أَعْلَى ٱلْقَصْرِ إِلَى أَسْفَلِهِ فَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ . فَٱشْتَهَرَ ذٰلِكَ حَتَّى ضُرِبَ بِهِ ٱلْمَثَلُ فَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

جَزَانِي جَزَاهُ ٱللهُ شَرَّ جَزَائِهِ ... جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبِ
سِوَى رَصِّهِ ٱلْبُنْيَانَ سِتِّينَ حِجَّةً ... يُعَلُّ عَلَيْهِ بِٱلْقَرَامِيدِ وَٱلسَّكْبِ
فَلَمَّا رَأَى ٱلْبُنْيَانَ تَمَّ شُهُوقُهُ ... وَآضَ كَمِثْلِ ٱلطَّوْدِ وَٱلشَّامِخِ ٱلصَّعْبِ
وَظَنَّ سِنِمَّارٌ بِهِ كُلَّ حَبْوَةٍ ... وَفَازَ لَدَيْهِ بِٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْقُرْبِ
فَقَالَ ٱقْذِفُوا بِٱلْعَبْدِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ ... فَهٰذَا لَعَمْرُ ٱللهِ مِنْ أَعْجَبِ ٱلْخُطَبِ

فَصَعِدَ ٱلنُّعْمَانُ قُلَّتَهُ وَنَظَرَ إِلَى ٱلْبَحْرِ تُجَاهَهُ وَإِلَى ٱلْبَرِّ خَلْفَهُ وَٱلْبَسَاتِينِ حَوْلَهُ . وَرَأَى ٱلظَّبْيَ وَٱلْحُوتَ وَٱلنَّخْلَ فَقَالَ لِوَزِيرِهِ : مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ هٰذَا ٱلْبِنَاءِ قَطُّ . فَقَالَ لَهُ وَزِيرُهُ : لَهُ عَيْبٌ عَظِيمٌ . قَالَ : وَمَا ذٰلِكَ . قَالَ : إِنَّهُ غَيْرُ بَاقٍ . قَالَ ٱلنُّعْمَانُ : وَمَا ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي هُوَ بَاقٍ . قَالَ : مُلْكُ ٱلْآخِرَةِ . قَالَ : فَكَيْفَ تَحْصِيلُ ذٰلِكَ . قَالَ : بِتَرْكِ ٱلدُّنْيَا . قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي طَلَبِ ذٰلِكَ . قَالَ : نَعَمْ . فَتَرَكَ ٱلْمُلْكَ وَتَزَهَّدَ هُوَ وَوَزِيرُهُ (للقزويني)

الوزير الحاسد

٣٧٤ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ ٱلْعَرَبِ دَخَلَ عَلَى ٱلْمُعْتَصِمِ فَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ وَجَعَلَهُ نَدِيمَهُ . وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَاسِدٌ فَغَارَ مِنَ ٱلْبَدَوِيِّ وَحَسَدَهُ وَقَالَ

فِي نَفْسِهِ : إِنْ لَمْ أَحْتَلْ عَلَى هٰذَا ٱلْبَدَوِيِّ فِي قَتْلِهِ أَخَذَ بِقَلْبِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَبْعَدَنِي مِنْهُ . فَصَارَ يَتَلَطَّفُ بِٱلْبَدَوِيِّ حَتَّى أَتَى بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَطَبَخَ لَهُ طَعَامًا وَأَكْثَرَ فِيهِ مِنَ ٱلثُّومِ . فَلَمَّا أَكَلَ ٱلْبَدَوِيُّ مِنْهُ قَالَ لَهُ : ٱحْذَرْ أَنْ تَقْرُبَ مِنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَيَشَمَّ مِنْكَ رَائِحَةَ ٱلثُّومِ فَيَتَأَذَّى مِنْ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ يَكْرَهُ رَائِحَتَهُ . ثُمَّ ذَهَبَ ٱلْوَزِيرُ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَخَلَا بِهِ . وَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ ٱلْبَدَوِيَّ يَقُولُ عَنْكَ لِلنَّاسِ : إِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَبْخَرُ وَهَلَكْتُ مِنْ رَائِحَةِ فَمِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْبَدَوِيُّ عَلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ كُمَّهُ عَلَى فَمِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَشَمَّ مِنْهُ رَائِحَةَ ٱلثُّومِ . فَلَمَّا رَآهُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يَسْتُرُ فَمَهُ بِكُمِّهِ قَالَ : إِنَّ ٱلَّذِي قَالَهُ ٱلْوَزِيرُ عَنْ هٰذَا ٱلْبَدَوِيِّ صَحِيحٌ . فَكَتَبَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ يَقُولُ لَهُ فِيهِ : إِذَا وَصَلَ إِلَيْكَ كِتَابِي هٰذَا فَٱضْرِبْ رَقَبَةَ حَامِلِهِ . ثُمَّ دَعَا بِٱلْبَدَوِيِّ وَدَفَعَ إِلَيْهِ ٱلْكِتَابَ وَقَالَ لَهُ : ٱمْضِ بِهِ إِلَى فُلَانٍ وَأْتِنِي بِٱلْجَوَابِ . فَٱمْتَثَلَ ٱلْبَدَوِيُّ مَا رَسَمَ بِهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَخَذَ ٱلْكِتَابَ وَخَرَجَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ بِٱلْبَابِ إِذْ لَقِيَهُ ٱلْوَزِيرُ فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ . قَالَ : أَتَوَجَّهُ بِكِتَابِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَامِلِهِ فُلَانٍ . فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هٰذَا ٱلْبَدَوِيَّ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ هٰذَا ٱلتَّقْلِيدِ مَالٌ جَزِيلٌ . فَقَالَ لَهُ : يَا بَدَوِيُّ مَا تَقُولُ فِيمَنْ يُرِيحُكَ مِنْ هٰذَا ٱلتَّعَبِ ٱلَّذِي يَلْحَقُكَ فِي سَفَرِكَ وَيُعْطِيكَ أَلْفَيْ دِينَارٍ . فَقَالَ : أَنْتَ ٱلْكَبِيرُ وَأَنْتَ ٱلْحَاكِمُ وَمَهْمَا رَأَيْتَهُ مِنَ ٱلرَّأْيِ أَفْعَلُ . قَالَ : أَعْطِنِي ٱلْكِتَابَ .

فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُ الْوَزِيرُ أَلْفَيْ دِينَارٍ وَسَارَ بِالْكِتَابِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ قَاصِدُهُ. فَلَمَّا قَرَأَ الْعَامِلُ الْكِتَابَ أَمَرَ بِضَرْبِ رَقَبَةِ الْوَزِيرِ. فَبَعْدَ أَيَّامٍ تَذَكَّرَ الْخَلِيفَةُ فِي أَمْرِ الْبَدَوِيِّ وَسَأَلَ عَنِ الْوَزِيرِ فَأُخْبِرَ بِأَنَّ لَهُ أَيَّامًا مَا ظَهَرَ وَأَنَّ الْبَدَوِيَّ بِالْمَدِينَةِ مُقِيمٌ فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْبَدَوِيِّ فَحَضَرَ. فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ الَّتِي اتَّفَقَتْ لَهُ مَعَ الْوَزِيرِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ قُلْتَ عَنِّي لِلنَّاسِ إِنِّي أَبْخَرُ. فَقَالَ: مَعَاذَ اللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَتَحَدَّثَ بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مَكْرًا مِنْهُ وَحَسَدًا. وَأَعْلَمَهُ كَيْفَ دَخَلَ بِهِ بَيْتَهُ وَأَطْعَمَهُ الثُّومَ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَهُ. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: قَاتَلَ اللهُ الْحَسَدَ مَا أَعْدَلَهُ بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَى الْبَدَوِيِّ وَاتَّخَذَهُ وَزِيرًا وَرَاحَ الْوَزِيرُ بِحَسَدِهِ (للابشيهي)

كلبٌ جاد بنفسه

٣٧٥ كَانَ مَلِكٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ يُحِبُّ التَّنَزُّهَ وَالصَّيْدَ. وَكَانَ لَهُ كَلْبٌ قَدْ رَبَّاهُ لَا يُفَارِقُهُ. فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ مُتَنَزَّهَاتِهِ وَقَالَ لِبَعْضِ غِلْمَانِهِ: قُلْ لِلطَّبَّاخِ يُصْلِحْ لَنَا ثُرْدَةً بِلَبَنٍ. فَجَاؤُوا بِاللَّبَنِ إِلَى الطَّبَّاخِ وَنَسِيَ أَنْ يُعْطِيَهُ بِشَيْءٍ وَاشْتَغَلَ بِالطَّبْخِ. فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ الشُّقُوقِ أَفْعًى فَكَرَعَ فِي ذَلِكَ اللَّبَنِ وَنَفَثَ فِي الثُّرْدَةِ مِنْ سُمِّهِ. وَالْكَلْبُ رَابِضٌ يَرَى ذَلِكَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ حِيلَةً يَصِلُ بِهَا إِلَى الْأَفْعَى. وَكَانَ هُنَاكَ جَارِيَةٌ خَرْسَاءُ زَمْنَى قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ الْأَفْعَى. وَوَافَى الْمَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ فِي

آخِرِ النَّهارِ فَقالَ: يا غُلامانُ أَدْرِكُونِي بِالثُّرْدَةِ فَلَمَّا وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ أَوْمَأَتِ الْخَرْساءُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَفْهَمْ ما تَقُولُ. وَنَبَحَ الْكَلْبُ وَصاحَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَلَجَّ فِي الصِّياحِ فَلَمْ يَعْلَمْ مُرادَهُ. فَقالَ لِلْغُلامانِ. نَحُّوهُ عَنِّي. وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى اللَّبَنِ بَعْدَ ما رَمَى إِلَى الْكَلْبِ ما كانَ يَرْمِي إِلَيْهِ. فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْكَلْبُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى غَيْرِ الْمَلِكِ. فَلَمَّا رَآهُ يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ اللُّقْمَةَ مِنَ اللَّبَنِ فِي فَمِهِ طَفَرَ إِلَى وَسَطِ الْمائِدَةِ وَأَدْخَلَ فَمَهُ وَكَرَعَ مِنَ اللَّبَنِ وَسَقَطَ مَيِّتًا وَتَنَثَّرَ لَحْمُهُ وَبَقِيَ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا مِنَ الْكَلْبِ وَمِنْ فِعْلِهِ. فَأَوْمَأَتِ الْخَرْساءُ إِلَيْهِمْ فَعَرَفُوا مُرادَها وَما صَنَعَ الْكَلْبُ. فَقالَ الْمَلِكُ: لِحاشِيَتِهِ هٰذَا الْكَلْبُ قَدْ فَدانِي بِنَفْسِهِ وَقَدْ وَجَبَ أَنْ نُكافِئَهُ. وَما يَحْمِلُهُ وَيَدْفِنُهُ غَيْرِي. فَدَفَنَهُ وَبَنَى عَلَيْهِ قُبَّةً فِي ظاهِرِ الْمَدِينَةِ (للحموي)

ابرهيم الخوّاص والسبع

٣٧٦ حَكَى إِبْرٰهِيمُ الْخَوَّاصُ قالَ: فِي بَعْضِ أَسْفارِي انْتَهَيْتُ إِلَى شَجَرَةٍ قَعَدْتُ تَحْتَها فَإِذَا سَبُعٌ هائِلٌ يَأْتِي نَحْوِي. فَلَمَّا دَنا مِنِّي رَأَيْتُهُ يَعْرُجُ. فَإِذَا يَدُهُ مُتَنَفِّخَةٌ وَفِيها فَتْخٌ فَهِمْتُ وَتَرَكْتُها فِي حُجْرِي. وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَقُولُ: عالِجْ هٰذِهِ. فَأَخَذْتُ خَشَبَةً فَتَحْتُ بِها الْفَتْخَ ثُمَّ شَدَدْتُها بِخِرْقَةٍ خَرَقْتُها مِنْ ثَوْبِي. فَغابَ ثُمَّ جاءَنِي وَمَعَهُ شِبْلانِ يُبْصْبِصانِ وَرَغِيفٌ تَرَكَهُ عِنْدِي وَمَشَى (للقزويني)

المطيب اسم الله

٣٧٧ كَانَ سَبَبُ تَوْبَةِ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ أَصَابَ فِي الطَّرِيقِ وَرَقَةً وَفِيهَا اسْمُ اللهِ تَعَالَى مَكْتُوبٌ. وَقَدْ وَطِئَتْهَا الْأَقْدَامُ فَأَخَذَهَا وَاشْتَرَى بِدَرَاهِمَ كَانَتْ مَعَهُ غَالِيَةً. فَطَيَّبَ بِهَا الْوَرَقَةَ وَجَعَلَهَا فِي شِقِّ حَائِطٍ فَرَأَى فِي النَّوْمِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: يَا بِشْرُ طَيَّبْتَ اسْمِي لَأُطَيِّبَنَّ اسْمَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَلَمَّا تَنَبَّهَ مِنْ نَوْمِهِ تَابَ (لابن خلكان)

الدواء الشافي

٣٧٨ قَالَ بَعْضُ الْأَبْدَالِ مَرَرْتُ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى طَبِيبٍ وَالْمَرْضَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَصِفُ لَهُمْ عِلَاجَهُمْ. فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ: عَالِجْ مَرَضِي يَرْحَمْكَ اللهُ. فَتَأَمَّلَ فِي وَجْهِي سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: خُذْ عُرُوقَ الْفَقْرِ وَوَرَقَ الصَّبْرِ مَعَ إِهْلِيلَجِ التَّوَاضُعِ. وَاجْمَعِ الْكُلَّ فِي إِنَاءِ الْيَقِينِ وَصُبَّ عَلَيْهِ مَاءَ الْخَشْيَةِ وَأَوْقِدْ تَحْتَهُ نَارَ الْحُزْنِ. ثُمَّ صَفِّهِ بِمِصْفَاةِ الْمُرَاقَبَةِ فِي جَامِ الرِّضَا. وَامْزِجْهُ بِشَرَابِ التَّوَكُّلِ. وَتَنَاوَلْهُ بِكَفِّ الصِّدْقِ. وَاشْرَبْهُ بِكَأْسِ الِاسْتِغْفَارِ. وَتَمَضْمَضْ بَعْدَهُ بِمَاءِ الْوَرَعِ. وَاحْتَمِ عَنِ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ فَتَشْفَى إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى (لبهاء الدين العاملي)

ذكر الأمم التي دخلت في دين النصارى

٣٧٩ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَنَصِّرَةِ أُمَّةُ الرُّومِ. عَلَى كَثْرَتِهَا وَعِظَمِ مُلُوكِهَا وَاتِّسَاعِ بِلَادِهَا. (وَمِنَ الْكَامِلِ وَغَيْرِهِ) أَنَّ الرُّومَ كَانَتْ تَدِينُ بِدِينِ الصَّابِئَةِ وَيَعْبُدُونَ أَصْنَامًا عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ. وَمَا زَالَتِ الرُّومُ

مُلوكها ورَعيَّتها كذلك حتى تنصَّر قُسطنطين وحَملهم على دين النصارى فتنصَّروا عن آخرهم. ومن أمم النصارى (الأرمن) كانوا بأرمينية. وقاعدة مُلكها خِلاط. ولمَّا ملكناها صاروا فيها رَعيَّة. ثم تغلَّبوا وملكوا منَّا طَرسوس والمِصِّيصة وبلاد سِيس وسِيس مدينة بقلعة حصينة هي كُرسي مُلكهم في زماننا هذا. ومنها (الكُرج) بلادهم مُجاورة لبلاد خِلاط إلى الخليج القُسطنطيني وإلى نحو الشمال. ولهم جبال منيعة وقِلاع حصينة. والغالب عليهم النصرانية. يلي مُلكهم الرِّجال والنساء بالوِراثة. وهم خَلْق كثير في صُلح التتار اليوم. ومنها (الجركس) على شرقي بحر نيطش في شَظَف من العيش غالبهم نصارى. ومنها (الروس) لهم جزائر في بحر نيطش وبحر القُسطنطينية ولهم بلاد شمالي البحر. ومنها (البلغار) نسبة إلى مدينة يسكنونها شمالي نيطش كان غالبهم نصارى فأسلم بعضهم. ومنها (الألمان) أكبر أمم النصارى غربي القُسطنطينية إلى الشمال جُنودهم كثيرة. قصد ملكهم في مائة ألف مُقاتلة صلاح الدين بن أيوب فهلك هو وغالب عسكره في الطريق. ومنها (البرجان) أمة بل أمم طاغية مُثلِّثون. بلادهم متوغِّلة في الشمال. سيرهم منقطعة لبُعدهم عنَّا وجَفاء طِباعهم. ومنها (الفرنج) أمم أصل بلادهم فرنجة ويُقال فرنسة جوار جزيرة الأندلس شمالها يُقال لملكهم الفرنسيس. قصد ديار مصر وأخذ دِمياط. ثم أسره المسلمون

وَٱسْتَنْقَذُوا دِمْيَاطَ مِنْهُ بَعْدَ مَوْتِ ٱلْمَلِكِ ٱلصَّالِحِ أَيُّوبَ ٱبْنِ ٱلْكَامِلِ. وَقَدْ غَلَبَ ٱلْفَرَنْجُ عَلَى مُعْظَمِ ٱلْأَنْدَلُسِ. وَلَهُمْ فِي بَحْرِ ٱلرُّومِ جَزَائِرُ مَشْهُورَةٌ مِثْلُ صِقِلِّيَةَ وَقُبْرُسَ وَأَقْرِيطِشَ. وَمِنْهُمْ (ٱلْجَنَوِيَّةُ) نِسْبَةً إِلَى جَنَوَةَ مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ. وَبِلَادُهُمْ كَبِيرَةٌ غَرْبِيَّ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَلَى بَحْرِ ٱلرُّومِ. وَمِنْهُمْ (ٱلْبَنَادِقَةُ) مَدِينَتُهُمُ ٱلْبُنْدُقِيَّةُ عَلَى خَلِيجٍ مِنْ بَحْرِ ٱلرُّومِ تَمْتَدُّ نَحْوَ سَبْعِمِائَةِ مِيلٍ فِي جِهَةِ ٱلشَّمَالِ وَٱلْغَرْبِ. وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ جَنَوَةَ فِي ٱلْبَرِّ. بَيْنَهُمَا ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ (لابن الوردي)

ذكر امم الهنود وتقاسيمهم وعوائدهم

٣٨٠ أُمَمُ ٱلْهِنْدِ فِرَقٌ مِنْهُمْ (ٱلْبَاسُوِيَّةُ). زَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ رَسُولًا مَلَكًا رُوحَانِيًّا نَزَلَ بِصُورَةِ ٱلْبَشَرِ أَمَرَهُمْ بِتَعْظِيمِ ٱلنَّارِ وَٱلتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِٱلطِّيبِ وَٱلذَّبَائِحِ. وَنَهَاهُمْ عَنِ ٱلْقَتْلِ وَٱلذَّبْحِ لِغَيْرِ ٱلنَّارِ. وَسَنَّ لَهُمْ أَنْ يَتَوَشَّحُوا بِخَيْطٍ يَعْقِدُونَهُ مِنْ مَنَاكِبِهِمِ ٱلْأَيَامِنِ إِلَى تَحْتِ شَمَائِلِهِمْ. وَعَظَّمَ ٱلْبَقَرَ وَأَمَرَ بِٱلسُّجُودِ لَهَا حَيْثُ رَأَوْهَا. وَمِنْهُمْ (ٱلْبَهُودِيَّةُ) يَقُولُونَ: ٱلْأَشْيَاءُ كُلُّهَا صُنْعُ ٱلْخَالِقِ فَلَا يَعَافُونَ شَيْئًا. وَيَتَقَلَّدُونَ بِعِظَامِ ٱلنَّاسِ وَيَمْسَحُونَ رُؤُوسَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ بِٱلرَّمَادِ. وَمِنْهُمْ (عَبَدَةُ ٱلشَّمْسِ وَعَبَدَةُ ٱلْقَمَرِ). وَمِنْهُمْ (عَبَدَةُ ٱلْأَصْنَامِ) وَهُمْ كَٱلصَّابِئَةِ وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ صَنَمٌ. وَأَشْكَالُ ٱلْأَصْنَامِ مُخْتَلِفَةٌ. وَمِنْهُمْ (عُبَّادُ ٱلْمَاءِ ٱلْجَلْهَكِينِيَّةُ). يَزْعُمُونَ أَنَّ ٱلْمَاءَ مَلِكٌ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا أَرَادَ ٱلرَّجُلُ عِبَادَةَ ٱلْمَاءِ تَجَرَّدَ وَدَخَلَ ٱلْمَاءَ إِلَى وَسَطِهِ.

وَيُقِيمُ سَاعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ وَمَعَهُ رَيَاحِينُ يَقْطَعُهَا صِغَارًا وَيُلْقِيهَا فِيهِ. وَهُوَ يُسَبِّحُ وَيَقْرَأُ. وَإِذَا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ حَرَّكَ الْمَاءَ بِيَدِهِ. ثُمَّ نَقَطَ مِنْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَسَجَدَ وَانْصَرَفَ. وَمِنْهُمْ (عُبَّادُ النَّارِ الْأُكْنَوَاطِرِيَّةُ). عِبَادَتُهُمْ أَنْ يَحْفِرُوا أُخْدُودًا مُرَبَّعًا وَيُوَجِّجُوا بِهِ النَّارَ ثُمَّ لَا يَدَعُونَ طَعَامًا لَذِيذًا وَلَا ثَوْبًا فَاخِرًا وَلَا شَرَابًا لَطِيفًا وَلَا عِطْرًا فَائِحًا وَلَا جَوْهَرًا نَفِيسًا إِلَّا طَرَحُوهُ فِي تِلْكَ النَّارِ تَقَرُّبًا إِلَيْهَا. وَحَرَّمُوا إِلْقَاءَ النُّفُوسِ فِيهَا خِلَافًا لِطَائِفَةٍ أُخْرَى. وَمِنْهُمْ (الْبَرَاهِمَةُ) أَصْحَابُ فِكْرَةٍ وَعِلْمٍ بِالْفَلَكِ وَالنُّجُومِ. تُخَالِفُ طَرِيقَتُهُمْ مُنَجِّمِي الرُّومِ وَالْعَجَمِ. لِأَنَّ أَكْثَرَ أَحْكَامِهِمْ بِاتِّصَالَاتِ الثَّوَابِتِ دُونَ السَّيَّارَاتِ. يُعَظِّمُونَ أَمْرَ الْفِكْرِ وَيَقُولُونَ: هُوَ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْمَحْسُوسِ وَالْمَعْقُولِ. وَيَجْتَهِدُونَ فِي صَرْفِ الْفِكْرِ عَنِ الْمَحْسُوسَاتِ لِيَتَجَرَّدَ الْفِكْرُ عَنْ هٰذَا الْعَالَمِ وَيَتَجَلَّى لَهُ ذٰلِكَ الْعَالَمُ. فَرُبَّمَا يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ (للشهرستاني باختصار)

٣٨١ وَمِنْ عَوَائِدِ أُمَمِ الْهِنْدِ إِقَامَةُ عِيدٍ كَبِيرٍ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ. فَيَخْرُجُ أَهْلُ الْبَلَدِ جَمِيعًا مِنْ شَيْخٍ وَشَابٍّ وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ إِلَى صَحْرَاءَ خَارِجَ الْبَلَدِ فِيهَا حَجَرٌ كَبِيرٌ مَنْصُوبٌ. فَيُنَادِي مُنَادِي الْمَلِكِ لَا يَصْعَدْ عَلَى هٰذَا الْحَجَرِ إِلَّا مَنْ حَضَرَ الْعِيدَ السَّابِقَ قَبْلَ هٰذَا. فَرُبَّمَا جَاءَ الشَّيْخُ الْهَرِمُ الَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَعَمِيَ بَصَرُهُ أَوِ الْعَجُوزُ الشَّوْهَاءُ وَهِيَ تَرَبَّضُ مِنَ الْكِبَرِ. فَيَصْعَدَانِ عَلَى ذٰلِكَ الْحَجَرِ أَوْ أَحَدُهُمَا وَرُبَّمَا لَا يَجِيءُ أَحَدٌ وَيَكُونُ قَدْ فَنِيَ ذٰلِكَ الْقَرْنُ بِأَسْرِهِ. فَمَنْ صَعِدَ عَلَى ذٰلِكَ

الحجر نادى بأعلى صوت: قد حضرت العيد السابق وأنا طفل صغير وكان ملكنا فلانا ووزيرنا فلانا. ثم يصف الأمة السابقة من ذلك القرن كيف طحنهم الموت وأهلكهم البلاء وصاروا تحت الثرى. ثم يقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم بالموت وغرور الدنيا وتقلبها بأهلها. فيكثر في ذلك اليوم البكاء وذكر الموت والتأسف على صدور الذنوب والغفلة عن ذهاب العمر. ثم يتوبون ويكثرون الصدقات ويخرجون من التبعات (لبهاء الدين العاملي)

٣٨٢ ومن عوائدهم في مملكة بلهرا وغيره من ملوك الهند من يحرق نفسه بالنار. وذلك لقولهم بالتناسخ وتمكنه في قلوبهم وزوال الشك فيه عنهم. وفي ملوكهم من إذا قعد للملك طبخ له أرز ثم وضع بين يديه على ورق الموز. وينتدب من أصحابه الثلاثمائة والأربعمائة باختيارهم لا بإكراه من الملك لهم. فيعطيهم الملك من ذلك الأرز بعد أن يأكل منه. ويتقرب رجل رجل منهم فيأخذ منه شيئا يسيرا فيأكله. فيلزم كل من أكل من هذا الأرز إذا مات الملك أو قتل أن يحرقوا أنفسهم بالنار عن آخرهم في اليوم الذي يموت فيه. لا يتأخرون عنه حتى لا يبقى منهم عين ولا أثر. وإذا عزم الرجل على إحراق نفسه صار إلى باب الملك فاستأذن. ثم دار في الأسواق وقد أججت له النار في حطب جزل كثير. عليها رجال يقومون بإيقادها حتى تصير كالعقيق حرارة والتهابا. ثم يعدو

وَبَيْنَ يَدَيْهِ ٱلصُّنُوجُ دَائِرًا فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَقَدِ ٱحْتَوَشَهُ أَهْلُهُ وَذَوُو قَرَابَتِهِ. وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلًا مِنَ ٱلرَّيْحَانِ يَمْلَأُ جَمْرًا وَيُصَبُّ عَلَيْهِ ٱلسَّنْدَرُوسُ وَهُوَ مَعَ ٱلنَّارِ كَٱلنَّفْطِ. وَيَمْشِي وَهَامَتُهُ تَحْتَرِقُ وَرَوَائِحُ لَحْمِ رَأْسِهِ تَفُوحُ وَهُوَ لَا يَتَغَيَّرُ فِي مِشْيَتِهِ. وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ جَزَعٌ حَتَّى يَأْتِيَ ٱلنَّارَ فَيَثِبَ فِيهَا فَيَصِيرَ رَمَادًا. فَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ أَرَادَ دُخُولَ ٱلنَّارِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهَا أَخَذَ ٱلْحَجَرَ فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِ فُؤَادِهِ فَشَقَّهُ بِيَدِهِ. ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ ٱلْيُسْرَى فَقَبَضَ عَلَى كَبِدِهِ فَجَذَبَ مِنْهَا مَا تَهَيَّأَ لَهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ. ثُمَّ قَطَعَ بِٱلْحَجَرِ مِنْهَا قِطْعَةً فَدَفَعَهَا إِلَى أَخِيهِ ٱسْتِهَانَةً بِٱلْمَوْتِ. وَصَبَرَ عَلَى ٱلْأَلَمِ ثُمَّ زَجَّ بِنَفْسِهِ فِي ٱلنَّارِ إِلَى لَعْنَةِ ٱللهِ. وَمِنْ عَوَائِدِهِمِ ٱلْقِمَارُ بِٱلدِّيَكَةِ وَٱلنَّرْدِ وَٱلدِّيَكَةُ عِنْدَهُمْ عَظِيمَةُ ٱلْأَجْسَامِ وَافِرَةُ ٱلصَّيَاصِي. يَسْتَعْمِلُونَ لَهَا مِنَ ٱلْخَنَاجِرِ ٱلصِّغَارِ ٱلْمُرْهَفَةِ مَا يُشَدُّ عَلَى صَيَاصِيهَا ثُمَّ تُرْسَلُ. وَقِمَارُهُمْ فِي ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْأَرَضِينَ وَٱلنَّبَاتِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ. فَيَبْلُغُ ٱلدِّيكُ ٱلْغَالِبُ جُمْلَةً مِنَ ٱلذَّهَبِ (كتاب سلسلة التواريخ)

نبذة من عوائد السودان

٣٨٣ إِنَّ عَاصِمَةَ مَلِكِ ٱلسُّودَانِ تُسَمَّى بِٱلْغَابَةِ وَيَكْتَنِفُهَا ٱلْحَدَائِقُ وَٱلْمَسَاكِنُ وَبِنَاءُ بُيُوتِهِمْ بِٱلْحِجَارَةِ وَخَشَبِ ٱلسَّنْطِ. وَلِلْمَلِكِ قَصْرٌ وَقِبَابٌ وَقَدْ أَحَاطَ بِذٰلِكَ كُلِّهِ حَائِطٌ كَٱلسُّورِ. وَحَوْلَ مَدِينَةِ ٱلْمَلِكِ غَابَاتٌ وَشَعْرَاءُ يَسْكُنُ فِيهَا سَحَرَتُهُمْ وَهُمُ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ دِينَهُمْ. وَفِيهَا

دكاكيرهم وقبور ملوكهم . ولتلك الغابات حرس ولا يمكن أحدا دخولها ولا معرفة ما فيها . وهناك سجون الملك فإذا سجن فيها أحدا انقطع عن الناس خبره . وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه . ولا يلبس الخيط من أهل دين الملك غيره وغير ولي عهده . ويلبس سائر الناس ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر أحوالهم . وهم أجمع يحلقون لحاهم . وملكهم يتحلى بحلى النساء في العنق والذراعين . ويجعل على رأسه الطراطير المذهبة عليها عمائم القطن الرفيعة . وهو يجلس للناس والمظالم في قبة . ويكون حوالي القبة عشرة أفراس بثياب مذهبة . ووراء الملك عشرة من الغلمان يحملون الحجف والسيوف المحلاة بالذهب . وعن يمينه أولاد ملوك بلده قد ضفروا على رؤوسهم الذهب وعليهم الثياب الرفيعة . ووالي المدينة بين يدي الملك جالس في الأرض وحواليه الوزراء . وعلى باب القبة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه . في أعناقها سواجير الذهب والفضة يكون في الساجور عدد رمانات ذهب وفضة . وهم ينذرون بجلوسه بطبل وهو خشبة طويلة منفورة فيجتمع الناس . فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له . وديانتهم المجوسية وعبادة الدكاكير وإذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره . ثم أتوا به

عَلَى سَرِيرٍ قَلِيلِ الْفُرُشِ وَالْوِطَاءِ فَأَدْخَلُوهُ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ. وَوَضَعُوا مَعَهُ حِلْيَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَآنِيَتَهُ الَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا وَيَشْرَبُ. وَأَدْخَلُوا فِيهَا الْأَطْعِمَةَ وَالْأَشْرِبَةَ وَأَدْخَلُوا مَعَهُ رِجَالًا مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ الْقُبَّةِ وَجَعَلُوا فَوْقَ الْقُبَّةِ الْحُصُرَ وَالْأَمْتِعَةَ. ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ فَرَدَمُوا فَوْقَهَا بِالتُّرَابِ حَتَّى تَأْتِيَ كَالْجَبَلِ الضَّخْمِ. ثُمَّ يُخَنْدِقُونَ حَوْلَهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. وَهُمْ يَذْبَحُونَ لِمَوْتَاهُمُ الذَّبَائِحَ وَيُقَرِّبُونَ لَهُمُ الْخُمُورَ

(المسالك والممالك للبكري)

فائدة فيما خُصَّت به كل بلدة

٣٨٤ يُقَالُ: أَفَاعِي سِجِسْتَانَ. وَثَعَابِينُ مِصْرَ. وَذُبَابُ تَلِّ قَافِلٍ. وَاوَزُ غِيلَةَ. وَيُقَالُ: بُرُودُ الْيَمَنِ. وَقَبَاطِيُّ مِصْرَ. وَدِيبَاجُ الرُّومِ. وَخَزُّ السُّوسِ. وَحَرِيرُ الصِّينِ. وَمِلْحُ مَرْوَ. وَأَكْسِيَةُ فَارِسَ. وَحُلَلُ أَصْبَهَانَ. وَسَقْلَاطُونِيُّ بَغْدَادَ. وَعَمَائِمُ الْأُبُلَّةِ. وَيُقَالُ: سِنْجَابُ خِرْخِيزَ. وَسَمُّورُ بُلْغَارَ. وَثَعَالِبُ الْخَزَرِ. وَفَنَكُ كَاشْغَرَ. وَحَوَاصِلُ هَرَاةَ. وَقَاقُمُ الثَّغْرِ. وَيُقَالُ: عِتَاقُ الْبَادِيَةِ. وَنَجَائِبُ الْحِجَازِ. وَحَمِيرُ مِصْرَ. وَبَرَاذِينُ طُخَارِسْتَانَ. وَبِغَالُ بَرْذَعَةَ. وَيُقَالُ: سُكَّرُ الْأَهْوَازِ. وَعَسَلُ أَصْفَهَانَ. وَقَصَبُ مِصْرَ. وَدِبْسُ أَرَّجَانَ. وَرُطَبُ الْعِرَاقِ. وَعُنَّابُ جُرْجَانَ. وَتَمْرُ كِرْمَانَ. وَإِجَّاصُ بُسْتَ. وَسَفَرْجَلُ نَيْسَابُورَ. وَتُفَّاحُ الشَّامِ. وَمِشْمِشُ طُوسَ. وَكُمَّثْرَى نُهَاوَنْدَ. وَنَارَنْجُ الْبَصْرَةِ. وَفَشُوشُ

هَرَاةَ . وَأُتْرُجُّ طَبَرِسْتَانَ . وَتِينُ حُلْوَانَ . وَعِنَبُ بَغْدَادَ . وَمَوْزُ الْيَمَنِ وَوَرْدُ جُورَ . وَنَيْلُوفَرُ شِرْوَانَ . وَزَعْفَرَانُ قُمَّ . وَتَمْرُ حِنَّاءِ مَكَّةَ[1] . وَيُقَالُ: طَوَاعِينُ الشَّامِ . وَطُحَالُ الْبَحْرَيْنِ . وَحُمَّى خَيْبَرَ . وَدَمَامِلُ الْجَزِيرَةِ . وَعِرْقُ مَكَّةَ . وَوَبَاءُ مِصْرَ . وَبَرْسَامُ الْعِرَاقِ . وَقُرُوحُ بَلْخَ . وَالنَّارُ الْفَارِسِيَّةُ . وَيُقَالُ: شِتَاءُ أَرْمِيَةَ . وَمَصِيفُ مِصْرَ . وَصَوَاعِقُ تِهَامَةَ . وَزَلْزَالُ الدَّيْبُلِ . وَيُقَالُ: شُقْرَةُ الرُّومِ . وَسَوَادُ الزَّنْجِ . وَغِلَظُ التُّرْكِ . وَجَفَاءُ الْخَتَلِ . وَدَمَامَةُ الصِّينِ . وَلَطَافَةُ بَغْدَادَ . وَقِصَرُ يَأْجُوجَ . وَطُولُ مَأْجُوجَ . وَذَكَاءُ مِصْرَ . وَبَلَادَةُ الشَّامِ . وَحَمَاقَةُ الْحَبَشِ . وَيُقَالُ: رُطَبُ تُوتَ . وَرُمَّانُ بَابَهَ . وَمَوْزُ هَتُورَ . وَسَمَكُ كُيْهَكَ . وَلَبَنُ نَرْمَاشَاتَ . وَنَبِيقُ بُشْنِسَ (*) (الكنز المدفون)

١) كذا في الاصل ونظن انه قد سقط منه كلمة يريد : تمر الصرة وحناء مكة

(*) ومن قبيل تفرّد البلاد تفرّد الناس . قال الصفدي : جماعة رُزِقوا السعادة في اشياء لم يأتِ بعدهم مَن نالها مثلهم . عليّ بن أبي طالب في القضاء . ابو عُبيدة في الأمانة . ابو ذرّ في صدق اللهجة . أُبَيّ بن كعب في القرآن . زيد بن ثابت في الفرائض . ابن عبّاس في تفسير القرآن . الحسن البصري في التذكير . وَهْب بن مُنبِّه في القصص . ابن سيرين في التعبير . نافع في القراءة . ابو حنيفة في الفقه قياساً . ابن اسحاق في المغازي . مُقاتل في التأويل ابن الكلبي الصغير في النسب . ابو الحسن المدائني في الأخبار . محمّد بن جرير الطبري في علوم الأثر . الخليل في العَروض . الفُضَيل بن عياض في العبادة . مالك بن أنس في العلم . الشافعي في فقه الحديث . أبو عُبيدة في الغريب . عليّ بن المديني في عِلَل الحديث . يحيى بن مَعين في الرجال . أحمد بن حَنبل في السُّنّة . البخاري في نقد الحديث الصحيح . الجُنيد في التصوّف . محمّد بن نصر المَرْوَزي في الاختلاف . الجُبّائي في الاعتزال . الأشعري في الكلام . ابو القاسم الطبراني في الموالي . عبد الرزّاق في ارتحال الناس اليه . ابن مَنْدَه في سعة الرحلة . أبو بكر الخطيب في سرعة الخطابة . سيبَوَيه في النحو . أبو الحَسَن البكري في الكذب . أياس في التفرّس . عبد الحميد في الكتابة . أبو مُسْلِم الخُراساني في علوّ الهمّة والحزم . المَوصِلي النديم في الغناء . أبو الفَرَج

العقعق السارق

٣٨٥ حدَّثَ حمَّادُ بْنُ إسحاقَ عَنْ أَبيهِ قالَ: كانَ لِي وَأَنا صَبِيٌّ عَقْعَقٌ قَدْ رَبَّيْتُهُ وَكانَ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ سَمِعَهُ. فَسَرَقَ خاتَمَ ياقُوتٍ كانَ أَبِي وَضَعَهُ عَلَى حَجَرٍ لِيَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَجِدْهُ. فَطَلَبَهُ وَضَرَبَ غُلامَهُ الَّذِي كانَ واقِفاً فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ. فَبَيْنا أَنا ذاتَ يَوْمٍ فِي دارِنا إِذْ أَبْصَرْتُ العَقْعَقَ قَدْ نَبَشَ تُراباً. فَأَخْرَجَ الخاتَمَ مِنْهُ وَلَعِبَ بِهِ طَوِيلاً ثُمَّ رَدَّهُ فِيهِ وَدَفَنَهُ. فَأَخَذْتُهُ وَجِئْتُ بِهِ إِلَى أَبِي فَسُرَّ بِذٰلِكَ وَقالَ يَهْجُو العَقْعَقَ:

الأَصبهانيّ صاحب الأَغانيّ في المحاضرة . أبو مَعشَر في النجوم . الرازيّ في الطبّ . الفضل بن يحيى في الجُود . جعفر بن يحيى في التوقيع . ابن زيدون في سَعَة العبارة . ابن القِرِّيّة في البلاغة . الجاحظ في الأَدب والبيان . الحريريّ في المقامات . البديع الهَمَذانيّ في الحفظ . ابو نواس في المطايبات والهزل . ابن الحجّاج في سَخف الألفاظ . المتنبي في الحِكَم والأَمثال شِعراً . أَزرَ مخشريّ في تماطي العربيّة . أَلنَسَفيّ في الجَدَل . جريرٌ في الهجاء الخبيث . حمّاد الراوية في شعر العرب . معاوية في الحِلم . المأمون في حُبّ العَفو . عمرو بن العاص في الدَّهاء . الوليد في شرب الخمر . ابو موسى الأَشعريّ في سلامة الباطن . عطاء السُّلَميّ في الخوف من الله . ابن البوّاب في الكتابة . القاضي الفاضل في الترسّل . العماد الكاتب في الجِناس . ابن الجوزيّ في الوعظ . أَشعَب في الطمع . ابو نصر الفارابي في نقل كلام القُدَماء ومعرفته وتفسيره . حُنَين بن اسحاق في ترجمة اليونانيّ الى العربي . ثابت بن قرّة في تهذيب ما نُقِل من الرياضيّ الى العربي . ابن سينا في الفلسفة وعلوم الأَوائل . الإمام فخر الدين في الاطّلاع على العلوم . السيف الآمدي في التحقيق . النصير الطُوسيّ في المجسطي . ابن الهيثم في الرياضيّ . نجم الدين الكاتبيّ في المنطق . ابو العلاء المَعَريّ في الاطّلاع على اللغة . أَبو العَيناء في الأَجوبة المُسكِتة . مَزْيَد في البخل القاضي احمد بن ابي دوّاد في المروءة وحسن التقاضي . ابن المعتزّ في التشبيه . ابن الرومي في النظير . الصوليّ في الشِّطرنج . ابو محمّد الغزّالي في الجمع بين المنقول والمعقول . ابو الوليد بن رشد في تلخيص كتب الاقدمين الفلسفيّة والطبيّة . محيي الدين بن عربيّ في التصوّف (لبهاء الدين)

إذا بارك الله في طائر فلا بارك الله في العقعق
طويل الذنابى قصير الجناح متى ما يجد غفلة يسرق
يقلب عينيه في رأسه كأنهما قطرتا زئبق
(الاغاني)

قصة اصحاب الكهف (سنة ٢٥١ للمسيح)

٣٨٦ كان للروم ملك اسمه دقيانوس (دسيوس) وكان يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت. وكان ينزل قرى الروم ولا يترك فيها أحدا مؤمنا إلا فتنه حتى يعبد الأصنام. فنزل يوما مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس وكان فيها بقايا على دين عيسى بن مريم يعبدون الله. فهرب منه أهل الإيمان. وكان حين قدم المدينة اتخذ شرطة من الكفار من أهلها يتتبعون أهل الإيمان في أماكنهم. فمن وقع به الملك خيره بين القتل وعبادة الأصنام. فمنهم من يرغب ومنهم من يأبى فيقتل. ثم يؤمر بأجسادهم أن تعلق على سور المدينة وعلى كل باب

فاتفق أن سبعة فتيان من أولاد البطارقة من أشراف القوم خرجوا ذات يوم لينظروا إلى المعذبين من إخوتهم. ففتح الله أبصارهم فكانوا يرون الرجل إذا قتل هبطت إليه الملائكة من السماء وعرجوا بروحه. فآمنوا وتضرعوا إلى الله وجعلوا يقولون: ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا. اللهم اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع البلاء والنقم عن

ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِكَ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذٰلِكَ إِذْ أَدْرَكَهُمُ ٱلشُّرْطَةُ وَكَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِي مُصَلًّى لَهُمْ فَوَجَدُوهُمْ سَجَدُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فَلَمَّا عَثَرَ عَلَيْهِمِ ٱلْمَلِكُ قَالَ لَهُمْ: مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا آلِهَتَنَا فَٱخْتَارُوا إِمَّا أَنْ تَذْبَحُوا لِآلِهَتِنَا وَإِمَّا أَنْ أَقْتُلَكُمْ. فَقَالَ مَكْسَلْمِينَا وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ: إِنَّ لَنَا إِلٰهًا مَلَأَتِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ عَظَمَتُهُ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا. أَمَّا ٱلطَّوَاغِيتُ وَعِبَادَتُهَا فَلَنْ نَعْبُدَهَا أَبَدًا فَٱصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ. فَلَمَّا قَالَ ذٰلِكَ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ فَنُزِعَ مِنْهُمُ ٱلْمِلْبُوسُ ٱلَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ لُبُوسِ عُظَمَائِهِمْ وَقَالَ: إِنْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَإِنِّي سَأُؤَخِّرُكُمْ وَأُفْرِغُ لَكُمْ وَأُنْجِزُكُمْ مَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ. وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُعَجِّلَ ذٰلِكَ إِلَّا أَنِّي أَرَاكُمْ شَبَابًا حَدِيثَةً أَسْنَانُكُمْ. فَلَا أُحِبُّ أَنْ أُهْلِكَكُمْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكُمْ أَجَلًا تَتَذَاكَرُونَ فِيهِ وَتُرَاجِعُونَ عُقُولَكُمْ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَأُخْرِجُوا مِنْ عِنْدِهِ. وَٱنْطَلَقَ دِقْيَانُوسُ إِلَى مَدِينَةٍ سِوَى مَدِينَتِهِمْ لِبَعْضِ أُمُورِهِ

فَلَمَّا عَلِمَ ٱلْفِتْيَةُ أَنَّ دِقْيَانُوسَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَتِهِمِ ٱئْتَمَرُوا أَنْ يَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَفَقَةً مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَيَتَصَدَّقُوا مِنْهَا ثُمَّ يَتَزَوَّدُوا بِمَا بَقِيَ. ثُمَّ يَنْطَلِقُوا إِلَى كَهْفٍ قَرِيبٍ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ فَيَمْكُثُونَ فِيهِ وَيَعْبُدُونَ ٱللهَ تَعَالَى. حَتَّى إِذَا جَاءَ دِقْيَانُوسُ أَتَوْهُ فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصْنَعُ بِهِمْ مَا شَاءَ. فَلَمَّا جَنَّهُمُ ٱللَّيْلُ خَرَجُوا إِلَى ٱلْجَبَلِ وَجَعَلُوا نَفَقَتَهُمْ إِلَى فَتًى مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ تَمْلِيخَا. فَكَانَ يَبْتَاعُ لَهُمْ طَعَامَهُمْ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ. وَكَانَ

مِن أَجْلِهِمْ وَأَجْلِدِهِمْ. وَكَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ لَبِسَ ثِيَابَ ٱلْمَسَاكِينِ وَٱشْتَرَى طَعَامَهُمْ وَتَجَسَّسَ لَهُمُ ٱلْأَخْبَارَ. فَلَبِثُوا كَذٰلِكَ زَمَانًا. ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ ٱلْمَلِكَ يَتَطَلَّبُهُمْ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَدَارَسُونَ إِذْ ضَرَبَ ٱللهُ عَلَى آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ. فَوَقَفَ ٱلْمَلِكُ عَلَى أَمْرِهِمْ فَأَلْقَى إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِٱلْكَهْفِ فَيُسَدَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا جُوعًا وَعَطَشًا. وَقَدْ تَوَفَّى ٱللهُ أَرْوَاحَهُمْ وَفَاةَ ٱلنَّوْمِ. ثُمَّ عَمَدَ رَجُلَانِ مُؤْمِنَانِ كَانَا فِي بَيْتِ ٱلْمَلِكِ فَكَتَبَا شَأْنَ ٱلْفِتْيَةِ وَأَسْمَاءَهُمْ وَأَنْسَابَهُمْ فِي رَقِيمٍ. وَجَعَلَاهُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نُحَاسٍ وَجَعَلَاهُ فِي ٱلْبُنْيَانِ. وَنَامُوا ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا وَفَقَدَهُمُ ٱلْمَلِكُ وَقَوْمُهُمْ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ مَلَكَ أَهْلَ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ رَجُلٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ تَاوَدُوسِيُوسُ. وَتَحَزَّبَ ٱلنَّاسُ فِي مُلْكِهِ أَحْزَابًا فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلسَّاعَةَ حَقٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَذِّبُ. فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا لَمَّا رَأَى أَهْلَ ٱلْبَاطِلِ يَزِيدُونَ وَيَظْهَرُونَ عَلَى أَهْلِ ٱلْحَقِّ وَيَقُولُونَ: لَا حَيَاةَ إِلَّا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا. وَإِنَّمَا تُبْعَثُ ٱلْأَرْوَاحُ وَلَا تُبْعَثُ ٱلْأَجْسَادُ

ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّحْمٰنَ ٱلرَّحِيمَ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ ٱلْفِتْيَةَ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ شَأْنَهُمْ وَيَجْعَلَهُمْ آيَةً لِيَعْلَمُوا بِهَا أَنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا. فَأَلْقَى ٱللهُ فِي نَفْسِ رَجُلٍ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ أَنْ يَبْنِيَ فِيهِ حَظِيرَةً لِغَنَمِهِ. فَٱسْتَأْجَرَ عَامِلَيْنِ فَجَعَلَا يَنْزِعَانِ تِلْكَ ٱلْأَحْجَارَ وَيَبْنِيَانِ بِهَا تِلْكَ ٱلْحَظِيرَةَ. حَتَّى فَرَغَ مَا عَلَى فَمِ ٱلْكَهْفِ. فَلَمَّا فُتِحَ عَلَيْهِمْ

ٱلْبَابُ أَذِنَ ٱللهُ ذُو ٱلْقُدْرَةِ وَٱلْعَظَمَةِ وَٱلسُّلْطَانِ مُحْيِي ٱلْمَوْتَى أَنْ يَقُومَ ٱلْفِتْيَةُ . فَجَلَسُوا فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرَةً وُجُوهُهُمْ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ . فَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . حَتَّى كَأَنَّمَا ٱسْتَيْقَظُوا مِنْ سَاعَتِهِمِ ٱلَّتِي كَانُوا يَسْتَيْقِظُونَ فِيهَا إِذَا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمِ ٱلَّتِي يَبِيتُونَ فِيهَا . ثُمَّ قَامُوا إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَصَلَّوْا كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ لَا يُرَى فِي وُجُوهِهِمْ وَلَا فِي أَبْشَارِهِمْ وَلَا أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ يَكْرَهُونَهُ . إِنَّمَا هُمْ كَهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَلِكَهُمْ دِقْيَانُوسَ ٱلْجَبَّارَ فِي طَلَبِهِمْ . فَلَمَّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ قَالَ لَهُمْ مَكْسَلْمِينَا : يَا إِخْوَتَاهُ ٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُو ٱللهِ فَلَا تَكْفُرُوا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِذَا دَعَاكُمْ غَدًا . ثُمَّ قَالَ لِتَمْلِيخَا : ٱنْطَلِقْ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَٱسْمَعْ مَا يَقُولُهُ ٱلنَّاسُ فِي شَأْنِنَا . فَتَلَطَّفْ وَلَا تُشْعِرَنَّ بِنَا أَحَدًا وَٱبْتَعْ لَنَا طَعَامًا وَأْتِنَا بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَالَنَا ٱلْجُوعُ . فَأَخَذَ تَمْلِيخَا ٱلثِّيَابَ ٱلَّتِي كَانَ يَتَكَرَّفُ فِيهَا وَأَخَذَ وَرِقًا مِنْ نَفَقَتِهِمِ ٱلَّتِي كَانَتْ مَعَهُمْ ٱلَّتِي ضُرِبَتْ بِطَابَعِ دِقْيَانُوسَ . فَٱنْطَلَقَ تَمْلِيخَا خَارِجًا فَلَمَّا مَرَّ بِبَابِ ٱلْكَهْفِ رَأَى ٱلْحِجَارَةَ مَنْزُوعَةً عَنْ بَابِ ٱلْكَهْفِ . فَعَجِبَ مِنْهَا ثُمَّ مَرَّ فَلَمْ يُبَالِ بِهَا . حَتَّى أَتَى بَابَ ٱلْمَدِينَةِ مُسْتَخْفِيًا يَصُدُّ عَنِ ٱلطَّرِيقِ تَخَوُّفًا مِنْ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا فَيَعْرِفَهُ فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسَ ٱلْجَبَّارِ . وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ دِقْيَانُوسَ وَأَهْلَهُ قَدْ هَلَكُوا قَبْلَ ذٰلِكَ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا رَأَى تَمْلِيخَا بَابَ ٱلْمَدِينَةِ رَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى فَوْقَ ظَهْرِ ٱلْبَابِ عَلَامَةً تَكُونُ لِأَهْلِ ٱلْإِيمَانِ . فَلَمَّا رَآهَا عَجِبَ وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُسْتَخْفِيًا . فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا مِمَّنْ يَعْرِفُهُ .

ثُمَّ تَرَكَ ذٰلِكَ ٱلْبَابَ وَتَحَوَّلَ إِلَى بَابٍ آخَرَ مِنْ أَبْوَابِهَا فَرَأَى مِثْلَ ذٰلِكَ. فَجَعَلَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّ ٱلْمَدِينَةَ لَيْسَتْ بِٱلَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا. وَرَأَى نَاسًا كَثِيرِينَ مُحْدَثِينَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذٰلِكَ. فَجَعَلَ يَمْشِي وَيَتَعَجَّبُ مِنْهُمْ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَيْرَانُ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلَّذِي أَتَى مِنْهُ. فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيَّلُ لَهُ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَ شِعْرِي أَمَا هٰذِهِ عَشِيَّةَ أَمْسِ كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ يُخْفُونَ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَةَ وَيَسْتَخْفُونَ بِهَا. فَأَمَّا ٱلْيَوْمَ فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ لَعَلِيٍّ حَالِمٌ. ثُمَّ يَرَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَائِمٍ فَأَخَذَ كِسَاءَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ

ثُمَّ دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَمْشِي بَيْنَ ظَهْرَانَيْ سُوقِهَا فَيَسْمَعُ نَاسًا كَثِيرِينَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ ثُمَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ. فَزَادَهُ عَجَبًا وَرَأَى كَأَنَّهُ حَيْرَانُ. فَقَامَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى جِدَارٍ مِنْ جُدْرَانِ ٱلْمَدِينَةِ وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: مَا أَدْرِي مَا هٰذَا أَمَا عَشِيَّةَ أَمْسِ فَمَا كَانَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ إِنْسَانٌ يَذْكُرُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ إِلَّا قُتِلَ. وَأَمَّا ٱلْغَدَاةَ فَأَسْمَعُ كُلَّ إِنْسَانٍ يَذْكُرُ أَمْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَلَا يَخَافُ. ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ هٰذِهِ لَيْسَتِ ٱلْمَدِينَةَ ٱلَّتِي أَعْرِفُهَا أَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِهَا وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا لٰكِنِّي مَا أَعْلَمُ مَدِينَةً أَقْرَبَ مِنْ مَدِينَتِنَا. ثُمَّ قَامَ كَٱلْحَيْرَانِ لَا يَتَوَجَّهُ وَجْهًا. ثُمَّ لَقِيَ فَتًى مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ فَقَالَ: يَا فَتَى مَا ٱسْمُ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ. فَقَالَ: أَفْسُوسُ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ بِي مَسًّا أَوْ أَمْرًا أَذْهَبَ عَقْلِي. ثُمَّ إِنَّهُ أَفَاقَ فَقَالَ: لَوْ عَجِلْتُ ٱلْخُرُوجَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُفْطَنَ بِي لَكَانَ

أكيس بي. فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال: يا عبد الله بعني بهذه الورق طعاما. فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها وعجب منها. ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها. ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل وهم يعجبون منها. ثم جعلوا يتشاورون من أجله ويقول بعضهم: إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيئا في الأرض منذ زمان ودهر طويل. فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وحزن حزنا عظيما. وجعل يرتعد ويظن أنهم فطنوا به وعرفوه وإنما يريدون أن يحملوه إلى ملكهم دقيانوس. وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه. فقال لهم وهو شديد الفرق: اقضوا لي حاجتي فقد أخذتم ورقي وإلا فأمسكوا طعامكم فلا حاجة لي فيه. فقالوا له: من أنت يا فتى وما شأنك. إنك لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه عنا فانطلق معنا وشاركنا فيه يخف عليك ما وجدت. فإنك إن لم تفعل تأت بك السلطان فنسلمك إليه فيقتلك. فلما سمع قولهم عجب في نفسه وقال: قد وقعت في كل شيء أحذر منه. ثم قالوا: يا فتى إنك لا تستطيع أن تكتم شيئا وجدته ولا تظن في نفسك أن ستخفى عليك فأطرق تمليخا لا يدري ما يقول وما يرجع إليهم وفرق حتى لم يحر إليهم جوابا. فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه. ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلا

حَتَّى سَمِعَ بِهِ كُلُّ مَنْ فِيهَا فَقِيلَ: أُخِذَ رَجُلٌ عِنْدَهُ كَنْزٌ. وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ: مَا هَذَا الْفَتَى مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمَا رَأَيْنَاهُ فِيهَا قَطُّ وَمَا نَعْرِفُهُ. فَجَعَلَ تَمْلِيخَا مَا يَدْرِي مَا يَقُولُ لَهُمْ مَعَ مَا سَمِعَ مِنْهُمْ. فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَرِقَ وَسَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ. وَلَوْ قَالَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُصَدَّقْ. وَكَانَ مُسْتَيْقِنًا أَنَّ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ بِالْمَدِينَةِ وَأَنَّ حَسَبَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِهَا وَأَنَّهُمْ سَيَأْتُونَهُ إِذَا سَمِعُوا. وَقَدِ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ عَشِيَّةَ أَمْسِ كَانَ يَعْرِفُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدًا

فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ كَالْحَيْرَانِ يَنْتَظِرُ مَنْ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ إِمَّا أَبُوهُ أَوْ بَعْضُ إِخْوَتِهِ فَيُخَلِّصُهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِذِ اخْتَطَفُوهُ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى رَئِيسِ الْمَدِينَةِ وَمُدَبِّرِيهَا اللَّذَيْنِ يُدَبِّرَانِ أَمْرَهَا. وَهُمَا رَجُلَانِ صَالِحَانِ اسْمُ أَحَدِهِمَا أَرْمُوسُ وَالْآخَرِ إِصْطَفُوسُ. فَلَمَّا انْطَلَقَ بِهِ إِلَيْهِمَا ظَنَّ تَمْلِيخَا أَنَّمَا يُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسَ الْجَبَّارِ مَلِكِهِمُ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ. فَجَعَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَجَعَلَ النَّاسُ يَسْخَرُونَ بِهِ كَمَا يَسْخَرُونَ مِنَ الْمَجْنُونِ وَالْحَيْرَانِ. وَجَعَلَ تَمْلِيخَا يَبْكِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِلَهَ السَّمَاءِ وَإِلَهَ الْأَرْضِ أَفْرِغْ عَلَيَّ الْيَوْمَ صَبْرًا وَأَوْلِجْ مَعِي رُوحًا مِنْكَ تُؤَيِّدُنِي بِهِ عِنْدَ هَذَا الْجَبَّارِ. وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: فُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي يَا لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا لَقِيتُ وَأَيْنَ يَذْهَبُ بِي. فَلَوْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ فَيَأْتُونِي فَنَقُومَ جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْ هَذَا الْجَبَّارِ. فَإِنَّا كُنَّا

تَوَافَقْنَا لَنَكُونَنَّ مَعًا لَا نَكْفُرُ بِاللهِ وَلَا نَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَلَمْ أَرَهُمْ وَلَمْ يَرَوْنِي. وَقَدْ كُنَّا تَوَافَقْنَا أَنْ لَا نَفْتَرِقَ فِي حَيَاةٍ وَلَا مَوْتٍ أَبَدًا. يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ بِي أَقَاتِلِي أَمْ لَا

ثُمَّ انْتَهَى بِهِ إِلَى الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحَيْنِ أَرْمُوسَ وَإِصْطَفُوسَ فَلَمَّا رَأَى تَمْلِيخَا أَنَّهُ لَمْ يُذْهَبْ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسَ أَفَاقَ وَسَكَنَ عَنْهُ الْبُكَاءُ فَأَخَذَ أَرْمُوسُ وَإِصْطَفُوسُ الْوَرَقَ فَنَظَرَا إِلَيْهَا وَعَجِبَا مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا: أَيْنَ الْكَنْزُ الَّذِي وَجَدْتَهُ يَا فَتَى. فَهَذَا الْوَرَقُ يَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ كَنْزًا. فَقَالَ لَهُ تَمْلِيخَا: مَا وَجَدْتُ كَنْزًا وَلَكِنْ هَذَا الْوَرَقُ وَرَقُ آبَائِي وَنَقْشُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَضَرْبُهَا. وَلَكِنِّي مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكُمْ. قَالَ أَحَدُهُمَا: مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ لَهُ تَمْلِيخَا: أَمَّا مَا أَرَى فَإِنِّي كُنْتُ أَرَى أَنِّي مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ. فَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَبُوكَ وَمَنْ يَعْرِفُكَ بِهَا. فَأَنْبَأَهُمْ بِاسْمِ أَبِيهِ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا يَعْرِفُهُ وَلَا أَبَاهُ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا: أَنْتَ رَجُلٌ كَذَّابٌ لَا تُخْبِرُ بِالْحَقِّ. فَلَمْ يَدْرِ تَمْلِيخَا مَا يَقُولُ لَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ نَكَسَ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ. فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَوْلَهُ: هَذَا الرَّجُلُ مَجْنُونٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِمَجْنُونٍ وَلَكِنَّهُ يُحَمِّقُ نَفْسَهُ عَمْدًا لِكَيْ يُفْلِتَ مِنْكُمْ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرًا شَدِيدًا: أَتَظُنُّ أَنَّا نُرْسِلُكَ وَنُصَدِّقُكَ أَنَّ هَذَا مَالُ أَبِيكَ. وَلَنَقْشُ هَذِهِ الْوَرَقِ وَضَرْبُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ. وَأَنْتَ غُلَامٌ شَابٌّ تَظُنُّ أَنَّكَ تَأْفِكُنَا وَتَسْخَرُ

بِنَا وَنَحْنُ شُمْطٌ كَمَا تَرَى. وَحَوْلَكَ سَرَاةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَوُلَاةُ أَمْرِهَا وَخَزَائِنُ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ بِأَيْدِينَا. وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ هٰذَا الضَّرْبِ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ. وَإِنِّي لَأَظُنُّنِي سَآمُرُ بِكَ فَتُضْرَبُ وَتُعَذَّبُ عَذَابًا شَدِيدًا ثُمَّ أُوثِقُكَ حَتَّى تُقِرَّ بِهٰذَا الْكَنْزِ الَّذِي وَجَدْتَ. فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذٰلِكَ قَالَ لَهُ تَمْلِيخَا: أَنْبِئُونِي عَنْ شَيْءٍ أَسْأَلُكُمْ عَنْهُ فَإِنْ فَعَلْتُمْ صَدَقْتُكُمْ مَا عِنْدِي. قَالُوا: سَلْ لَا نَكْتُمْكَ شَيْئًا. قَالَ: فَمَا فَعَلَ الْمَلِكُ دِقْيَانُوسُ. فَقَالُوا لَهُ: لَيْسَ نَعْرِفُ الْيَوْمَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَلِكًا يُسَمَّى دِقْيَانُوسَ. وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَلِكًا قَدْ هَلَكَ مُنْذُ زَمَانٍ وَدَهْرٍ طَوِيلٍ وَقَدْ هَلَكَتْ بَعْدَهُ قُرُونٌ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُمْ تَمْلِيخَا: فَوَاللّٰهِ مَا يُصَدِّقُنِي أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِمَا أَقُولُ. لَقَدْ كُنَّا فِتْيَةَ الْمَلِكِ وَإِنَّهُ أَكْرَهَنَا عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالذَّبْحِ لِلطَّوَاغِيتِ فَهَرَبْنَا مِنْهُ عَشِيَّةَ أَمْسِ فَنِمْنَا. فَلَمَّا انْتَبَهْنَا خَرَجْتُ لِأَشْتَرِيَ لِأَصْحَابِي طَعَامًا وَأَتَجَسَّسَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ فَإِذَا أَنَا كَمَا تَرَوْنَ. فَانْطَلِقُوا مَعِي إِلَى الْكَهْفِ الَّذِي فِي جَبَلِ مَنْخُلُوسَ أُرِكُمْ أَصْحَابِي. فَلَمَّا سَمِعَ أَرْمُوسُ وَإِصْطَفُوسُ مَا يَقُولُ تَمْلِيخَا قَالَا: يَا قَوْمُ لَعَلَّ هٰذِهِ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا اللّٰهُ لَكُمْ عَلَى يَدَيْ هٰذَا الْفَتَى. فَانْطَلِقُوا بِنَا مَعَهُ لِنُرِيَنَا أَصْحَابَهُ كَمَا قَالَ. فَانْطَلَقَ مَعَهُ أَرْمُوسُ وَإِصْطَفُوسُ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ نَحْوَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِمْ

وَلَمَّا رَأَى الْفِتْيَةُ أَصْحَابُ الْكَهْفِ تَمْلِيخَا قَدِ احْتَبَسَ عَنْهُمْ بِطَعَامِهِمْ

وَشَرَابِهِمْ عَنِ الْقَدْرِ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِيهِ ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ أُخِذَ وَذُهِبَ بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَظُنُّونَ ذٰلِكَ وَيَتَخَوَّفُونَهُ إِذْ سَمِعُوا الْأَصْوَاتَ وَجَلَبَةَ الْخَيْلِ مُصْعِدَةً نَحْوَهُمْ . فَظَنُّوا أَنَّهُمْ رُسُلُ الْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ لِيُؤْتَى بِهِمْ . فَقَامُوا حِينَ سَمِعُوا ذٰلِكَ إِلَى الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَقَالُوا : انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى أَخِينَا تَمْلِيخَا فَإِنَّهُ الْآنَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ يَنْتَظِرُ مَتَى نَأْتِيهِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَقُولُونَ ذٰلِكَ وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الْكَهْفِ فَلَمْ يَرَوْا إِلَّا أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ وَقَوْمًا وُقُوفًا عَلَى بَابِ الْكَهْفِ وَقَدْ سَبَقَهُمْ تَمْلِيخَا . فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَبْكِي فَلَمَّا رَأَوْهُ يَبْكِي بَكَوْا مَعَهُ . ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِخَبَرِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمِ الْمَسْأَلَةَ . فَعَرَفُوا عِنْدَ ذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى ذٰلِكَ الزَّمَانَ كُلَّهُ . وَإِنَّمَا أُوقِظُوا لِيَكُونُوا آيَةً لِلنَّاسِ وَتَصْدِيقًا لِلْبَعْثِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أَثَرِ تَمْلِيخَا أَرْمُوسُ فَرَأَى تَابُوتًا مِنْ نُحَاسٍ مَخْتُومًا بِخَاتَمٍ مِنْ فِضَّةٍ . فَقَامَ بِبَابِ الْكَهْفِ وَدَعَا رِجَالًا مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَفَتَحَ التَّابُوتَ عِنْدَهُمْ . فَوَجَدُوا فِيهِ لَوْحَيْنِ مِنْ رَصَاصٍ مَكْتُوبًا فِيهِمَا إِنَّ مَكْسَلْمِينَا وَتَمْلِيخَا وَمَرْطُوكُشَ وَنَوَالِسَ وَسَانِيُوسَ وَبَطْنِيُوسَ وَكَشْفُوطَطَ (*) كَانُوا فِتْيَةً هَرَبُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ

(*) وقد ضبط مؤرخو الكنيسة اسماءهم هكذا : مكسيمباتوس وملكوس ومرتنيانوس وديونيسيوس وبوحنا وسرابيون وقسطنطينوس

الْجَبَّارِ مَخَافَةَ أَنْ يَفْتِنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَدَخَلُوا فِي هٰذَا الْكَهْفِ. فَلَمَّا أُخْبِرَ بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِهٰذَا الْكَهْفِ فَسُدَّ عَلَيْهِمْ بِالْحِجَارَةِ. وَإِنَّا كَتَبْنَا شَأْنَهُمْ وَخَبَرَهُمْ لِيَعْلَمَ مَنْ بَعْدَهُمْ إِنْ عَثَرَ عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا قَرَؤُوهُ عَجِبُوا وَحَمِدُوا اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةَ الْبَعْثِ فِيهِمْ. ثُمَّ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِحَمْدِ اللّٰهِ وَتَسْبِيحِهِ. ثُمَّ دَخَلُوا عَلَى الْفِتْيَةِ الْكَهْفَ فَوَجَدُوهُمْ جُلُوسًا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ وَوُجُوهُهُمْ مُشْرِقَةٌ وَلَمْ تَبْلَ ثِيَابُهُمْ. فَخَرَّ أَرْمُوسُ وَأَصْحَابُهُ سُجَّدًا لِلّٰهِ تَعَالَى وَحَمِدُوا اللّٰهَ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ. ثُمَّ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَنْبَأَهُمُ الْفِتْيَةُ عَنِ الَّذِي لَقُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ الْجَبَّارِ. ثُمَّ إِنَّ أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ بَعَثُوا بَرِيدًا إِلَى مَلِكِهِمُ الصَّالِحِ تَاوَدُوسِيُوسَ أَنْ عَجِّلْ لَعَلَّكَ تَنْظُرُ إِلَى آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ تَعَالَى جَعَلَهَا اللّٰهُ آيَةً عَلَى مُلْكِكَ. وَجَعَلَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ لِيَكُونَ ذٰلِكَ نُورًا وَضِيَاءً وَتَصْدِيقًا بِالْبَعْثِ. فَأَعْجَلَ عَلَى فِتْيَةٍ بَعَثَهُمُ اللّٰهُ وَكَانَ قَدْ تَوَفَّاهُمْ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ. فَلَمَّا أَتَى الْمَلِكَ الْخَبَرُ قَامَ مِنَ السُّدَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا وَذَهَبَ عَنْهُ هَمُّهُ. وَقَالَ: أَحْمَدُ اللّٰهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْبُدُكَ وَأُسَبِّحُ لَكَ. تَطَوَّلْتَ عَلَيَّ وَرَحِمْتَنِي بِرَحْمَتِكَ فَلَمْ تُطْفِ النُّورَ الَّذِي كُنْتَ جَعَلْتَهُ لِآبَائِي

فَلَمَّا أُنْبِئَ بِهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَكِبُوا إِلَيْهِ وَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى صَعِدُوا نَحْوَ الْكَهْفِ وَأَتَوْهُ فَلَمَّا رَأَى الْفِتْيَةُ تَاوَدُوسِيُوسَ فَرِحُوا بِهِ وَخَرُّوا سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ. وَقَامَ تَاوَدُوسِيُوسُ قُدَّامَهُمْ ثُمَّ اعْتَنَقَهُمْ وَبَكَى.

وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَ اللهَ تَعَالَى وَيَحْمَدُونَهُ. ثُمَّ قَالَ الْفِتْيَةُ لِتَاوَدُوسِيُوسَ: نَسْتَوْدِعُكَ اللهَ وَنَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ حَفِظَكَ اللهُ وَمَدَّ مُلْكَكَ وَنُعِيذُكَ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. فَبَيْنَمَا الْمَلِكُ قَائِمٌ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فَنَامُوا وَتَوَفَّى اللهُ أَرْوَاحَهُمْ. وَقَامَ الْمَلِكُ فَجَعَلَ ثِيَابَهُ عَلَيْهِمْ. وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ تَابُوتٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَلَمَّا أَمْسَوْا وَنَامَ أَتَوْهُ فِي الْمَنَامِ وَقَالُوا: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ وَلَكِنَّا خُلِقْنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ نَصِيرُ. فَاتْرُكْنَا كَمَا كُنَّا فِي الْكَهْفِ عَلَى التُّرَابِ حَتَّى يَبْعَثَنَا اللهُ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ حِينَئِذٍ بِتَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ فَجُعِلُوا فِيهِ. وَحَجَبَهُمُ اللهُ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ بِالرُّعْبِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ. وَأَمَرَ الْمَلِكُ فَجُعِلَ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ. وَجَعَلَ لَهُمْ عِيدًا عَظِيمًا (للدميري بتلخيص)

الباب الثاني عشر
في الأسفار

مدح السفر

٣٨٧ اَلسَّفَرُ أَحَدُ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ الَّتِي بِهَا قِوَامُهُ وَنِظَامُهُ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَجْمَعْ مَنَافِعَ الدُّنْيَا فِي أَرْضٍ بَلْ فَرَّقَهَا وَأَخْوَجَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ. وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ صَاحِبَهَا يَرَى مِنْ عَجَائِبِ الْأَمْصَارِ وَبَدَائِعِ الْأَقْطَارِ

وَمَحَاسِنِ ٱلْآثَارِ. مَا يَزِيدُهُ عِلْمًا. وَيُفِيدُهُ فَهْمًا. بِقُدْرَةِ ٱللهِ وَحِكْمَتِهِ. وَيَدْعُوهُ إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ. وَيُسْمِعُ ٱلْعَجَائِبَ. وَيُكْسِبُ ٱلتَّجَارِبَ. وَيَفْتَحُ ٱلْمَذَاهِبَ. وَيَجْلِبُ ٱلْمَكَاسِبَ. وَيَشُدُّ ٱلْأَبْدَانَ. وَيُنَشِّطُ ٱلْكَسْلَانَ. وَيُسْلِي ٱلْأَحْزَانَ. وَيَطْرُدُ ٱلْأَسْقَامَ. وَيُشَهِّي ٱلطَّعَامَ. وَيَحُطُّ سَوْرَةَ ٱلْكِبْرِ. وَيَبْعَثُ عَلَى طَلَبِ ٱلذِّكْرِ. وَقَالَ حَاتِمُ طَيِّئٍ:

إِذَا لَزِمَ ٱلنَّاسُ ٱلْبُيُوتَ رَأَيْتَهُمْ عُمَاةً عَنِ ٱلْأَخْبَارِ خُرْقَ ٱلْمَكَاسِبِ

٣٨٨ وَفِي ٱلْمِنْهَجِ: مِنْ آثَارِ ٱلسَّفَرِ عَلَى ٱلْقُعُودِ. فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَعُودَ مُورِقَ ٱلْعُودِ. وَرُبَّمَا أَسْفَرَ ٱلسَّفَرُ عَنِ ٱلظَّفَرِ. وَتَعَذَّرَ فِي ٱلْوَطَنِ قَضَاءُ ٱلْوَطَرِ. وَتَقُولُ ٱلْعَامَّةُ: كَلْبُ جَوَّالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ (للمقدسي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

تَغَرَّبْ عَنِ ٱلْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى وَسَافِرْ فَفِي ٱلْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَٱكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ
فَإِنْ قِيلَ فِي ٱلْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمِحْنَةٌ وَقَطْعُ ٱلْفَيَافِي وَٱرْتِكَابُ ٱلشَّدَائِدِ
فَمَوْتُ ٱلْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ مُقَامِهِ بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

٣٨٩ قَالَ ٱلْمَأْمُونُ: لَا شَيْءَ أَلَذُّ مِنَ ٱلسَّفَرِ فِي كِفَايَةٍ لِأَنَّكَ تَحُلُّ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَحَلَّةٍ لَمْ تَحُلَّهَا وَتُعَاشِرُ قَوْمًا لَمْ تُعَاشِرْهُمْ. وَفِي كِتَابِ ٱلْهِنْدِ: مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ. قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ ٱلْعَيْشِ فِي دَعَةٍ مِنْ أَنْ تُبَدِّلَ أَوْطَانًا بِأَوْطَانِ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ

وقال أيضاً:

بِلَادُ اللهِ وَاسِعَةٌ فَضَاءُ ... وَرِزْقُ اللهِ فِي الدُّنْيَا فَسِيحُ
فَقُلْ لِلْقَاعِدِينَ عَلَى هَوَانٍ ... إِذَا ضَاقَتْ بِكُمْ أَرْضٌ فَسِيحُوا

قال غيره:

أَشَدُّ مِنْ فَاقَةِ الزَّمَانِ ... مُقَامُ حُرٍّ عَلَى هَوَانِ
فَاسْتَرْزِقِ اللهَ وَاسْتَغْنِهِ ... فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانِ
وَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِحُرٍّ ... فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانِ

قال آخر:

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ
وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
مَا فِي الْمُقَامِ لِذِي لُبٍّ وَذِي أَدَبٍ
مَعَزَّةٌ فَاتْرُكِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ
إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وَالْبَدْرُ لَوْلَا أُفُولٌ مِنْهُ مَا نَظَرَتْ
إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنُ مُرْتَقِبِ
وَالْأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْغَابِ مَا قَنَصَتْ
وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يَصِبِ
وَالتِّبْرُ كَالتُّرْبِ مُلْقًى فِي مَعَادِنِهِ

وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هٰذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ
وَإِنْ أَقَامَ فَلَا يَعْلُو إِلَى الرُّتَبِ

٣٩٠ أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ وَقَدْ أَرَادَ سَفَرًا فَقَالَ: إِنَّكَ تَدْخُلُ بَلَدًا لَا تَعْرِفُهُ وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ فَتَمَسَّكْ بِوَصِيَّتِي تُنْفِقْ بِهَا فِيهِ. عَلَيْكَ بِنَظَافَةِ الْبِزَّةِ فَإِنَّهَا تُنْبِئُ عَنِ النَّشْءِ فِي النِّعْمَةِ. وَالْأَدَبِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُكْسِبُ الْمَحَبَّةَ. وَلْيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ. وَالْزَمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنَفَةَ فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْفَظَاظَةِ اجْتَنَبْتَ الْخَسَاسَةَ. وَإِنْ أَنِفْتَ عَنِ الْغَلَبَةِ لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ. قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

لَئِنْ تَنَقَّلْتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارِ وَصِرْتُ بَعْدَ ثَوَاءٍ رَهْنَ أَسْفَارِ
فَالْحُرُّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارِ

٣٩١ أَوْصَتْ أَعْرَابِيَّةٌ ابْنَهَا فِي سَفَرٍ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ تُجَاوِرُ الْغُرَبَاءَ. وَتَرْحَلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ. وَلَعَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ الْأَعْدَاءِ. فَخَالِطِ النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبِشْرِ. وَاتَّقِ اللهَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ. وَمَثِّلْ بِنَفْسِكَ مِثَالَ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ. وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ. فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ (للقيرواني)

ذم السفر

٣٩٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْغَرِيبُ كَالْغَرْسِ الَّذِي زَايَلَ أَرْضَهُ

وَفَقَدَ شُرْبَهُ فَهُوَ ذَاوٍ لَا يُزْهِرُ. وَذَابِلٌ لَا يُثْمِرُ. وَيُقَالُ: ٱلْغَرِيبُ كَٱلْوَحْشِ ٱلنَّائِي عَنْ وَطَنِهِ فَهُوَ لِكُلِّ رَامٍ رَمِيَّةٌ وَلِكُلِّ سَبُعٍ فَرِيسَةٌ. وَقَالَ آخَرُ: ٱلْغَرِيبُ كَٱلْيَتِيمِ ٱلْفَطِيمِ ٱلَّذِي ثَكِلَ أَبَوَيْهِ فَلَا أُمٌّ تَرْأَمُهُ وَلَا أَبٌ يَرْأَفُ بِهِ. وَيُقَالُ: عُسْرُكَ فِي بَلَدِكَ خَيْرٌ مِنْ يُسْرِكَ فِي غُرْبَتِكَ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ فِي ٱلتَّغَرُّبِ ذِلَّةٌ ... فَتَجَرَّعِي كَأْسَ ٱلْأَذَى وَهَوَانِ
وَإِذَا نَزَلْتِ بِدَارِ قَوْمٍ دَارِهِمْ ... فَلَهُمْ عَلَيْكِ تَعَزُّزُ ٱلْأَوْطَانِ

قَالَ ٱلطَّرِيفِيُّ:

أَرَى وَطَنِي كَعُشٍّ لِي وَكِنِّي ... أُسَافِرُ عَنْهُ فِي طَلَبِ ٱلْمَعَاشِ
وَلَوْلَا أَنَّ كَسْبَ ٱلْقُوتِ فَرْضٌ ... لَمَا بَرِحَ ٱلْفِرَاخُ مِنَ ٱلْعِشَاشِ

(للمقدسي)

سفر ابن بطوطة الى القسطنطينية (سنة ١٣٣٤م)

٣٩٣ رَغِبَتِ ٱلْخَاتُونُ بَيْلُونُ ٱبْنَةُ مَلِكِ ٱلرُّومِ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ أُوزْبَكَ زَوْجِهَا أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي زِيَارَةِ أَبِيهَا. فَسَافَرْنَا فِي ٱلْعَاشِرِ مِنْ شَوَّالٍ فِي صُحْبَةِ ٱلْخَاتُونِ بَيْلُونَ وَتَحْتَ حُرْمَتِهَا. وَرَحَلَ ٱلسُّلْطَانُ فِي تَشْيِيعِهَا مَرْحَلَةً وَرَجَعَ هُوَ وَٱلْمَلِكَةُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ. وَسَافَرَ سَائِرُ ٱلْخَوَاتِينِ فِي صُحْبَتِهَا مَرْحَلَةً ثَانِيَةً ثُمَّ رَجَعْنَ. وَسَافَرَ صُحْبَتَهَا ٱلْأَمِيرُ بَيْدَرَةُ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنْ عَسْكَرِهِ. وَكَانَ عَسْكَرُ ٱلْخَاتُونِ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ. مِنْهُمْ خُدَّامُهَا مِنَ ٱلْمَمَالِيكِ وَٱلرُّومِ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَٱلْبَاقُونَ مِنَ ٱلتُّرْكِ.

وكان معها من الجواري نحو مائتين أكثرهن روميات وكان لها من العربات نحو أربعمائة عربة ونحو ألفي فرس لجرها وللركوب. وكان معها من الفتيان الرومية عشرة ومن الهنديين مثلهم وقائدهم الأكبر يسمى بسنبل الهندي وقائد الروميين يسمى ميخائيل. ويقول له الأتراك لولوا. وهو من الشجعان الكبار. وتركت أكثر جواريها وأثقالها بجملة السلطان إذ كانت قد توجهت برسم الزيارة. وتوجهنا إلى مدينة أكك وهي مدينة متوسطة حسنة العمارة كثيرة الخيرات شديدة البرد. وعلى مسيرة يوم من هذه المدينة جبال الروس. وهم شقر الشعور زرق العيون قباح الصور أهل غدر وعندهم معادن الفضة ومن بلادهم يؤتى بسبائك الفضة التي بها يباع ويشترى في هذه البلاد ووزن السبيكة منها خمس أواق

ثم وصلنا بعد عشر من هذه المدينة إلى مدينة سرداق وهي على ساحل البحر ومرساها من أعظم المراسي وأحسنها. وبخارجها البساتين والمياه وينزلها الترك وطائفة من الروم تحت ذمتهم. وهم أهل الصنائع وأكثر بيوتها خشب. وكانت هذه المدينة كبيرة فخرب معظمها بسبب فتنة وقعت بين الروم والترك. وكانت الضيافة تحمل إلى الخاتون في كل منزل من تلك البلاد من الخيل والغنم والبقر وألبان البقر والغنم. والسفر في هذه البلاد مضحى ومعشى. وكل أمير بتلك البلاد يصحب الخاتون بعساكره إلى آخر حد بلاده

تعظيماً لها لا خوفاً عليها. لأنّ تلك البلاد آمنة. ثمّ وصلنا إلى البلدة المعروفة باسم سلطوق وبينها وبين أوّل عمالة الروم ثمانية عشر يوماً في برّية غير معمورة. منها ثمانية أيام لا ماء بها يتزوّد لها الماء ويحمل في الروايا والقرب على العربات. وكان دخولنا إليها في أيام البرد في منتصف ذي القعدة فلم نحتج إلى كثير من الماء. ورحلنا في هذه البرّية ثمانية عشر يوماً مضحى ومعشى. وما رأينا إلا خيراً

ثمّ وصلنا بعد ذلك إلى حصن مهتولي وهو أوّل عمالة الروم. وكانت الروم قد سمعت بقدوم هذه الخاتون على بلادها فوصلها إلى هذا الحصن كفالي نقوله الرومي في عسكر عظيم وضيافة عظيمة. وجاءت الخواتين من دار أبيها ملك القسطنطينية. وبين مهتولي والقسطنطينية مسيرة اثنين وعشرين يوماً منها ستة عشر يوماً إلى الخليج وستة منه إلى القسطنطينية ولا يسافر من هذا الحصن إلا بالخيل والبغال. وتترك العربات به لأجل الوعر والجبال. وجاء كفالي المذكور ببغال كثيرة وبعثت إليّ الخاتون بستة منها. وأوصت أمير ذلك الحصن بمن تركته من أصحابي وغلماني مع العربات والأثقال فأمر لهم بدار. ورجع الأمير ببيدرة بعساكره ولم يسافر مع الخاتون إلا ناسها. ثمّ وصلنا حصن مسلمة بن عبد الملك وهو بسفح جبل على نهر زخار يقال له إصطفيلي. ولم يبق من هذا الحصن إلا آثاره وبخارجه قرية كبيرة. ثمّ سرنا يومين ووصلنا إلى الخليج

وَعَلَى سَاحِلِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ فَوَجَدْنَا فِيهِ الْمَدَّ. فَأَقَمْنَا حَتَّى كَانَ الْجَزْرُ. وَخُضْنَاهُ وَعَرْضُهُ نَحْوُ مِيلَيْنِ. وَمَشَيْنَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ فِي رِمَالٍ. وَوَصَلْنَا الْخَلِيجَ الثَّانِيَ فَخُضْنَاهُ وَعَرْضُهُ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ. ثُمَّ مَشَيْنَا نَحْوَ مِيلَيْنِ فِي حِجَارَةٍ وَرَمْلٍ وَوَصَلْنَا الْخَلِيجَ الثَّالِثَ وَقَدِ ابْتَدَأَ الْمَدُّ. فَتَعِبْنَا فِيهِ وَعَرْضُهُ مِيلٌ وَاحِدٌ. فَعَرْضُ الْخَلِيجِ كُلِّهِ مَائِيٌّ وَيَابِسٌ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا. وَتَصِيرُ مَاءً كُلُّهَا فِي أَيَّامِ الْمَطَرِ فَلَا تُخَاضُ إِلَّا فِي الْقَوَارِبِ. وَعَلَى سَاحِلِ هٰذَا الْخَلِيجِ الثَّالِثِ مَدِينَةُ الْفَنِيكَةِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ لٰكِنَّهَا حَسَنَةٌ مَانِعَةٌ. وَكَنَائِسُهَا وَدِيَارُهَا حِسَانٌ وَالْأَنْهَارُ تَخْرُقُهَا وَالْبَسَاتِينُ تُحْفُّهَا وَيُدَّخَرُ بِهَا الْعِنَبُ وَالْإِجَّاصُ وَالتُّفَّاحُ وَالسَّفَرْجَلُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى الْأُخْرَى. وَأَقَمْنَا بِهٰذِهِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثًا وَالْخَاتُونُ فِي قَصْرٍ لِأَبِيهَا هُنَالِكَ. ثُمَّ قَدِمَ أَخُوهَا شَقِيقُهَا وَاسْمُهُ كِفَالِي قَرَاسُ فِي خَمْسَةِ آلَافِ فَارِسٍ شَاكِينَ فِي السِّلَاحِ. وَلَمَّا أَرَادُوا لِقَاءَ الْخَاتُونِ رَكِبَ أَخُوهَا الْمَذْكُورُ فَرَسًا أَشْهَبَ وَلَبِسَ ثِيَابًا بِيضًا وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ مُظَلَّلًا مُكَلَّلًا بِالْجَوَاهِرِ. وَجَعَلَ عَلَى يَمِينِهِ خَمْسَةً مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَهُمْ لَابِسِينَ الْبَيَاضَ أَيْضًا. وَعَلَيْهِمْ مِظَلَّاتٌ مُزَرْكَشَةٌ بِالذَّهَبِ. وَجَعَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِائَةً مِنَ الْمُشَّائِينَ وَمِائَةَ فَارِسٍ قَدْ أَسْبَغُوا الدُّرُوعَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَخَيْلِهِمْ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ فَرَسًا مُسْرَجًا مُدَرَّعًا عَلَيْهِ شِكَّةُ فَارِسٍ مِنَ الْبَيْضَةِ الْمُجَوْهَرَةِ وَالدِّرْعِ وَالْقَوْسِ وَالسَّيْفِ. وَبِيَدِهِ رُمْحٌ فِي طَرَفِ رَأْسِهِ رَايَةٌ. وَأَكْثَرُ تِلْكَ الرِّمَاحِ مَكْسُوَّةٌ بِصَفَائِحِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

وَتِلْكَ ٱلْخَيْلُ ٱلْمَقُودَةُ هِيَ مَرَاكِبُ ٱبْنِ ٱلسُّلْطَانِ وَقَسَّمَ فُرْسَانَهُ عَلَى أَفْوَاجٍ كُلُّ فَوْجٍ فِيهِ مِائَتَا فَارِسٍ. وَلَهُمْ أَمِيرٌ قَدْ قَدَّمَ أَمَامَهُ عَشَرَةً مِنَ ٱلْفُرْسَانِ شَاكِينَ فِي ٱلسِّلَاحِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ فَرَسًا. وَخَلْفَهُ عَشَرَةٌ مِنَ ٱلْعَلَامَاتِ مُلَوَّنَةٌ بِأَيْدِي عَشَرَةٍ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ. وَعَشَرَةُ أَطْبَالٍ يَتَقَلَّدُهَا عَشَرَةٌ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ. وَمَعَهُمْ سِتَّةٌ يَضْرِبُونَ ٱلْأَبْوَاقَ وَٱلْأَنْفَارَ وَٱلصَّرْنَايَاتِ وَهِيَ ٱلْغَيْطَاتُ. وَرَكِبَتِ ٱلْخَاتُونُ فِي مَمَالِيكِهَا وَجَوَارِيهَا وَفَتَيَانِهَا وَخُدَّامِهَا. وَهُمْ نَحْوُ خَمْسِمِائَةٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ ٱلْحَرِيرِ ٱلْمُزَرْكَشَةُ بِٱلذَّهَبِ ٱلْمُرَصَّعَةُ. وَعَلَى ٱلْخَاتُونِ حُلَّةٌ يُقَالُ لَهَا ٱلنَّخُّ أَوِ ٱلنَّسِيجُ مُرَصَّعَةٌ بِٱلْجَوْهَرِ. وَعَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مُرَصَّعٌ وَفَرَسُهَا مُجَلَّلٌ بِجُلِّ حَرِيرٍ مُزَرْكَشٍ بِٱلذَّهَبِ. وَفِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ خَلَاخِلُ ٱلذَّهَبِ وَفِي عُنُقِهِ قَلَائِدُ مُرَصَّعَةٌ. وَعَظْمُ ٱلسَّرْجِ مَكْسُوٌّ ذَهَبًا مُكَلَّلٌ جَوْهَرًا. وَكَانَ ٱلْتِقَاؤُهُمَا فِي بَسِيطٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنَ ٱلْبَلَدِ. وَتَرَجَّلَ لَهَا أَخُوهَا لِأَنَّهُ أَصْغَرُ سِنًّا مِنْهَا وَقَبَّلَ رِكَابَهَا وَقَبَّلَتْ رَأْسَهُ. وَتَرَجَّلَ ٱلْأُمَرَاءُ وَأَوْلَادُ ٱلْمُلُوكِ وَقَبَّلُوا جَمِيعًا رِكَابَهَا وَٱنْصَرَفَتْ مَعَ أَخِيهَا. وَفِي غَدِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ لَا أُثْبِتُ ٱلْآنَ ٱسْمَهَا ذَاتِ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ نَزَلْنَا بِخَارِجِهَا. وَوَصَلَ أَخُو ٱلْخَاتُونِ وَلِيُّ ٱلْعَهْدِ فِي تَرْتِيبٍ عَظِيمٍ وَعَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ مُدَرَّعٍ. وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ وَعَنْ يَمِينِهِ نَحْوُ عِشْرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُهُمْ. وَقَدْ رَتَّبَ فُرْسَانَهُ عَلَى تَرْتِيبِ أَخِيهِ سَوَاءً إِلَّا أَنَّ ٱلْخَلَ أَعْظَمُ وَٱلْجَمْعَ أَكْثَرُ.

وَتَلَاقَتْ مَعَهُ أُخْتُهُ فِي مِثْلِ زِيِّهَا الْأَوَّلِ وَتَرَجَّلَا جَمِيعًا. وَأُوتِيَ بِخِبَاءٍ حَرِيرٍ فَدَخَلَا فِيهِ. وَنَزَلْنَا عَلَى عَشَرَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَرَجَ أَهْلُهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَصِبْيَانٍ رُكْبَانًا وَمُشَاةً فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وَأَجْمَلِ لِبَاسٍ وَضُرِبَتْ عِنْدَ الصُّبْحِ الْأَطْبَالُ وَالْأَبْوَاقُ وَالْأَنْفَارُ وَرَكِبَتِ الْعَسَاكِرُ. وَخَرَجَ السُّلْطَانُ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ هٰذِهِ الْخَاتُونِ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ وَالْخَوَاصُّ. وَعَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ رِوَاقٌ يَحْمِلُهُ جُمْلَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ وَرِجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ عِصِيٌّ طِوَالٌ فِي أَعْلَى كُلِّ عَصًا شِبْهُ كُرَةٍ مِنْ جِلْدٍ يَرْفَعُونَ بِهَا الرِّوَاقَ. وَفِي وَسَطِ الرِّوَاقِ مِثْلُ الْقُبَّةِ يَرْفَعُهَا الْفُرْسَانُ بِالْعِصِيِّ. وَلَمَّا أَقْبَلَ السُّلْطَانُ اخْتَلَطَتِ الْعَسَاكِرُ وَكَثُرَ الْعَجَاجُ. وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الدُّخُولِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلَزِمْتُ أَثْقَالَ الْخَاتُونِ وَأَصْحَابَهَا خَوْفًا عَلَى نَفْسِي. وَذُكِرَ لِي أَنَّهَا لَمَّا قَرُبَتْ مِنْ أَبَوَيْهَا تَرَجَّلَتْ وَقَبَّلَتِ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا. ثُمَّ قَبَّلَتْ حَافِرَيْ فَرَسَيْهِمَا. وَفَعَلَ كِبَارُ أَصْحَابِهَا مِثْلَ فِعْلِهَا فِي ذٰلِكَ. وَكَانَ دُخُولُنَا عِنْدَ الزَّوَالِ أَوْ بَعْدَهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى. وَقَدْ ضَرَبُوا نَوَاقِيسَهُمْ حَتَّى ارْتَجَّتِ الْآفَاقُ لِاخْتِلَاطِ أَصْوَاتِهَا. وَلَمَّا وَصَلْنَا الْبَابَ الْأَوَّلَ مِنْ أَبْوَابِ قَصْرِ الْمَلِكِ وَجَدْنَا بِهِ نَحْوَ مِائَةِ رَجُلٍ مَعَهُمْ قَائِدٌ لَهُمْ فَوْقَ دُكَّانَةٍ وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: سَرَاكِنُو سَرَاكِنُو وَمَعْنَاهُ الْمُسْلِمُونَ. وَمَنَعُونَا مِنَ الدُّخُولِ. فَقَالَ لَهُمْ أَصْحَابُ الْخَاتُونِ: إِنَّهُمْ مِنْ جِهَتِنَا. فَقَالُوا: لَا يَدْخُلُونَ إِلَّا بِالْإِذْنِ. فَأَقَمْنَا بِالْبَابِ وَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ

الخاتون فبعث من أعلمها بذلك وهي بين يدي والدها. فذكرت له شأننا فأمر بدخولنا وعين لنا دارا بقربه من دار الخاتون. وكتب لنا أمرا بأن لا نعترض حيث نذهب من المدينة وتودي بذلك في الأسواق. وأقمنا بالدار ثلاثا تبعث إلينا الضيافة من الغنم والفاكهة والدراهم والفرش وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان

٣٩٤ (ذكر سلطان القسطنطينية) واسمه يكفور ابن السلطان جرجيس وأبوه السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنه تزهد وترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولده وسنذكره. وفي اليوم الرابع من وصولنا إلى القسطنطينية بعثت إلي الخاتون القتى سنبل الهندي وأخذ بيدي وأدخلني إلى القصر فجزنا أربعة أبواب في كل باب سقائف بها رجال وأسلحتهم وقائدهم على دكانة مفروشة. فلما وصلنا إلى الباب الخامس تركني القتى سنبل ودخل ثم أتى ومعه أربعة من القتيان الرومية ففتشوني لئلا يكون معي سكين وقال لي القائد: تلك عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص أو عام غريب أو بلدي وكذلك الفعل بأرض الهند. ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فأخذ بيدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال أمسك اثنان بكمي واثنان من وراءي فدخلوا بي إلى مشور كبير. حيطانه بالفسيفساء قد نقش فيها صور المخلوقات من الحيوانات والجماد. وفي وسطه ساقية ماء

وَمِنْ جِهَتِهَا ٱلْأَشْجَارُ. وَٱلنَّاسُ وَاقِفُونَ يَمِينًا وَيَسَارًا سُكُوتًا لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. وَفِي وَسَطِ ٱلْمَشُورِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وُقُوفٌ أَسْلَمَنِي أُولٰئِكَ ٱلْأَرْبَعَةُ إِلَيْهِمْ. فَأَمْسَكُوا بِثِيَابِي كَمَا فَعَلَ ٱلْآخَرُونَ وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ فَتَقَدَّمُوا بِي وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَهُودِيًّا. فَقَالَ لِي بِٱلْعَرَبِيِّ: لَا تَخَفْ فَهٰكَذَا عَادَتُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِٱلْوَارِدِ. وَأَنَا ٱلتَّرْجُمَانُ وَأَصْلِي مِنْ بِلَادِ ٱلشَّامِ. فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ أُسَلِّمُ. فَقَالَ: قُلِ: ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ. ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى قُبَّةٍ عَظِيمَةٍ وَٱلسُّلْطَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ هٰذِهِ ٱلْخَاتُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَسْفَلَ ٱلسَّرِيرِ ٱلْخَاتُونُ وَإِخْوَتُهَا. وَعَنْ يَمِينِهِ سِتَّةُ رِجَالٍ وَعَنْ يَسَارِهِ أَرْبَعَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمْ بِٱلسِّلَاحِ فَأَشَارَ إِلَيَّ قَبْلَ ٱلسَّلَامِ وَٱلْوُصُولِ إِلَيْهِ بِٱلْجُلُوسِ هُنَيَّةً لِيَسْكُنَ رَوْعِي. فَفَعَلْتُ ذٰلِكَ ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ ٱجْلِسْ فَلَمْ أَفْعَلْ وَسَأَلَنِي عَنْ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ وَعَنِ ٱلصَّخْرَةِ ٱلْمُقَدَّسَةِ وَعَنِ ٱلْقُمَامَةِ وَعَنْ مَهْدِ عِيسَى وَعَنْ بَيْتِ لَحْمٍ وَعَنْ مَدِينَةِ ٱلْخَلِيلِ. ثُمَّ عَنْ دِمَشْقَ وَمِصْرَ وَٱلْعِرَاقِ وَبِلَادِ ٱلرُّومِ فَأَجَبْتُهُ عَنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَٱلْيَهُودِيُّ يُتَرْجِمُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَعْجَبَهُ كَلَامِي وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ: أَكْرِمُوا هٰذَا ٱلرَّجُلَ وَأَمِّنُوهُ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ خِلْعَةً وَأَمَرَ لِي بِفَرَسٍ مُسْرَجٍ مُلَجَّمٍ وَمِظَلَّةٍ مِنَ ٱلَّتِي يَجْعَلُهَا ٱلْمَلِكُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهِيَ عَلَامَةُ ٱلْأَمَانِ. وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُعَيِّنَ مَنْ يَرْكَبُ مَعِي بِٱلْمَدِينَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى أُشَاهِدَ عَجَائِبَهَا وَغَرَائِبَهَا وَأَذْكُرَهَا فِي بِلَادِي. فَعَيَّنَ لِي ذٰلِكَ. وَمِنَ ٱلْعَوَائِدِ عِنْدَهُمْ أَنَّ ٱلَّذِي

يَلْبَسُ خِلْعَةَ ٱلْمَلِكِ وَيَرْكَبُ فَرَسَهُ يُطَافُ بِهِ بِٱلْأَبْوَاقِ وَٱلْأَنْفَا وَٱلْأَطْبَالِ لِيَرَاهُ ٱلنَّاسُ لِئَلَّا يُؤْذُوهُ. فَطَافُوا بِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ

٣٩٥ (ذِكْرُ ٱلْمَدِينَةِ). وَهِيَ مُتَنَاهِيَةٌ فِي ٱلْكِبَرِ مُنْقَسِمَةٌ بِقِسْمَيْنِ بَيْنَهُمَا نَهْرٌ عَظِيمٌ فِيهِ ٱلْمَدُّ وَٱلْجَزْرُ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ قَنْطَرَةٌ مَبْنِيَّةٌ فَخَرِبَتْ وَهُوَ ٱلْآنَ يُعْبَرُ فِي ٱلْقَوَارِبِ. وَٱسْمُ هٰذَا ٱلنَّهْرِ أَبْسِي. وَأَحَدُ ٱلْقِسْمَيْنِ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ يُسَمَّى أَصْطَنْبُولَ وَهُوَ بِٱلْعُدْوَةِ ٱلشَّرْقِيَّةِ مِنَ ٱلنَّهْرِ. وَفِيهِ سُكْنَى ٱلسُّلْطَانِ وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ ٱلنَّاسِ. وَأَسْوَاقُهُ وَشَوَارِعُهُ مَفْرُوشَةٌ بِٱلصُّفَاحِ مُتَّسِعَةٌ. وَأَهْلُ كُلِّ صِنَاعَةٍ عَلَى حِدَةٍ لَا يُشَارِكُهُمْ سِوَاهُمْ. وَعَلَى كُلِّ سُوقٍ أَبْوَابٌ تُسَدُّ عَلَيْهِ بِٱللَّيْلِ وَأَكْثَرُ ٱلصُّنَّاعِ وَٱلْبَاعَةِ بِهَا ٱلنِّسَاءُ. وَٱلْمَدِينَةُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ دَاخِلٍ فِي ٱلْبَحْرِ نَحْوَ تِسْعَةِ أَمْيَالٍ وَعَرْضُهُ مِثْلُ ذٰلِكَ أَوْ أَكْثَرُ. وَفِي أَعْلَاهُ قَلْعَةٌ صَغِيرَةٌ وَقَصْرُ ٱلسُّلْطَانِ. وَٱلسُّورُ يُحِيطُ بِهٰذَا ٱلْجَبَلِ وَهُوَ مَانِعٌ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ ٱلْبَحْرِ. وَفِيهِ نَحْوُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَرْيَةً عَامِرَةً. وَٱلْكَنِيسَةُ ٱلْعُظْمَى هِيَ فِي وَسَطِ هٰذَا ٱلْقِسْمِ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ. وَأَمَّا ٱلْقِسْمُ ٱلثَّانِي مِنْهَا فَيُسَمَّى ٱلْغَلَطَةَ وَهُوَ بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْغَرْبِيَّةِ مِنَ ٱلنَّهْرِ شَبِيهٌ بِرِبَاطِ ٱلْفَتْحِ فِي قُرْبِهِ مِنَ ٱلنَّهْرِ. وَهٰذَا ٱلْقِسْمُ خَاصٌّ بِنَصَارَى ٱلْإِفْرَنْجِ يَسْكُنُونَهُ. وَهُمْ أَصْنَافٌ فَمِنْهُمُ ٱلْجَنَوِيُّونَ وَٱلْبَنَادِقَةُ وَأَهْلُ رُومَةَ وَأَهْلُ إِفْرَنْسَةَ وَحُكْمُهُمْ إِلَى مَلِكِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يُقَدِّمُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَرْتَضُونَهُ وَيُسَمُّونَهُ ٱلْقُمِصَ. وَعَلَيْهِمْ وَظِيفَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ لِمَلِكِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

وربما استعصوا عليه فيحاربهم حتى يصلح بينهم البابا . وجميعهم أهل تجارة . ومرساهم من أعظم المراسي رأيت به نحو مائة جفن من القراقر وسواها من السفن الكبار . وأما الصغار فلا تحصى كثرة . وأسواق هذا القسم حسنة يشقها نهر صغير قذر

٣٩٦ (ذكر الكنيسة العظمى) وإنما نذكر خارجها وأما داخلها فلم أشاهده . وهي تسمى عندهم أيا صوفيا . وهي من أعظم كنائس الروم وعليها سور يطيف بها فكأنها مدينة . وأبوابها ثلاثة عشر بابا . ولها حرم هو نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحد من دخوله وقد دخلته مع والد الملك . وهو شبه مشور مسطح بالرخام وتشقه ساقية تخرج من الكنيسة . لها حائطان مرتفعان نحو ذراع مصنوعان بالرخام المجزع المنقوش بأحسن صنعة . والأشجار منتظمة عن جهتي الساقية . ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشور معرش من الخشب مرتفع عليه دوالي العنب وفي أسفله الياسمين والرياحين . وخارج باب هذا المشور قبة خشب كبيرة فيها طبلات خشب يجلس عليها خدام ذلك الباب . وعن يمين القبة مصاطب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها قضاتهم وكتاب دواوينهم . وفي وسط تلك الحوانيت قبة خشب يصعد إليها على درج خشب . وفيها كرسي كبير مطبق بالملف يجلس فوقه قاضيهم . وعن يسار القبة التي على باب هذا المشور سوق العطارين . والساقية التي ذكرناها تقسم

قسمين أحدهما يمر بسوق العطارين والآخر يمر بالسوق حيث القضاة والكتاب. وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدامها الذين يقمون طرقها ويوقدون سرجها ويغلقون أبوابها. ولا يدعون أحدا يدخلها حتى يسجد للصليب الأعظم عندهم الذي يزعمون أنه بقية من الخشبة التي صلب عليها عيسى. وهو على باب الكنيسة مجعول في جعبة ذهب طولها نحو عشرة أذرع. وقد عرضوا عليها جعبة ذهب مثلها حتى صارت صليبا. وهذا الباب مصفح بصفائح الفضة والذهب وحلقتاه من الذهب الخالص وذكر لي أن عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي إلى مئات. وأن بعضهم من ذرية الحواريين وأن بداخلها كنيسة مختصة بالنساء. ومن عادة الملك وأرباب دولته أن يأتوا كل يوم صباحا إلى زيارة هذه الكنيسة

٣٩٧ (ذكر المانستارات بقسطنطينية) والمانستار عندهم شبه الزاوية عند المسلمين. وهذه المانستارات بها كثيرة فمنها مانستار عمره الملك جرجيس. ومنها مانستاران خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل إليها وهما في داخل بستان يشقهما نهر ماء وأحدهما للرجال والآخر للنساء وفي كل واحد منهما كنيسة ويدور بهما البيوت للمتعبدين والمتعبدات وقد حبس على كل واحد منهما أحباس لكسوة المتعبدين ونفقتهم. ومنها مانستاران عن يسار الداخل إلى الكنيسة العظمى على مثل هذين الآخرين ويطيف بهما

بيوت. وأحدهما يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين أو نحوها. ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف معينة لذلك. وفي داخل كل مانستار منها دويرة لتعبد الملك الذي بناه وأكثر هؤلاء الملوك إذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستارا ولبس المسوح وهي ثياب الشعر وقلد ولده الملك واشتغل بالعبادة حتى يموت. وهم يحتفلون في بناء هذه المانستارات ويعملونها بالرخام والفسيفساء وهي كثيرة بهذه المدينة. ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك للركوب معي إلى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها كثير من الأبكار عليهن المسوح ورؤوسهن محلوقة فيها قلانيس اللبد وعليهن أثر العبادة. وقال لي الرومي: إن هؤلاء البنات من بنات الملوك وهبن أنفسهن لخدمة هذه الكنيسة. ودخلت معه إلى كنائس فيها الرهبان يكون في الكنيسة منها مائة رجل وأكثر وأقل وكثير من أهل المدينة متعبدون وقسيسون وكنائسها لا تحصى كثرة. وأهل المدينة من جندي وغيره صغير وكبير يجعلون على رؤوسهم المظلات الكبار شتاء وصيفا. والنساء لهن عمائم كبار

٣٩٨ (ذكر الملك المترهب جرجيس) وهذا الملك ولى الملك لابنه وانقطع للعبادة وبنى مانستارا كما ذكرنا خارج المدينة على ساحلها. وكنت يوما مع الرومي المعين للركوب معي فإذا بهذا الملك ماشيا على قدميه. وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبد وله لحية بيضاء طويلة

وَوَجْهُهُ حَسَنٌ عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّهْبَانِ وَبِيَدِهِ عُكَّازٌ وَفِي عُنُقِهِ سُبْحَةٌ . فَلَمَّا رَآهُ الرُّومِيُّ نَزَلَ وَقَالَ لِي : أَنْزِلْ فَهٰذَا وَالِدُ الْمَلِكِ فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ الرُّومِيُّ سَأَلَهُ عَنِّي . ثُمَّ وَقَفَ وَبَعَثَ عَنِّي فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ لِذٰلِكَ الرُّومِيِّ وَكَانَ يَعْرِفُ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ : قُلْ لِهٰذَا السَّرَاكِنُو يَعْنِي الْمُسْلِمَ أَنَا أُصَافِحُ الْيَدَ الَّتِي دَخَلَتْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَالرِّجْلَ الَّتِي مَشَتْ دَاخِلَ الصَّخْرَةِ وَالْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى الَّتِي تُسَمَّى قُمَامَةَ وَبَيْتَ لَحْمٍ وَجَعَلَ يَدَهُ عَلَى قَدَمَيَّ وَمَسَحَ بِهَا وَجْهَهُ فَعَجِبْتُ مِنِ اعْتِقَادِهِمْ فِيمَنْ دَخَلَ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي وَمَشَيْتُ مَعَهُ فَسَأَلَنِي عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَنْ فِيهِ مِنَ النَّصَارَى وَأَطَالَ السُّؤَالَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ إِلَى حَرَمِ الْكَنِيسَةِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ آنِفًا . وَلَمَّا قَارَبَ الْبَابَ الْأَعْظَمَ خَرَجَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَهُوَ مِنْ كِبَارِهِمْ فِي الرَّهْبَانِيَّةِ . وَلَمَّا رَآهُمْ أَرْسَلَ يَدِي فَقُلْتُ لَهُ أُرِيدُ الدُّخُولَ مَعَكَ إِلَى الْكَنِيسَةِ . فَقَالَ لِلتُّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ لَا بُدَّ لِدَاخِلِهَا مِنَ السُّجُودِ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ فَإِنَّ هٰذَا مِمَّا سَنَّتْهُ الْأَوَائِلُ وَلَا يُمْكِنُ خِلَافُهُ فَتَرَكْتُهُ وَدَخَلَ وَحْدَهُ وَلَمْ أَرَهُ بَعْدَهَا... وَلَمَّا ظَهَرَ لِمَنْ كَانَ فِي صُحْبَةِ الْخَاتُونِ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَنَّهَا رَاغِبَةٌ فِي الْمُقَامِ مَعَ أَبِيهَا طَلَبُوا مِنْهَا الْإِذْنَ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِنَتْ لَهُمْ . وَأَعْطَتْهُمْ عَطَاءً جَزِيلًا وَأَجْزَلَتْ عَلَيَّ الْعَطَاءَ وَأَوْصَتْ بِي أَحَدَ أُمَرَائِهَا فَوَدَّعْتُهَا وَانْصَرَفْتُ . فَكَانَ مُدَّةُ مُقَامِي عِنْدَهُمْ شَهْرًا وَسِتَّةَ أَيَّامٍ (تحفة النظار في عجائب الاسفار)

الباب الثالث عشر
في عجائب المخلوقات

في سكان السماوات وهم الملائكة

٣٩٩ إعلم أن الملائكة جواهر مقدسة عن ظلمة الشهوة وكدورة الغضب. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس. وأنسهم بذكر الله تعالى. وفرحهم بعبادته. وقال بعض الحكماء: إن لم يكن في فضاء الأفلاك وسعة السماوات خلائق فكيف يليق بحكمة الباري تعالى تركها فارغة خاوية مع شرف جوهرها. وإنه لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغا حتى خلق فيه أجناس الحيوانات وغيرها. ولم يترك جو الهواء الرقيق حتى خلق له أنواع الطير تسبح فيه كما تسبح السمك في الماء. ولم يترك البراري اليابسة والآجام الوحلة والجبال الراسية الصلبة حتى خلق فيها أجناس السباع والوحوش. ولم يترك ظلمات التراب حتى خلق فيه أجناس الهوام والحشرات

الملائكة أصناف منهم الكروبيون وهم العاكفون في حضرة القدس لا التفات لهم إلى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية وجلالها يسبحون الليل والنهار لا يفترون. ومنهم ملائكة السماوات السبع مداومون على التسبيح والتهليل في القيام والقعود

وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمِنْهُمُ الْمُعَقِّبَاتُ. وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالْبَرَكَاتِ وَيَصْعَدُونَ بِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ وَأَعْمَالِهِمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَمِنْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْكَائِنَاتِ هُمْ مَلَائِكَةُ شَأْنِهِمْ إِصْلَاحُ الْكَائِنَاتِ وَدَفْعُ الْفَسَادِ عَنْهَا. وَقَدْ وُكِّلَ بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا شَاءَ اللهُ

في حقيقة العناصر وطباعها وترتيبها

٤٠٠ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْعُنْصُرَ هُوَ الْأَصْلُ فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْأَجْسَامُ الَّتِي دُونَ فَلَكِ الْقَمَرِ. وَتِلْكَ الْأَجْسَامُ أُمَّهَاتٌ وَالْمُوَلَّدَاتُ الْمَعَادِنُ وَالنَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ وَيُقَالُ لِلْأُمَّهَاتِ الْأَرْكَانُ. وَالْأَرْكَانُ أَرْبَعَةٌ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ. فَالنَّارُ حَارَّةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا الطَّبِيعِيُّ تَحْتَ الْفَلَكِ وَفَوْقَ الْهَوَاءِ. وَالْمَاءُ بَارِدٌ رَطْبٌ مَوْضِعُهُ الطَّبِيعِيُّ تَحْتَ الْهَوَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ. وَالْأَرْضُ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا الطَّبِيعِيُّ الْوَسَطُ

فصل في فوائد الجبال وعجائبها

٤٠١ أَمَّا فَائِدَتُهَا الْعُظْمَى فَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ لَمْ تَكُنِ الْجِبَالُ لَكَانَ وَجْهُ الْأَرْضِ مُسْتَدِيرًا أَمْلَسَ. وَكَانَتْ مِيَاهُ الْبِحَارِ تُغَطِّيهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا وَتُحِيطُ بِهَا إِحَاطَةَ كُرَةِ الْهَوَاءِ بِالْمَاءِ فَتَبْطُلُ الْحِكْمَةُ الْمُودَعَةُ فِي الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ. فَاقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ وُجُودَ الْجِبَالِ لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْحِكْمَةِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْجِبَالَ سَبَبٌ لِوُجُودِ الْمَاءِ الْعَذْبِ السَّائِحِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ

النبات والحيوان وذلك لأن سبب هذا الماء إنما هو انعقاد البخار في الجو أعني السحاب. والجبال الشامخة الطوال على بسيط الأرض شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا تمنع الرياح أن تسوق البخار بل تجعلها منحصرة بينها حتى يلحقها البرد فتصير مطرًا وثلجًا. فلو فرضت الجبال مرتفعة عن وجه الأرض لكانت الأرض كرة لا غور فيها ولا نتوء فالبخار المرتفع لا يبقى في الجو منحصرًا إلى وقت يضربه البرد بل يتخلل ويستحيل هواء فلا يجري الماء على وجه الأرض إلا قدر ما ينزل من المطر ثم تنشفه الأرض. فكان يعرض من ذلك أن يكون النبات والحيوان بعدم الماء في الصيف كما في البوادي البعيدة. فاقتضى التدبير الإلهي وجود الجبال لتحصر البخار المرتفع من الأرض بين أغوارها وتمنعه من السيلان وتمنع الرياح أن تسوقه

المعدنيات

٤٠٢ المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهي مقسومة إلى ما يذوب وإلى ما لا يذوب. والذي اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والأسرب والخارصيني

٤٠٣ (الذهب). طبعه حار لطيف لا يحترق بالنار لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائه (*). ولا يبلى في التراب ولا يصدأ على طول

(*) ذهب الاقدمون الى ان الاحتراق متوقف على افتراق الاجزاء وقد اتفق المحدثون

ٱلزَّمَانِ . وَهُوَ لَيِّنٌ أَصْفَرُ بَرَّاقٌ طَيِّبُ ٱلرَّائِحَةِ ثَقِيلٌ رَزِينٌ . فَصُفْرَةُ لَوْنِهِ مِنْ نَارِيَّتِهِ . وَلِينُهُ مِنْ دُهْنِيَّتِهِ . وَبَرِيقُهُ مِنْ صَفَاءِ مَائِيَّتِهِ . وَثِقَلُهُ مِنْ تُرَابِيَّتِهِ . وَهُوَ أَشْرَفُ نِعْمَةِ ٱللهِ عَلَى عِبَادِهِ إِذْ بِهِ قِوَامُ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا وَنِظَامُ أَحْوَالِ ٱلْخَلْقِ لِٱضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِهِمْ . فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُحْتَاجٌ إِلَى أَعْيَانٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَسَائِرِ حَاجَاتِهِ . وَلَعَلَّهُ يَمْلِكُ مَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ كَمَنْ يَمْلِكُ ٱلثِّيَابَ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى ٱلْبُرِّ . وَلَعَلَّ صَاحِبَ ٱلْبُرِّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ٱلثِّيَابِ فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَوَسِّطٍ يَرْغَبُ فِيهِ كُلُّ أَحَدٍ . فَخَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلدَّرَاهِمَ وَٱلدَّنَانِيرَ مُتَوَسِّطَيْنِ بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ حَتَّى يُبْذَلَا فِي مُقَابَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَيُبْذَلَ فِي مُقَابَلَتِهِمَا كُلُّ شَيْءٍ . وَهُمَا كَٱلْقَاضِيَيْنِ بَيْنَ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ يَقْضِيَانِ حَوَائِجَ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُمَا

٤٠٤ (ٱلْحَدِيدُ) . جِسْمٌ (بَسِيطٌ) كَدِرُ ٱلْمَادَّةِ أَسْوَدُ ٱللَّوْنِ . وَهُوَ أَكْثَرُ فَائِدَةً مِنْ سَائِرِ ٱلْفِلِزَّاتِ وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ ثَمَنًا . فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ . فَٱلْبَأْسُ فِي ٱلنُّصُولِ ٱلْمُتَّخَذَةِ مِنْهُ . وَٱلْمَنَافِعُ فِي ٱلْآلَاتِ وَٱلْأَدَوَاتِ حَتَّى قِيلَ : مَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَلِلْحَدِيدِ فِيهَا فِي أَدَوَاتِهَا مَدْخَلٌ

الشجر

٤٠٥ (ٱلشَّجَرُ) . هُوَ كُلُّ مَا لَهُ سَاقٌ مِنَ ٱلنَّبَاتِ . وَٱلْأَشْجَارُ ٱلْعِظَامُ بِمَثَابَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْعِظَامِ وَٱلنُّجُومُ بِمَثَابَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلصِّغَارِ . وَٱلْأَشْجَارُ

على أن الاحتراق انما يحصل بتركب الاكسيجين في الغالب مع المادّة أو مع جزء منها

ٱلْعِظَامُ لَا ثَمَرَ لَهَا كَالسَّاجِ وَالدُّلْبِ وَالْعَرْعَرِ (*) لِأَنَّ الْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ إِلَى نَفْسِ الشَّجَرَةِ. وَلَا كَذٰلِكَ الْأَشْجَارُ الْمُثْمِرَةُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ إِلَى الشَّجَرَةِ وَالثَّمَرَةِ. وَقَدْ يُشَارِكُ النَّبَاتُ الْحَيَوَانَ فِي أَمْرِ التَّغْذِيَةِ. فَإِنَّ الْغِذَاءَ كَمَا يَسْرِي فِي بَدَنِ الْحَيَوَانِ حَتَّى لَا تَبْقَى شَعْرَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ مِنْهَا قِسْطَهَا فَكَذٰلِكَ الْمَاءُ الَّذِي صُبَّ فِي أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ فَإِنَّهُ يَعْلُو إِلَى الْأَغْصَانِ فِي دَاخِلِ تَجَاوِيفِ الْأَشْجَارِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يُنْشَرَ فِي جَمِيعِ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ وَفِي جَمِيعِ أَطْرَافِ الْأَوْرَاقِ وَيُغَذِّي كُلَّ جُزْءٍ مِنْ كُلِّ وَرَقَةٍ وَيَجْرِي مِنْ تَجَاوِيفِ عُرُوقٍ شَعْرِيَّةٍ صِغَارٍ تُرَى فِي أَصْلِ الْوَرَقِ وَكَأَنَّ الْعِرْقَ الْكَبِيرَ نَهْرٌ. وَمَا يَتَشَعَّبُ عَنْهُ جَدَاوِلُ فِي جَمِيعِ عَرْضِ الْوَرَقِ فَيَصِلُ الْمَاءُ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْوَرَقَةِ. وَكَذٰلِكَ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْفَوَاكِهِ (*). وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الْبَارِي تَعَالَى خَلْقُ الْأَوْرَاقِ عَلَى الْأَشْجَارِ زِينَةً لَهَا وَوِقَايَةً لِثِمَارِهَا مِنْ نِكَايَةِ الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مُرْتَفِعَةً عَنِ الثِّمَارِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضَ التَّفَرُّقِ لَا مُتَكَاثِفَةً عَلَيْهَا وَلَا بَعِيدَةً عَنْهَا لِتَأْخُذَ الثِّمَارُ مِنَ النَّسِيمِ تَارَةً وَمِنَ الشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى. وَلَوْ تَكَاثَفَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَنَعَتْهَا إِصَابَةَ النَّسِيمِ وَشُعَاعَ الشَّمْسِ لَبَقِيَتْ عَلَى فَجَاجَتِهَا غَلِيظَةَ الْجِلْدِ قَلِيلَةَ الْمَائِيَّةِ. وَإِذَا

(*) يرد قول القزويني ان الجوز والنارجيل يثمران وكلاهما من الاشجار العظام والصحيح ان ثمر الاشجار العظام اصغر من ثمر الاشجار الصغار

(*) كان قدماء الطبيعيين يظنون ان الشجرة لا تغتذي الا باصلها وفروعها وانما غذاؤها يكون ايضاً باوراقها التي هي فيها بمنزلة المسام في الجسد

سَقَطَ عَنْهَا بَعْضُ الْوَرَقِ أَصَابَتْهَا الشَّمْسُ وَأَحْرَقَتْهَا كَمَا تَرَى فِي الرُّمَّانَةِ الَّتِي احْتَرَقَ مِنْهَا أَحَدُ الْجَوَانِبِ . ثُمَّ إِذَا فَرَغَتِ الثَّمَرَةُ تَنَاثَرَتِ الْأَوْرَاقُ حَتَّى لَا تَجْذِبَ مَائِيَّةَ الشَّجَرَةِ فَتَضْعُفَ قُوَّتُهَا (للقزويني)

٤٠٦ (اللِّسَانُ) . لَا يُوجَدُ الْيَوْمَ مِنْهُ إِلَّا بِمِصْرَ بِعَيْنِ شَمْسٍ فِي مَوْضِعٍ مُحَاطٍ عَلَيْهِ مُحْتَفَظٍ بِهِ مِسَاحَتُهُ نَحْوُ سَبْعَةِ أَفْدِنَةٍ . وَارْتِفَاعُ شَجَرَتِهِ نَحْوُ ذِرَاعٍ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهَا قِشْرَانِ الْأَعْلَى أَحْمَرُ خَفِيفٌ وَالْأَسْفَلُ أَخْضَرُ ثَخِينٌ . وَإِذَا مُضِغَ ظَهَرَ فِي الْفَمِ مِنْهُ دُهْنِيَّةٌ وَرَائِحَةٌ عَطِرَةٌ . وَوَرَقُهُ شَبِيهٌ بِوَرَقِ السَّذَابِ وَيُجْتَنَى دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشِّعْرَى بِأَنْ تُشْدَخَ السُّوقُ بَعْدَ مَا يُحَتُّ عَنْهَا جَمِيعُ وَرَقِهَا . وَشَدْخُهَا يَكُونُ بِحَجَرَةٍ تُتَّخَذُ مُحَدَّدَةً وَيُفْتَقَرُ شَدْخُهَا إِلَى صِنَاعَةٍ بِحَيْثُ يُقْطَعُ الْقِشْرُ الْأَعْلَى وَيُشَقُّ الْأَسْفَلُ شَقًّا لَا يَنْفُذُ إِلَى الْخَشَبِ . فَإِنْ نَفَذَ إِلَى الْخَشَبِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ . فَإِذَا شَدَخَهُ كَمَا وَصَفْنَا أَمْهَلَهُ رَيْثَمَا يَسِيلُ لُعَابُهُ عَلَى الْعُودِ فَيَجْمَعُهُ بِإِصْبَعِهِ مَسْحًا إِلَى قَرْنٍ . فَإِذَا امْتَلَأَ صَبَّهُ فِي قَنَانِيَّ زُجَاجٍ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ جَنَاهُ وَيَنْقَطِعَ لُعَابُهُ . كُلَّمَا كَثُرَ النَّدَى فِي الْجَوِّ كَانَ لُعَابُهُ أَكْثَرَ وَأَغْزَرَ . وَفِي الْجَدْبِ وَقِلَّةِ النَّدَى يَكُونُ اللَّتَى أَنْزَرَ . ثُمَّ تُؤْخَذُ الْقَنَانِيُّ فَتُدْفَنُ إِلَى الْقَيْظِ وَحَمَارَّةِ الْحَرِّ وَتُخْرَجُ مِنَ الدَّفْنِ وَتُجْعَلُ فِي الشَّمْسِ . ثُمَّ تُتَفَقَّدُ كُلَّ يَوْمٍ فَيُوجَدُ الدُّهْنُ وَقَدْ طَفَا فَوْقَ رُطُوبَةٍ مَائِيَّةٍ وَأَثْفَالٍ أَرْضِيَّةٍ فَيُقْطَفُ الدُّهْنُ . ثُمَّ تُعَادُ إِلَى الشَّمْسِ . وَلَا يَزَالُ يُشَمِّسُهَا وَيَقْطِفُ دُهْنَهَا حَتَّى لَا يَبْقَى

فيها دهن . فيؤخذ ذلك الدهن ويطبخه قيمه . ثم يرفعه إلى خزانة الملك ومقدار الدهن الخالص من اللثى بالترويق نحو عشر الجملة

٤٠٧ (الجميز) . كأنه تين برى وتخرج ثمرته في الخشب لا تحت الورق . ويخلف في السنة سبعة بطون . ويؤكل أربعة أشهر ويحمل وقرا عظيما . وقبل أن يجنى بأيام يصعد رجل إلى الشجرة ومعه حديدة يسم بها حبة حبة من الثمرة فيجري منها لبن أبيض . ثم يسود الموضع وتحلو الثمرة بذلك الفعل . وقد يوجد منه شيء شديد الحلاوة أحلى من التين لكنه لا ينفك في آخر مضغه من طعم خشبية ما . وشجرته كبيرة كشجرة الجوز العاتية ويخرج من ثمره وغصته إذا فصدت لبن أبيض إذا طلي على ثوب أو غيره صبغه أحمر . وخشبه تعمر به المساكن وتتخذ منه الأبواب وغيرها من الآلات الجافية . وله بقاء على الدهر وصبر على الماء والشمس . وقلما يتأكل هذا مع أنه خشب خفيف قليل الدودنة . ويتخذ من ثمرته خل حاذق ونبيذ حاد (من كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف)

٤٠٨ (العنبة) . وهي شجرة تشبه أشجار النارنج إلا أنها أعظم أجراما وأكثر أوراقا . وظلها أكثر الظلال غير أنه ثقيل فمن نام تحته وعك . وثمرها على قدر الإجاص الكبير . فإذا كان أخضر قبل تمام نضجه أخذوا ما سقط منه وجعلوا عليه الملح وصيروه كما يصير الليم والليمون ببلادنا وكذلك يصيرون أيضا الزنجبيل الأخضر وعناقيه

ٱلْفُلْفُلِ وَيَأْكُلُونَ ذٰلِكَ مَعَ ٱلطَّعَامِ يَأْخُذُونَ بِإِثْرِ كُلِّ لُقْمَةٍ يَسِيرًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَمْلُوحَاتِ. فَإِذَا نَضِجَتِ ٱلْعِنَبَةُ فِي أَوَانِ ٱلْخَرِيفِ ٱصْفَرَّتْ حَبَّاتُهَا فَأَكَلُوهَا كَٱلتُّفَّاحِ. فَبَعْضُهُمْ يَقْطَعُهَا بِٱلسِّكِّينِ وَبَعْضُهُمْ يَمُصُّهَا مَصًّا. وَهِيَ حُلْوَةٌ يُمَازِجُ حَلَاوَتَهَا يَسِيرُ حُمُوضَةٍ وَلَهَا نَوَاةٌ كَبِيرَةٌ يَزْرَعُونَهَا فَتَنْبُتُ مِنْهَا ٱلْأَشْجَارُ كَمَا تُزْرَعُ نَوَى ٱلنَّارَنْجِ وَغَيْرِهَا (لابن بطوطة)

٤٠٩ (ٱلْمَوْزُ). مَعَادِنُهُ عُمَانُ. وَتَنْبُتُ ٱلْمَوْزَةُ نَبَاتَ ٱلْبَرْدِيَّةِ لَهَا عُنْقُرَةٌ غَلِيظَةٌ وَوَرَقَةٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ نَحْوَ ثَلَاثِ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ. لَيْسَتْ بِمُنْخَرِطَةٍ عَلَى نَبَاتِ ٱلسَّعَفِ لٰكِنْ شِبْهُ ٱلْمُرَبَّعَةِ. وَتَرْتَفِعُ ٱلْمَوْزَةُ قَامَةً بَاسِطَةً. وَلَا تَزَالُ فِرَاخُهَا تَنْبُتُ حَوْلَهَا وَاحِدَةً أَصْغَرَ مِنَ ٱلْأُخْرَى. فَإِذَا أَجْرَتْ وَذٰلِكَ إِدْرَاكُ مَوْزِهَا قُطِعَتِ ٱلْأُمُّ حِينَئِذٍ مِنْ أَصْلِهَا وَيُؤْخَذُ قِنْوُهَا. وَيَطْلُعُ أَكْبَرُ فِرَاخِهَا فَيَصِيرُ هُوَ ٱلْأُمَّ وَتَبْقَى ٱلْبَوَاقِي فِرَاخًا لَهَا وَلَا تَزَالُ عَلَى هٰذَا أَبَدَ ٱلدَّهْرِ. وَلِذٰلِكَ قَالَ أَشْعَبُ لِٱبْنِهِ فِيمَا يَرْوِي عَنْهُ ٱلْأَصْمَعِيُّ: يَا بُنَيَّ لِمَ لَا تَكُونُ مِثْلِي. فَقَالَ: أَنَا مِثْلُ ٱلْمَوْزَةِ لَا تَصْلُحُ حَتَّى تَمُوتَ أُمُّهَا (لابي حنيفة الدينوري)

٤١٠ (ٱلْفُلْفُلُ). شَجَرَةُ ٱلْفُلْفُلِ شَبِيهَةٌ بِدَوَالِي ٱلْعِنَبِ وَأَهْلُ ٱلْهِنْدِ يَغْرِسُونَهَا إِزَاءَ ٱلنَّارَجِيلِ. فَتَصْعَدُ فِيهَا كَصُعُودِ ٱلدَّوَالِي إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا عُسَالِيجُ وَهُوَ ٱلْغَزْلُ كَمَا لِلدَّوَالِي. وَأَوْرَاقُ شَجَرِهِ تُشْبِهُ أَوْرَاقَ ٱلْخِيلِ. وَبَعْضُهَا يُشْبِهُ أَوْرَاقَ ٱلْعُلَّيْقِ. وَيُثْمِرُ عَنَاقِيدَ صِغَارًا حَبُّهَا كَحَبِّ أَبِي قِنَّةَ إِذَا كَانَتْ خُضْرًا. وَإِذَا كَانَ أَوَانُ ٱلْخَرِيفِ قَطَفُوهُ وَفَرَشُوهُ عَلَى ٱلْحُصُرِ

فِي الشَّمْسِ كَمَا يُصْنَعُ بِالْعِنَبِ عِنْدَ تَزْبِيبِهِ . وَلَا يَزَالُونَ يُقَلِّبُونَهُ حَتَّى يَسْتَحْكِمَ يَبْسُهُ وَيَسْوَدَّ . ثُمَّ يَبِيعُونَهُ مِنَ التُّجَّارِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بِمَدِينَةِ قَالِقُوطَ يُصَبُّ لِلْكَيْلِ كَالذُّرَةِ بِبِلَادِنَا (لابن بطوطة)

النجوم

٤١١. (النُّجُومُ) كُلُّ نَبْتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مُرْتَفِعٌ كَالزُّرُوعِ وَالْبُقُولِ وَالرَّيَاحِينِ وَالْحَشَائِشِ الْبَرِّيَّةِ . وَقَدْ أَجْرَى اللهُ عَادَتَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَنَّهُ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَيُجْرِي يَابِسَ أَنْهَارِهَا وَيَنْشُرُ رُفَاتَ نَبَاتِهَا حَتَّى تَرَى مِنَ الْأَوْرَاقِ مُخْضَرَّةً . وَمِنَ الْأَزْهَارِ مُحْمَرَّةً وَمُصْفَرَّةً . لِيَسْتَدِلَّ بِهِ ذُو الطَّبْعِ السَّلِيمِ . وَالْفَهْمِ الْمُسْتَقِيمِ . عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ . وَإِعَادَةِ الْعِظَامِ الرُّفَاتِ

وَمِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ الْقُوَّةُ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى فِي نَفْسِ الْحَبِّ فَإِنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ جَذَبَتْ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْقُوَّةِ الرُّطُوبَةَ الَّتِي تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ لَهَا غِذَاءً مِنْ نَفْسِ الْأَرْضِ مِمَّا حَوَالَيْهَا . كَشُعْلَةِ نَارِ السِّرَاجِ فَإِنَّهَا تَجْذِبُ الرُّطُوبَةَ الَّتِي فِي السِّرَاجِ بِوَاسِطَةِ قُوَّةٍ خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى فِيهَا . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ إِذَا حَصَلَتْ فِي نَفْسِ الْحَبِّ صَارَتْ غِذَاءً لَهَا وَتَعْمَلُ فِيهَا الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةُ حَتَّى تَبْلُغَ كَمَالَهَا . وَالنُّجُومُ فِي جِنْسِ النَّبَاتِ كَالْحَيَوَانَاتِ الصِّغَارِ فِي جِنْسِ الْحَيَوَانِ وَالْأَشْجَارُ الْكِبَارُ كَالْحَيَوَانَاتِ الْكِبَارِ فَكَمَا أَنَّ عِنْدَ شِدَّةِ الْبَرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي لَا عَظْمَ لَهَا شَيْءٌ كَذَلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ خَشَبٌ صُلْبٌ .

وَأَمَّا الْحَيَوَانَاتُ الْكِبَارُ فَإِنَّهَا تَصْبِرُ عَلَى الْبَرْدِ وَكَذٰلِكَ الْأَشْجَارُ. ثُمَّ إِنَّ عُقُولَ الْعُقَلَاءِ مُتَحَيِّرَةٌ فِي أَمْرِ الْحَشَائِشِ وَعَجَائِبِهَا. وَأَفْهَامُ الْأَذْكِيَاءِ قَاصِرَةٌ عَنْ ضَبْطِ خَوَاصِّهَا وَفَوَائِدِهَا. وَكَيْفَ لَا مَعَ مَا يُشَاهَدُ مِنْ تَنَوُّعِ صُوَرِ قُضْبَانِهَا وَاخْتِلَافِ أَشْكَالِ أَوْرَاقِهَا وَعَجِيبِ أَلْوَانِ أَزْهَارِهَا وَتَنَوُّعِ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا. كَالْحُمْرَةِ مَثَلًا فَإِنَّهَا قَدْ تَكُونُ أُرْجُوَانِيَّةً كَمَا تَرَى فِي السُّوسَنِ. وَقَدْ تَكُونُ مُشْبَعَةً جِدًّا كَمَا تَرَى فِي شَقَائِقِ النُّعْمَانِ. وَقَدْ تَكُونُ نَارِيَّةً كَالْأُقْحُوَانِ. وَقَدْ تَكُونُ خَفِيفَةً كَالْوَرْدِ هٰكَذَا حَالُ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا. ثُمَّ عَجَائِبُ رَوَائِحِهَا وَمُخَالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ اشْتِرَاكِ الْكُلِّ فِي الطِّيبِ. ثُمَّ عَجَائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا. فَإِنَّ لِكُلِّ حَبٍّ وَوَرَقٍ وَزَهْرٍ وَعِرْقٍ شَكْلًا وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرَائِحَةً وَخَاصِّيَّةً بَلْ خَاصِّيَّاتٍ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللّٰهُ. وَالَّتِي عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفْهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ (للقزويني)

٤١٢ (الْبَامِيَةُ). وَهِيَ ثَمَرٌ بِقَدْرِ إِبْهَامِ الْيَدِ كَأَنَّهُ جِرَاءُ الْقِثَّاءِ شَدِيدُ الْخُضْرَةِ إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ زِئْبَرًا مُشْوَكًا وَهُوَ مُخَمَّسُ الشَّكْلِ يُحِيطُ بِهِ خَمْسَةُ أَضْلَاعٍ فَإِذَا شُقَّ انْشَقَّ عَنْ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ بَيْنَهَا حَوَاجِزُ. وَفِي تِلْكَ الْأَبْيَاتِ حَبٌّ مُصْطَفٌّ مُسْتَدِيرٌ أَبْيَضُ أَصْغَرُ مِنَ اللُّوبِيَاءِ هَشٌّ يَضْرِبُ إِلَى الْحَلَاوَةِ. وَفِيهِ لُعَابِيَّةٌ كَثِيرَةٌ. يَطْبُخُ أَهْلُ مِصْرَ بِهِ اللَّحْمَ بِأَنْ يُقَطِّعَ مَعَ قُشُورِهِ صِغَارًا وَيَكُونُ طَعَامًا لَا بَأْسَ بِهِ. أَلْغَالِبُ عَلَى طَبْعِهِ الْحَرَارَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَلَا يَظْهَرُ فِي طَبْخِهِ قَبْضٌ بَلْ لُزُوجَةٌ

٤١٣ (أَلْقُلْقَاسُ). هُوَ أُصُولٌ بِقَدْرِ الْخِيَارِ. وَمِنْهُ صِغَارٌ كَالْأَصَابِعِ

يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةٍ خَفِيفَةٍ يُقَشَّرُ ثُمَّ يُشَقَّقُ عَلَى مِثْلِ السَّلْجَمِ. وَهُوَ كَثِيفٌ مُكْتَنِزٌ يُشَابِهُ الْمَوْزَ الْأَخْضَرَ الْفَجَّ فِي طَعْمِهِ. وَفِيهِ قَبْضٌ يَسِيرٌ مَعَ حَرَافَةٍ قَوِيَّةٍ وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى حَرَارَتِهِ وَيَبْسِهِ. فَإِذَا سُلِقَ زَالَتْ حَرَافَتُهُ جُمْلَةً وَحَدَثَ لَهُ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ الْيَسِيرِ لُزُوجَةٌ مُغْرِيَةٌ كَانَتْ فِيهِ بِالْقُوَّةِ. إِلَّا أَنَّ حَرَافَتَهُ كَانَتْ تُخْفِيهَا وَتَسْتُرُهَا وَلِذٰلِكَ صَارَ غِذَاؤُهُ غَلِيظًا بَطِيءَ الْهَضْمِ ثَقِيلًا فِي الْمَعِدَةِ. إِلَّا أَنَّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ وَالْعُفُوصَةِ صَارَ قَوِيًّا لِلْمَعِدَةِ (لعبد اللطيف)

جنس الحيوان

٤١٤ أَلْحَيَوَانُ مَا فِيهِ حَيَاةٌ. قَالَ الْجَاحِظُ: الْحَيَوَانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ. شَيْءٌ يَمْشِي وَشَيْءٌ يَطِيرُ وَشَيْءٌ يَعُومُ وَشَيْءٌ يَسْبَحُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَطِيرُ يَمْشِي وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ يَمْشِي يَطِيرُ. فَأَمَّا النَّوْعُ الَّذِي يَمْشِي فَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: نَاسٌ وَبَهَائِمُ وَسِبَاعٌ. وَالطَّيْرُ كُلُّهُ سَبُعٌ وَبَهِيمَةٌ وَهَمَجٌ. وَالْخُشَاشُ مَا لَطُفَ جِرْمُهُ وَصَغُرَ جِسْمُهُ وَكَانَ عَدِيمَ السِّلَاحِ. وَالْهَمَجُ لَيْسَ مِنَ الطُّيُورِ وَلٰكِنَّهُ يَطِيرُ. وَهُوَ فِيمَا يَطِيرُ كَالْحَشَرَاتِ فِيمَا يَمْشِي. وَالسَّبُعُ مِنَ الطَّيْرِ مَا أَكَلَ اللَّحْمَ خَالِصًا. وَالْبَهِيمَةُ مَا أَكَلَ الْحَبَّ خَالِصًا. وَالْمُشْتَرَكُ كَالْعُصْفُورِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِذِي مِخْلَبٍ وَلَا مِنْسَرٍ وَهُوَ يَلْقُطُ الْحَبَّ وَمَعَ ذٰلِكَ يَصِيدُ النَّمْلَ وَيَصِيدُ الْجَرَادَ وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ وَلَا يَذُقُ فِرَاخَهُ كَمَا يَذُقُ الْحَمَامُ فَهُوَ مُشْتَرَكُ الطَّبِيعَةِ. وَأَشْبَاهُ الْعَصَافِيرِ مِنَ الْمُشْتَرَكِ كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَا طَارَ بِجَنَاحَيْنِ مِنَ

ٱلطَّيرِ فَقَدْ يَطِيرُ ٱلْجُعَلَانُ وَٱلذُّبَابُ وَٱلزَّنَابِيرُ وَٱلْجَرَادُ وَٱلنَّمْلُ وَٱلْقَرَاشُ وَٱلْبَعُوضُ وَٱلْأَرَضَةُ وَغَيْرُ ذٰلِكَ وَلَا تُسَمَّى طُيُورًا (للدميري)

الانسان

٤١٥ (إِنْسَانٌ). قَالَ ٱلْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلْمَالِكِيُّ ٱلْإِمَامُ ٱلْعَلَّامَةُ: لَيْسَ لِلّٰهِ تَعَالَى خَلْقٌ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ. فَإِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى خَلَقَهُ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُدَبِّرًا حَكِيمًا وَهٰذِهِ صِفَاتُ ٱلرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا. قَالَ تَعَالَى: لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَهُوَ ٱعْتِدَالُهُ وَتَسْوِيَةُ أَعْضَائِهِ لِأَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ مُنْكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ وَخَلَقَهُ سَوِيًّا. وَلَهُ لِسَانٌ ذَلِقٌ يَنْطِقُ بِهِ وَيَدٌ وَأَصَابِعُ يَقْبِضُ بِهَا. مُؤَدَّبًا بِٱلْأَمْرِ مُهَذَّبًا بِٱلتَّمْيِيزِ. يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ وَمَشْرُوبَهُ بِيَدِهِ. وَٱفْتَتَحَ ٱبْنُ بَخْتِيشُوعَ ٱلطَّبِيبُ ٱلنَّصْرَانِيُّ كِتَابَهُ فِي ٱلْحَيَوَانِ بِٱلْإِنْسَانِ وَقَالَ: إِنَّهُ أَعْدَلُ ٱلْحَيَوَانِ مِزَاجًا وَأَكْمَلُهُ أَفْعَالًا وَأَلْطَفُهُ حِسًّا وَأَنْفَذُهُ رَأْيًا. فَهُوَ كَٱلْمَلِكِ ٱلْمُسَلَّطِ ٱلْقَاهِرِ لِسَائِرِ ٱلْخَلِيقَةِ وَٱلْآمِرِ لَهَا. وَذٰلِكَ بِمَا وَهَبَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ ٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي بِهِ يُمَيِّزُ عَلَى كُلِّ ٱلْحَيَوَانِ ٱلْبَهِيمِيِّ فَهُوَ بِٱلْحَقِيقَةِ مَلِكُ ٱلْعَالَمِ. وَلِذٰلِكَ سَمَّاهُ قَوْمٌ مِنَ ٱلْأَقْدَمِينَ ٱلْعَالَمَ ٱلْأَصْغَرَ

النعم

٤١٦ ٱلنَّعَمُ وَهِيَ تَشْمَلُ ٱلْإِبِلَ وَٱلْبَقَرَ وَٱلْغَنَمَ هِيَ كَثِيرَةُ ٱلْفَائِدَةِ سَهْلَةُ ٱلِٱنْقِيَادِ. لَيْسَ لَهَا شَرَاسَةُ ٱلدَّوَابِّ وَلَا نَفْرَةُ ٱلسِّبَاعِ. وَلِشِدَّةِ حَاجَةِ ٱلنَّاسِ إِلَيْهَا يَخْلُقُ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهَا سِلَاحًا شَدِيدًا كَأَنْيَابِ

السباع وبراثنها وأنياب الحشرات وإبرها. وجعل من شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش. وخلقها ذللا تقاد بالأيدي فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. وجعل الله قرنها سلاحا لتأمن به من الأعداء. ولما كان ما كلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أن تجعل لها أفواها واسعة وأسنانا حدادا وأضراسا صلابا لتطحن بها الحب والنوى

٤١٧ (الجاموس). هو حيوان عنده شجاعة وشدة وبأس. وهو مع ذلك أجزع خلق الله يفرق من عض بعوضة ويهرب منها إلى الماء. والأسد يخافه. وهو مع شدته وغلظه ذكي. ويقال إنه لا ينام أصلا لكثرة حراسته لنفسه وأولاده. وإذا اجتمعت ضربت دائرة وتجعل رؤوسها خارج الدائرة وأذنابها إلى داخلها والرعاة وأولادها من داخل. فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصيها. والذكر منها يناطح ذكرا آخر. فإذا غلب أحدهما دخل أجمة فقيم فيها حتى يعلم من نفسه أنه قوي فيخرج ويطلب ذلك الفحل الذي غلبه فيناطحه حتى يغلبه ويطرده. وهو يتغمس في الماء غالبا إلى خرطومه. والجاموس يقتل التمساح مع عظم بدنه وهول جثته. يمشي إلى الأسد رخي البال ثابت الجنان رابط الجاش. وليس في قرنه حدة كما في قرن البقر فضلا عن حدة أطراف مخاليب الأسد وأنيابه (للدميري)

٤١٨ (بقر). حيوان كثير المنفعة شديد القوة خلقه الله ذللا منقادا للناس. وإنما لم يخلق له سلاح شديد مثل السباع وغيرها لأنه

فِي رِعَايَةِ الْإِنْسَانِ. فَالْإِنْسَانُ يَدْفَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ بِخِلَافِ السِّبَاعِ. وَلِأَنَّ حَاجَةَ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ مَاسَّةٌ فَلَوْ كَانَ لَهُ سِلَاحٌ شَدِيدٌ صَعُبَ ضَبْطُهُ. وَالْبَقَرُ الْأَجَمُّ يُعْلَمُ أَنَّ سِلَاحَهُ فِي رَأْسِهِ فَيَسْتَعْمِلُ مَحَلَّ الْقَرْنِ كَمَا تَرَى مِنَ الْعَجَاجِيلِ قَبْلَ نَبَاتِ الْقَرْنِ تَنْطَحُ بِرُؤُوسِهَا. وَذَلِكَ لِمَعْنًى خُلِقَ لِطَبِيعَتِهَا فَيَعْمَلُ ذَلِكَ بِالطَّبْعِ. وَلَمْ يُخْلَقْ لِلْبَقَرِ الثَّنَايَا الْفَوْقَانِيَّةُ فَيَقْلَعُ الْحَشِيشَ بِالسُّفْلَانِيَّةِ (للقزويني)

٤١٩ (ظَبْيُ الْمِسْكِ). هُوَ كَسَائِرِ الظِّبَاءِ عِنْدَنَا فِي الْقَدِّ وَاللَّوْنِ وَدِقَّةِ الْقَوَائِمِ وَافْتِرَاقِ الْأَظْلَافِ وَانْتِصَابِ الْقُرُونِ وَانْعِطَافِهَا. وَلَهُ نَابَانِ دَقِيقَانِ أَبْيَضَانِ فِي الْفَكَّيْنِ قَائِمَانِ فِي وَجْهِ الظَّبْيِ. طُولُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْدَارُ فِتْرٍ وَدُونَهُ عَلَى هَيْئَةِ نَابِ الْفِيلِ فَهُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ الظِّبَاءِ. وَأَجْوَدُ الْمِسْكِ كُلِّهِ مَا حَكَّهُ الظَّبْيُ عَلَى أَحْجَارِ الْجِبَالِ إِذْ كَانَ مَادَّةً تَصِيرُ فِي سُرَّتِهِ وَيَجْتَمِعُ دَمًا عَبِيطًا كَاجْتِمَاعِ الدَّمِ فِيمَا يَعْرِضُ مِنَ الدَّمَامِلِ. فَإِذَا أَدْرَكَ حَكَّهُ وَأَضْجَرَهُ فَيَفْزَعُ إِلَى الْحِجَارَةِ حَتَّى يَخْرُقَهُ فَيَسِيلُ مَا فِيهِ فَإِذَا خَرَجَ عَنْهُ جَفَّ وَانْدَمَلَ وَعَادَتِ الْمَادَّةُ تَجْتَمِعُ فِيهِ كَمَنْ ذِي قَبْلُ. وَبِالْتُّبَّتِ رِجَالٌ يَخْرُجُونَ فِي طَلَبِ هَذَا وَلَهُمْ بِهِ مَعْرِفَةٌ. فَإِذَا وَجَدُوهُ الْتَقَطُوهُ وَجَمَعُوهُ وَأَوْدَعُوهُ النَّوَافِجَ وَحَمَلُوهُ إِلَى مُلُوكِهِمْ. وَهُوَ نِهَايَةُ الْمِسْكِ إِذْ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ عَلَى حَيَوَانِهِ. وَصَارَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمِسْكِ كَفَضْلِ مَا يُدْرِكُ مِنَ الثِّمَارِ فِي شَجَرِهِ عَلَى سَائِرِ مَا يُنْتَزَعُ مِنْهُ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ (للسعودي)

٤٢٠ (فَرَسٌ). مِنْ أَحْسَنِ الْحَيَوَانَاتِ بَعْدَ الْإِنْسَانِ صُورَةً وَأَشَدِّ الدَّوَابِّ عَدْوًا وَذَكَاءً. وَلَهُ خِصَالٌ حَمِيدَةٌ وَأَخْلَاقٌ مَرْضِيَّةٌ. مِنْ ذٰلِكَ حُسْنُ صُورَتِهِ وَتَنَاسُبُ أَجْزَائِهِ وَأَعْضَائِهِ وَصَفَاءُ لَوْنِهِ وَسُرْعَةُ عَدْوِهِ وَحُسْنُ طَاعَتِهِ لِفَارِسِهِ كَيْفَ صَرَفَهُ انْقَادَ لَهُ. وَمِنْهَا مَا يَلْعَبُ الْفَارِسُ عَلَى ظَهْرِهِ بِالْكُرَةِ فَلَا يَحْتَاجُ الرَّاكِبُ أَنْ يَصْرِفَهُ بَلْ عَيْنُهُ إِلَى الْكُرَةِ كُلَّمَا رَأَى الْكُرَةَ يَعْدُو خَلْفَهَا. وَمِنَ الْفَرَسِ مَا يَعْرِفُ صَاحِبَهُ فَلَا يُمَكِّنُ غَيْرَهُ مِنْ رُكُوبِهِ. وَمِنَ الْخَيْلِ مَا يَلْحَقُ الظَّبْيَ حَتَّى يَضْرِبَ رَاكِبُهُ الظَّبْيَ بِالسَّيْفِ

السباع

٤٢١ (ابْنُ آوَى). جَمْعُهُ بَنَاتُ آوَى وَسُمِّيَ ابْنَ آوَى لِأَنَّهُ يَأْوِي إِلَى عُوَاءِ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَلَا يَعْوِي إِلَّا لَيْلًا. وَذٰلِكَ إِذَا اسْتَوْحَشَ وَبَقِيَ وَحْدَهُ. وَصِيَاحُهُ يُشْبِهُ صِيَاحَ الصِّبْيَانِ. وَهُوَ طَوِيلُ الْمَخَالِبِ وَالْأَظْفَارِ يَعْدُو عَلَى غَيْرِهِ وَيَأْكُلُ مِمَّا يَصِيدُ مِنَ الطُّيُورِ وَغَيْرِهَا. وَخَوْفُ الدَّجَاجِ مِنْهُ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهَا مِنَ الثَّعْلَبِ لِأَنَّهُ إِذَا مَرَّ تَحْتَهَا وَهِيَ عَلَى الشَّجَرَةِ أَوِ الْجِدَارِ تَسَاقَطَتْ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدًا كَثِيرًا. وَابْنُ آوَى يُفْسِدُ الْكُرُومَ وَالثِّمَارَ وَإِذَا أَرَادَ صَيْدَ طَيْرِ الْمَاءِ جَمَعَ حُزْمَةً مِنَ الْحَشِيشِ وَرَمَيَهَا فِي الْمَاءِ وَيَتْرُكُهَا حَتَّى يَسْتَأْنِسَ الطَّيْرُ بِهَا وَيَقَعَ عَلَيْهَا. فَإِذَا رَأَى اسْتِئْنَاسَ الطَّيْرِ بِهَا جَعَلَ يَمْشِي خَلْفَهَا وَيَصْطَادُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ

٤٢٢ (الْخِنْزِيرُ). حَيَوَانٌ سَمِجُ الشَّكْلِ صَعْبٌ لَهُ نَابَانِ كَنَابَيِ

الفيل يضرب بهما. ورأسه كرأس الجاموس. وله ظلف كما للبقر يلطخ بدنه بالطين والأشياء اللزجة حتى يصير جلده كالجوشن لا تعمل فيه أنياب الخنازير عند الخصومة. وأتاه أنسل الحيوانات لأنها تضع عشرين خنوصاً. فالخنزير يأكل الحية أكلاً ذريعاً وسم الحية لا يعمل في الخنزير. وهو أروغ من الثعلب. يهرب من الفارس حتى يطمع فيه الفارس ويعدو خلفه ويتعب ثم يكر عليه ويضرب الفرس أو الفارس ضربة شديدة بنابه فيقتله (للقزويني)

٤٢٣ (الذئب). حيوان كثير الخبث ذو غارات وخصومات ومكابرة وختل شديد. وقلما يخطئ في وثبته. وعند اجتماعهما لا ينفرد أحدهما إذ لا يأمن على نفسه منها. وإذا أصاب أحدها جرحة أو ضربة علمت أنه ضعيف فاجتمعت وأكلته. وإذا نامت الذئاب واجه بعضها بعضاً ولا ينام خلفه حتى ينظر أحدهما إلى الآخر وقيل إنه ينام بإحدى عينيه ويفتح الأخرى. قال حميد الهلالي:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي المنايا بأخرى فهو يقظان هاجع

وإذا عجز عن غلبة من يقاومه يعوي حتى يأتي ما يسمع عواءه من الذئاب يعاونه. وإذا مرض انفرد عن الذئاب ويعلم أنها إن أحست بمرضه أكلته. وفيه من قوة حاسة الشم أنه يدرك المشموم من فرسخ. وأكثر ما يتعرض للغنم في الصبح وإنما يتوقع فترة الكلب ونومه وكلاله لأنه يظل طول ليله حارساً متيقظاً. ومن غريب

أَمْرِهِ أَنَّهُ إِذَا كَدَّهُ الْجُوعُ عَوَى فَتَجْتَمِعُ لَهُ الذِّئَابُ وَيَقِفُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَمَنْ وَلَّى مِنْهَا وَثَبَ إِلَيْهِ الْبَاقُونَ وَأَكَلُوهُ. وَإِذَا عَرَضَ لِلْإِنْسَانِ وَخَافَ الْعَجْزَ عَنْهُ عَوَى عُوَاءَ اسْتِغَاثَةٍ فَتَسْمَعُهُ الذِّئَابُ فَتُقْبِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِقْبَالًا وَاحِدًا وَهُمْ سَوَاءٌ فِي الْحِرْصِ عَلَى أَكْلِهِ. فَإِنْ أَدْمَى الْإِنْسَانُ وَاحِدًا مِنْهَا وَثَبَ الْبَاقُونَ عَلَى الْمُدْمَى فَمَزَّقُوهُ وَتَرَكُوا الْإِنْسَانَ. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ يُعَاتِبُ صَدِيقًا مَالَ عَنْهُ:

وَكُنْتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأَى دَمًا ... بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ

٤٢٤ (السِّنَّوْرُ). حَيَوَانٌ أَلُوفٌ مُتَمَلِّقٌ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى لِدَفْعِ الْقَأْرِ. وَهُوَ يُحِبُّ النَّظَافَةَ فَيَمْسَحُ وَجْهَهُ بِلُعَابِهِ. وَإِذَا تَلَطَّخَ شَيْءٌ مِنْ بَدَنِهِ لَا يَلْبَثُ حَتَّى يُنَظِّفَهُ. وَإِذَا أَلِفَ السِّنَّوْرُ مَنْزِلًا مَنَعَ غَيْرَهُ مِنَ السَّنَانِيرِ الدُّخُولَ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَحَارَبَهُ أَشَدَّ مُحَارَبَةٍ وَهُوَ مِنْ جِنْسِهِ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّ أَرْبَابَهُ رُبَّمَا اسْتَحْسَنُوهُ وَقَدَّمُوهُ عَلَيْهِ أَوْ شَارَكُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي الْمَطْعَمِ وَإِنْ أَخَذَ شَيْئًا مِمَّا يَخْزُنُهُ أَصْحَابُ الْمَنْزِلِ عَنْهُ هَرَبَ عِلْمًا مِنْهُ بِمَا يَنَالُهُ مِنْهُمْ مِنَ الضَّرْبِ. وَإِذَا طَرَدُوهُ تَمَلَّقَهُمْ وَتَمَسَّحَ بِهِمْ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ يُخَلِّصُهُ التَّمَلُّقُ وَيُحَصِّلُ لَهُ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ. وَإِذَا مَرَّ الْقَأْرُ عَلَى السَّقْفِ اسْتَلْقَى يُحَرِّكُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لِيَرَاهُ الْقَأْرُ فَيَسْقُطَ مِنَ السَّقْفِ فَزَعًا. وَإِذَا صَادَ شَيْئًا مِنَ الْقَأْرِ يَلْعَبُ بِهَا زَمَانًا فَرُبَّمَا يُخَلِّيهَا حَتَّى تَمْعَنَ فِي الْهَرَبِ وَظَنَّتْ أَنَّهَا نَجَتْ. ثُمَّ يَثِبُ عَلَيْهَا وَيَأْخُذُهَا. فَلَا يَزَالُ يَخْدَعُهَا بِالسَّلَامَةِ وَيُورِثُهَا الْحَسْرَةَ وَالْأَسَفَ وَيَلْتَذُّ بِتَعْذِيبِهَا ثُمَّ

يأكلها. والسنور ثلاثة أنواع. أهلي ووحشي وسنور الزباد. وكل من الأهلي والوحشي له نفس غضوبة ويفترس ويأكل اللحم الحي. وأما سنور الزباد فهو كالسنور الأهلي لكنه أطول منه ذنبا وأكبر جثة ووبره إلى السواد أميل وربما كان أنمر. ويجلب من بلاد الهند والسند. والزباد فيه شبيه بالوسخ الأسود اللزج وهو ذفر الرائحة يخالطه طيب كطيب المسك (للدميري)

٤٢٥ (النمر). ضرب من السباع فيه شبه من الأسد إلا أنه أصغر منه. وهو ذو قوة وقهر وسطوة صادقة ووثبات شديدة وهو أعدى عدو للحيوانات. وهو ذو وشي وألوان حسنة لا يردعه سطوة أحد ولا ينصرف عن العسكر الدهم. وخلقه في غاية الضيق لا يستأنس البتة وعنده كبر وعجب بنفسه إذا شبع نام أياما فإذا انتبه جائعا خرخر شديدا يعرف ما حوله من الحيوان أنه يريد الصيد. والنمر يتعرض لكل حيوان رآه في جوعه وشبعه بخلاف الأسد فإنه لا يتعرض للحيوان إلا عند جوعه

الطيور

٤٢٦ (أبو براقش). طائر حسن الصورة طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار في حجم القلق. يتلون كل ساعة بلون آخر من أحمر وأصفر وأخضر يضرب به المثل في التنقل والتحول. قال الشاعر:

كأبي براقش كل يو م لونه يتقلب

وعلى لون هذا الطائر نسجت ثياب تسمى أبا قلمون تجلب من الروم. وعجب هذا الطائر في لونه وشكله (للقزويني)

٤٢٧ (الديك). أكثر الطيور عجبا بنفسه وهو أبله الطبيعة وعلامته حمرة العرف وغلظ الرقبة وضيق العين وسوادها وحدة المخالب ورفع الصوت. وأعظم ما فيه من العجائب معرفة الأوقات الليلية. فيقسط أصواته عليها تقسيطا لا يكاد يغادر منه شيئا سواء طال أو قصر. ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك. قال ابن المعتز يصف ديكا:

بشر بالصبح طائر هتفا هاج من الليل بعدما انتصفا
مذكرا بالصباح صاح بنا كخاطب فوق منبر وقفا
صفق إما ارتياحة لسنا الفجر وإما على الدجى أسفا

٤٢٨ (الصقر). أحد أنواع الجوارح الأربعة وهي الصقر والشاهين والعقاب والبازي وتنعت أيضا بالسباع. وهو أصبر على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء والأذى وأحسن ألفة وأشد إقداما على جملة الطير من الكركي وغيره. وصيده أعجب من جميع الجوارح فإذا أرسل صقران على ظبية أو بقر وحش ينزل أحدهما على رأسه ويضرب بجناحه عينيه ثم يقوم وينزل الآخر ويفعل مثل ذلك ويشغلانه عن المشي حتى يدركه من يبطش به. ومن العجب أن الصقر مع صغر جثته يثب على الكركي مع ضخامته (للدميري)

٤٢٩ (أَلْقُبَّرَةُ). ٱلطَّائِرُ ذُو ٱلْأَصْوَاتِ ٱلْمُطْرِبَةِ وَٱلنَّغَمَاتِ ٱللَّذِيذَةِ عَلَى رَأْسِهِ قُنْزُعَةٌ شَبِيهَةٌ بِمَا لِلطَّاوُوسِ. وَهُوَ شَدِيدُ ٱلِٱحْتِيَاطِ إِذَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ يَنْظُرُ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَوَرَاءَهُ. وَمَعَ كَثْرَةِ ٱحْتِيَاطِهِ كَثِيرُ ٱلْوُقُوعِ فِي ٱلْفَخِّ. يَتَّخِذُ عُشًّا عَجِيبًا لَهُ تَأْلِيفٌ مُعْجِبٌ. وَهُوَ أَنَّهُ يَعْمِدُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَعْوَادٍ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْكَرْمِ أَوْ شَجَرَةٍ مِثْلِهَا عَرِيضَةِ ٱلْأَوْرَاقِ. وَيَأْتِي بِحَشِيشٍ فِي غَايَةِ ٱللَّطَافَةِ وَيَنْسُجُ بَيْنَ تِلْكَ ٱلْأَعْوَادِ سُلَيْلَةً لَطِيفَةً عَجِيبَةَ ٱلتَّأْلِيفِ لَا يُمْكِنُ لِلْبَشَرِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا. وَيَدَعُ ٱلْبَيْضَةَ فِيهَا وَتَكُونُ ٱلسُّلَيْلَةُ مُسْتَتِرَةً بِأَوْرَاقِ ٱلشَّجَرِ لَا يَرَاهَا شَيْءٌ مِنْ جَوَارِحِ ٱلطَّيْرِ. حُكِيَ بَعْضُهُمْ قَالَ: كَانَ طَرَفَةُ مَعَ عَمِّهِ فِي سَفَرٍ وَهُوَ ٱبْنُ سَبْعِ سِنِينَ فَنَزَلُوا عَلَى مَاءٍ فَذَهَبَ طَرَفَةُ بِفَخٍّ لَهُ إِلَى مَكَانٍ فَنَصَبَهُ لِلْقَنَابِرِ وَبَقِيَ عَامَّةَ يَوْمِهِ لَمْ يَصِدْ شَيْئًا. ثُمَّ حَمَلَ فَخَّهُ وَعَادَ إِلَى عَمِّهِ فَرَحَلُوا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَرَأَى ٱلْقَنَابِرَ يَلْقُطْنَ مَا نَثَرَ لَهُنَّ مِنَ ٱلْحَبِّ فَقَالَ:

يَا لَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ خَلَا لَكِ ٱلْجَوُّ فَبِيضِي وَٱصْفِرِي
قَدْ رُفِعَ ٱلْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي وَنَقِّرِي مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي
قَدْ ذَهَبَ ٱلصَّيَّادُ عَنْكِ فَٱبْشِرِي لَا بُدَّ مِنْ أَخْذِكِ يَوْمًا فَٱحْذَرِي

الهوامّ والحشرات

٤٣٠ (حَيَّةٌ). إِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ ٱلْحَيَوَانَاتِ خِلْقَةً وَأَشَدِّهَا بَأْسًا وَأَقَلِّهَا غِذَاءً وَأَطْوَلِهَا عُمْرًا. قَالُوا لَيْسَ فِي حَيَوَانَاتِ ٱلْبَرِّ شَيْءٌ يَقْتُلُ نَهْشُهُ أَسْرَعَ مِنَ ٱلْحَيَّةِ وَلَا شَيْءَ يَغْتَذِي بِٱلتُّرَابِ غَيْرُهَا. وَمِنْ عَجَائِبِ ٱلْحَيَّةِ

أَنَّهَا إِذَا عَرَفَتْ أَنَّهَا مَقْتُولَةٌ أَحْرَزَتْ رَأْسَهَا بِبَدَنِهَا وَجَعَلَتْ بَدَنَهَا وِقَايَةً لِرَأْسِهَا وَلَا تَزَالُ تَنْطَوِي لِئَلَّا تَقَعَ الضَّرْبَةُ عَلَى رَأْسِهَا مِلَاكِ الْحَيَاةِ. وَلَيْسَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْحَيَّةِ إِلَّا وَجِسْمُ الْحَيَّةِ أَقْوَى مِنْهُ. وَلِذَلِكَ إِذَا أَدْخَلَتْ صَدْرَهَا فِي حُجْرٍ أَوْ صَدْعٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ إِخْرَاجَهَا مِنْهُ وَرُبَّمَا تَقَطَّعَتْ وَلَا تَخْرُجُ. وَلَيْسَ لَهَا قَوَائِمُ وَلَا أَظْفَارٌ تَتَشَبَّثُ بِهَا وَإِنَّمَا قَوِيَ ظَهْرُهَا هٰذِهِ الْقُوَّةَ لِكَثْرَةِ أَضْلَاعِهَا فَإِنَّ لَهَا ثَلَاثِينَ ضِلْعًا. وَإِذَا مَشَتْ عَلَى بَطْنِهَا فَتَدَافَعُ أَجْزَاؤُهَا وَتَسْعَى بِذَلِكَ الدَّفْعِ الشَّدِيدِ. وَلِسَانُهَا مَشْقُوقٌ فَيَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لَهَا لِسَانَيْنِ. وَتُوصَفُ بِالنَّهَمِ وَالشَّرَهِ لِأَنَّهَا تَبْتَلِعُ الْفِرَاخَ مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ كَمَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ. وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا ابْتَلَعَتْ شَيْئًا لَهُ عَظْمٌ أَتَتْ شَجَرَةً أَوْ نَحْوَهَا فَتَلْتَوِي عَلَيْهَا الْتِوَاءً شَدِيدًا حَتَّى يَتَكَسَّرَ ذٰلِكَ فِي جَوْفِهَا. وَالْحَيَّةُ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي تَكْثُرُ أَصْنَافُهَا فِي الصِّغَرِ وَالْكِبَرِ وَالتَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ وَالْهَرَبِ مِنْهُمْ. فَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا إِذَا وُطِئَهُ وَاطِئٌ وَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا إِذَا آذَاهُ النَّاسُ مَرَّةً. وَمِنْهَا الْأَسْوَدُ الَّذِي يَحْقِدُ وَيَتَمَكَّنُ حَتَّى يُدْرِكَ طَالِبَهُ. وَشَرُّ الْحَيَّاتِ الْأَفَاعِي وَمَسَاكِنُهَا الرِّمَالُ وَالْأَفْعَى حَيَّةٌ رَقْشَاءُ دَقِيقَةُ الْعُنُقِ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ. وَالْبَقَرُ الْوَحْشِيُّ يَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيعًا وَهِيَ أَعْدَى عَدُوٍّ لِلْإِنْسَانِ. قَالَ الْجَاحِظُ: الْأَفْعَى تَظْهَرُ الصَّيْفَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ وَهَجُ ظَاهِرِ الْأَرْضِ فَتَأْتِي قَارِعَةَ الطَّرِيقِ وَتَسْتَدِيرُ كَأَنَّهَا رَحًا وَيَلْصَقُ بَدَنُهَا بِالْأَرْضِ وَيَشْخَصُ رَأْسُهَا مُتَعَرِّضَةً لِأَنْ يَطَأَ

إنسانٌ أو دابّةٌ لتنهشهُ وسمُّها موتٌ سريعٌ

٤٣١ (السنجاب). حيوانٌ على حدّ اليربوع. أكبرُ من الفأر وشعرهُ في غاية النعومة يُتخذُ من جلدهِ الفراء يلبسهُ المتنعمون. وهو شديدُ الحيل إذا أبصرَ الإنسانَ صعدَ الشجرةَ العاليةَ وفيها يأوي ومنها يأكلُ. وهو كثيرٌ ببلادِ الصقالبةِ والترك ومزاجهُ حارٌّ رطبٌ لسرعةِ حركتهِ عن حركةِ الإنسان. وأحسنُ جلودهِ الأزرقُ الألماس

٤٣٢ (عقربٌ). أخبثُ الحشراتِ. تلدغُ كلَّ شيءٍ تلقاهُ ولها ثمانيةُ أرجلٍ وعينها على بطنها. وإذا لدغتْ هربتْ في الحال. وإذا خرجتْ من بيتها أولَ الليلِ تلدغُ كلَّ شيءٍ تلقاهُ من حيوانٍ أو جمادٍ وربّما ضربتِ الحجرَ والمدرَ. ومن أحسنِ ما قيلَ في ذلك:

رأيتُ على صخرةٍ عقرباً ... وقد جعلتْ ضربها ديدنا
فقلتُ لها إنها صخرةٌ ... وطبعكِ من طبعها ألينا
فقالتْ صدقتَ ولكنني ... أريدُ أعرفها من أنا

ومن عجيبِ أمرها أنها لا تضربُ الميتَ ولا النائمَ حتى يتحركَ بشيءٍ من بدنهِ فإنها عندَ ذلكَ تضربهُ. ومن شأنها أنها إذا لسعتِ الإنسانَ فرّتْ فرارَ مسيءٍ يخشى العقابَ (للدميري)

٤٣٣ (قُنفُذٌ). الحيوانُ الذي سلاحهُ على ظهرهِ وهو الشوكُ الذي عليهِ ويقبعُ بحيثُ لا يتبيّنُ من أطرافهِ شيءٌ. ويستطيبُ الهواءَ ويتخذُ لمسكنهِ بابينِ أحدهما مستقبلُ الشمالِ والآخرُ مستقبلُ الجنوبِ

وَيُعَادِي ٱلْحَيَّةَ فَإِنْ ظَفِرَ بِقَفَاهَا أَكَلَهَا بِأَسْهَلِ طَرِيقٍ وَإِنْ ظَفِرَ بِذَنَبِهَا عَضَّ ذَنَبَهَا وَقَبَعَ . وَيُعْطِي ٱلْحَيَّةَ ظَهْرَهُ فَٱلْحَيَّةُ تَضْرِبُ نَفْسَهَا عَلَى شَوْكِهِ حَتَّى تَهْلِكَ . وَيَصْعَدُ ٱلْكَرْمَ وَيَرْمِي حَبَّاتِ ٱلْعَنَاقِيدِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَتَرَعْرَعُ فِي ٱلْحَبَّاتِ لِيُدْخِلَ شَوْكَهُ فِي ٱلْحَبَّاتِ وَيَحْمِلَهَا إِلَى أَوْلَادِهِ . وَمِنْهَا صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ ٱلدُّلْدُلُ وَهُوَ أَكْبَرُ جِسْمًا مِنَ ٱلْقُنْفُذِ وَأَطْوَلُ شَوْكًا . يُشْبِهُ إِلَى ٱلْقُنْفُذِ كَنِسْبَةِ ٱلْجَامُوسِ إِلَى ٱلْبَقَرِ . قَالُوا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْمِيَ بِشَوْكِهِ حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا أَوْ عَدُوًّا يَرْمِيهِ كَرَمْيِ ٱلنُّشَّابِ وَلَا يُخْطِئُ فَتَمُرُّ ٱلشَّوْكَةُ كَمَرِّ ٱلنُّشَّابِ وَتَثْبُتُ فِيهِ

٤٣٤ (نَمْلٌ) . حَيَوَانٌ حَرِيصٌ عَلَى جَمْعِ ٱلْغِذَاءِ وَهُوَ عَظِيمُ ٱلْحِيلَةِ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْقِ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ ٱلْبَاقِينَ لِيَأْتُوا إِلَيْهِ . وَيُقَالُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْهَا رُؤَسَاؤُهَا . وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ تَحْتَكِرُ قُوتَهُ مِنْ زَمَنِ ٱلصَّيْفِ لِزَمَنِ ٱلشِّتَاءِ . وَلَهُ فِي ٱلِٱحْتِكَارِ مِنَ ٱلْحِيَلِ مَا إِنَّهُ إِذَا ٱحْتَكَرَ مَا يَخَافُ إِنْبَاتَهُ قَسَمَهُ نِصْفَيْنِ مَا خَلَا ٱلْكُسْبُرَةَ فَإِنَّهُ يَقْسِمُهَا أَرْبَاعًا لِمَا أَلْهِمَ مِنْ أَنَّ كُلَّ نِصْفٍ مِنْهَا يَنْبُتُ وَإِذَا خَافَ ٱلْعَفَنَ عَلَى ٱلْحَبِّ أَخْرَجَهُ إِلَى ظَاهِرِ ٱلْأَرْضِ وَنَشَرَهُ وَإِذَا أَحَسَّتْ بِٱلْغَيْمِ رَدَّتْهُ إِلَى مَكَانِهَا خَوْفًا مِنَ ٱلْمَطَرِ . فَإِنِ ٱبْتَلَّ شَيْءٌ مِنْهَا تَبْسُطُهُ يَوْمَ ٱلصَّحْوِ فِي ٱلشَّمْسِ . وَمِنْ عَجَائِبِهِ ٱتِّخَاذُهُ ٱلْقَرْيَةَ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ وَفِيهَا مَنَازِلُ وَدَهَالِيزُ وَغُرَفٌ وَطَبَقَاتٌ مُنْعَطِفَاتٌ يَمْلَأُهَا حُبُوبًا وَذَخَائِرَ لِلشِّتَاءِ . وَتَجْعَلُ بَعْضَ بُيُوتِهَا مُنْخَفِضًا لِيَنْصَبَّ إِلَيْهِ ٱلْمَاءُ وَبَعْضُهَا مُرْتَفِعًا لِلْحَبِّ . وَمِنْهَا أَيْضًا أَنَّهُ مَعَ لَطَافَةِ

شَخْصِهِ وَخِفَّةِ وَزْنِهِ لَهُ شَمٌّ لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ مِثْلُ ذٰلِكَ. فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ يَدِ الْإِنْسَانِ فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَى فِيهِ شَيْئًا مِنَ النَّمْلِ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يُقْبِلَ كَالْخَيْطِ الْأَسْوَدِ الْمَمْدُودِ إِلَى ذٰلِكَ الشَّيْءِ. وَيَشُمُّ رَائِحَةَ الشَّيْءِ الَّذِي لَوْ وَضَعْتَهُ عَلَى أَنْفِكَ مَا وَجَدْتَ لَهُ رَائِحَةً (للقزويني)

السمك

٤٣٥ أَلسَّمَكُ مِنْ خَلْقِ الْمَاءِ وَهُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهُ كِبَارٌ. وَمَا لَا يُدْرِكُهُ الطَّرْفُ لِصِغَرِهِ وَكُلُّهُ يَأْوِي الْمَاءَ وَيَسْتَنْشِقُهُ كَمَا يَسْتَنْشِقُ بَنُو آدَمَ وَحَيَوَانُ الْبَرِّ الْهَوَاءَ إِلَّا أَنَّ حَيَوَانَ الْبَرِّ يَسْتَنْشِقُ الْهَوَاءَ بِالْأَنْفِ وَيَصِلُ بِذٰلِكَ إِلَى قَصَبَةِ الرِّئَةِ. وَالسَّمَكُ يَسْتَنْشِقُ بِأَصْدَافِهِ فَيَقُومُ لَهُ الْمَاءُ فِي تَوَلُّدِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ فِي قَلْبِهِ مَقَامَ الْهَوَاءِ. وَإِنَّمَا اسْتَغْنَى عَنِ الْهَوَاءِ فِي إِقَامَةِ الْحَيَاةِ وَلَمْ نَسْتَغْنِ نَحْنُ وَمَا أَشْبَهَنَا مِنَ الْحَيَوَانِ عَنْهُ لِأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ الْمَاءِ وَنَحْنُ مِنْ عَالَمِ الْأَرْضِ. وَصِغَارُ السَّمَكِ تَحْتَرِسُ مِنْ كِبَارِهِ وَلِذٰلِكَ تَطْلُبُ مَاءَ الشُّطُوطِ وَالْمَاءَ الْقَلِيلَ الَّذِي لَا يَحْمِلُ الْكَبِيرَ. وَهُوَ شَدِيدُ الْحَرَكَةِ لِأَنَّ قُوَّتَهُ الْمُحَرِّكَةَ لِلْإِرَادَةِ تَجْرِي فِي مَسْلَكٍ وَاحِدٍ لَا يَنْقَسِمُ فِي عُضْوٍ خَاصٍّ. وَهٰذَا بِعَيْنِهِ مَوْجُودٌ فِي الْحَيَّاتِ. وَمِنْ جُمْلَةِ أَنْوَاعِهِ السَّقَنْقُورُ وَالدُّلْفِينُ وَالْخِرْشَفَلَى وَالتِّنِّسَاحُ. وَمِنْ أَصْنَافِهِ مَا هُوَ عَلَى شَكْلِ الْحَيَّاتِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ

٤٣٦ (الدُّلْفِينُ). دَابَّةٌ مِنَ الْبَحْرِ تُنَجِّي الْغَرِيقَ تُمَكِّنُهُ مِنْ ظَهْرِهَا لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى السِّبَاحَةِ. وَهُوَ كَثِيرٌ بِأَوَاخِرِ نِيلِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ

ٱلْمِلْحِ لِأَنَّهُ يَقْذِفُ بِهِ ٱلْبَحْرُ إِلَى ٱلنِّيلِ . وَصِفَتُهُ كَصِفَةِ ٱلزِّقِّ ٱلْمَنْفُوخِ وَلَهُ رَأْسٌ صَغِيرٌ جِدًّا وَلَيْسَ فِي دَوَابِّ ٱلْبَحْرِ مَالَهُ رِئَةٌ سِوَاهُ فَلِذٰلِكَ يُسْمَعُ مِنْهُ ٱلنَّفْخُ وَٱلنَّفَسُ . وَهُوَ إِذَا ظَفِرَ بِٱلْغَرِيقِ كَانَ أَقْوَى ٱلْأَسْبَابِ فِي نَجَاتِهِ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْفَعُهُ إِلَى ٱلْبَرِّ حَتَّى يُنَجِّيَهُ . وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ٱلسَّمَكَ . وَرُبَّمَا ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ وَهُوَ يَلِدُ وَيُرْضِعُ . وَأَوْلَادُهُ تَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ وَلَا يَلِدُ إِلَّا فِي ٱلصَّيْفِ . وَمِنْ طَبْعِهِ ٱلْأُنْسُ بِٱلنَّاسِ وَإِذَا صِيدَ جَاءَتْ دَلَافِينُ كَثِيرَةٌ لِقِتَالِ صَائِدِهِ . وَإِذَا لَبِثَ فِي ٱلْعُمْقِ حِينًا حَبَسَ نَفَسَهُ . ثُمَّ صَعِدَ مُسْرِعًا مِثْلَ ٱلسَّهْمِ لِطَلَبِ ٱلنَّفَسِ فَإِنْ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَفِينَةٌ وَثَبَ وَثْبَةً ٱرْتَفَعَ بِهَا ٱلسَّفِينَةُ (للدميري)

الباب الرابع عشر
في التاريخ

ذكر دولة الكلدانيين (من ١٩٠٠ الى ٥٣٨ قبل المسيح)

٤٣٧ ٱلْكَلْدَانِيُّونَ أُمَّةٌ قَدِيمَةُ ٱلرِّئَاسَةِ نَبِيهَةُ ٱلْمُلُوكِ . كَانَ مِنْهُمُ ٱلنَّمَارِدَةُ ٱلْجَبَابِرَةُ ٱلَّذِينَ كَانَ أَوَّلُهُمْ نُمْرُودَ مِنْ بَنِي حَامٍ بَانِي ٱلْمَجْدَلِ . وَكَانَ مِنْ وُلْدِ نُمْرُودَ بُخْتُ نَصَّرَ ٱلَّذِي غَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَسَبَى بَقِيَّتَهُمْ . وَغَزَا مِصْرَ وَٱفْتَتَحَهَا وَدَوَّخَ كَثِيرًا مِنَ ٱلْبِلَادِ (٦٠٦) . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُ ٱلْكَلْدَانِيِّينَ بِبَابِلَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمُ ٱلْفُرْسُ

وَغَلَبُوهُمْ عَلَى مَمْلَكَتِهِمْ وَأَبَادُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ فَدَرَسَتْ أَخْبَارُهُمْ وَطَمَسَتْ آثَارُهُمْ (٥٣٨). وَكَانَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِأَرْصَادِ الْكَوَاكِبِ وَتَحَقُّقٌ بِعِلْمِ أَسْرَارِ الْفَلَكِ وَمَعْرِفَةٌ مَشْهُورَةٌ بِطَبَائِعِ النُّجُومِ وَأَحْكَامِهَا. وَهُمْ نَهَجُوا لِأَهْلِ الشِّقِّ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَعْمُورِ الْأَرْضِ الطَّرِيقَ إِلَى تَدْبِيرِ الْهَيَاكِلِ لِإِظْهَارِ طَبَائِعِ الْكَوَاكِبِ بِضُرُوبِ التَّدَابِيرِ الْمَخْصُوصَةِ بِهَا. وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ مَذَاهِبِ الْكَلْدَانِيِّينَ فِي حَرَكَاتِ النُّجُومِ وَلَا مِنْ أَرْصَادِهِمْ غَيْرُ الْأَرْصَادِ الَّتِي نَقَلَهَا عَنْهُمْ بَطْلَمْيُوسُ فِي كِتَابِ الْمَجِسْطِي

ذكر الفرس ودولهم ومن اشتهر من ملوكهم

٤٣٨ أَمَّا الْفُرْسُ فَأَهْلُ الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالْعِزِّ الْبَاذِخِ وَأَوْسَطُ الْأُمَمِ دَارًا وَأَشْرَفُهُمْ إِقْلِيمًا وَأَسْوَسُهُمْ مُلُوكًا تَجْمَعُهُمْ وَتَدْفَعُ ظَالِمَهُمْ عَنْ مَظْلُومِهِمْ. وَتَحْمِلُهُمْ مِنَ الْأُمُورِ عَلَى مَا فِيهِ حَظُّهُمْ. عَلَى اتِّصَالٍ وَدَوَامٍ. وَأَحْسَنِ الْتِئَامٍ وَانْتِظَامٍ. وَخَوَاصُّ الْفُرْسِ عِنَايَةٌ بَالِغَةٌ بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ وَمَعْرِفَةٌ ثَاقِبَةٌ بِأَحْكَامِ النُّجُومِ. وَكَانَتْ لَهُمْ أَرْصَادٌ قَدِيمَةٌ وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ: أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ بَعْدَ الطُّوفَانِ كَيُومَرْثُ مِنْ بَنِي سَامٍ. وَكَانَ يَنْزِلُ فَارِسَ وَاتَّخَذَ الْآلَاتِ لِإِصْلَاحِ الطُّرُقِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ وَذَبْحِ مَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَقَتْلِ السِّبَاعِ. وَمَا زَالَ الْمُلْكُ فِي وُلْدِهِ إِلَى أَنْ مَلَكَ دَارَا الَّذِي غَزَاهُ الْإِسْكَنْدَرُ وَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ (٣٣٣). ثُمَّ مَلَكَتِ الدَّوْلَةُ الْأَشْكَانِيَّةُ وَأَوَّلُهُمْ أَشْكُ (٢٦٦ قبل المسيح) وَتُسَمَّى خُلَفَاؤُهُ بِالشَّاهِيَّةِ. وَدَامَ الْمُلْكُ فِيهِمْ إِلَى أَنْ ظَهَرَتِ الْمَمْلَكَةُ

السَّاسَانِيَّةُ (٢٢٦ للمسيح) أَوَّلُهُمْ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكَ مِنْ بَنِي كُشْتَاسَابَ فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ وَبَسَطَ الْعَدْلَ (لابي الفرج)

٤٣٩ وَاشْتَهَرَ فِي الدَّوْلَةِ السَّاسَانِيَّةِ (سَابُورُ بْنُ أَرْدَشِيرَ ٢٤١ ـ ٢٧٢) وَكَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ حَازِمًا شَخَصَ إِلَى نَصِيبِينَ فَمَلَكَهَا عَنْوَةً. فَقَتَلَ وَسَبَى وَافْتَتَحَ مِنَ الشَّامِ مُدُنًا وَأَسَرَ وَالاَرِيَانُس وَحَمَلَهُ إِلَى جُنْدَيْسَابُورَ وَيُقَالُ جَدَعَ أَنْفَهُ بَلْ قَتَلَهُ. وَيُقَالُ فِي زَمَانِهِ اسْتُخْرِجَتِ الْعُودُ وَهِيَ الْمَلْهَاةُ الَّتِي يُغَنَّى بِهَا. وَمِنْهُمْ (بَهْرَامُ بْنُ هُرْمُزَ ٢٧٦) وَكَانَ حَلِيمًا وَقُورًا وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ وَاقْتَدَى بِآبَائِهِ وَكَانَ مَانِي صَاحِبُ الْقَوْلِ بِالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ فِي أَيَّامِهِ فَجَمَعَ بَهْرَامُ الْعُلَمَاءَ لِامْتِحَانِهِ فَأَشَارُوا بِكُفْرِهِ فَقَتَلَهُ. وَمِنْهُمْ (سَابُورُ بْنُ هُرْمُزَ ٣١٠ ـ ٣٨٠). وَظَهَرَ مِنْهُ نَجَابَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ صِبَاهُ وَلَمَّا بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً انْتَخَبَ فُرْسَانَ عَسْكَرِهِ عِدَّةً وَسَارَ بِهِمْ إِلَى الْعَرَبِ وَقَتَلَ مَنْ وَجَدَهُ مِنْهُمْ. وَكَانَ يَنْزِعُ أَكْتَافَ الْأَسْرَى فَسُمِّيَ سَابُورَ ذَا الْأَكْتَافِ. وَلَمْ يَنْزِلْ بِمَاءٍ لِلْعَرَبِ إِلَّا وَغَوَّرَهُ وَلَا بِئْرٍ إِلَّا وَطَمَّهَا ثُمَّ عَطَفَ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَسَبَى حَتَّى هَادَنَهُ قُسْطَنْطِينُ. وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَ قُسْطَنْطِينُ وَبَنُوهُ. ثُمَّ مَلَكَ عَلَى الرُّومِ يُلْيَانُس وَارْتَدَّ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَقَتَلَ النَّصَارَى وَأَخْرَبَ الْكَنَائِسَ وَأَحْرَقَ الْإِنْجِيلَ. وَسَارَ إِلَى قِتَالِ سَابُورَ فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ غَرَبَ فِي فُؤَادِهِ فَقَتَلَهُ (٣٦٣). وَانْتَظَمَ الصُّلْحُ وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ. وَمِنْهُمْ (أَنُوشِرْوَانُ ٥٣١) هٰذَا

قوي بعد ضعفه بإدامة النظر وهجر الملاذ وترك اللهو. وقوى جنده بالأسلحة والكراع وعمر البلاد وردّ إلى ملكه كثيرا من الأطراف التي غلبت عليها الأمم بعلل وأسباب شتى منها السند وطخارستان ودورستان وغيرها وبنى المعاقل والحصون. ومنهم (هرمز بن أنوشروان ٥٧٩) وكان عادلا يأخذ للأدنى من الشريف وبالغ في ذلك حتى أبغضه خواصه وأقام الحق على بنيه ومحبيه وأفرط في العدل. ثم توارث بنوه الملك إلى أن ملك يزدجرد بن شهريار العادل وهو آخر ملوك الفرس. فلما ملك انتقضت عليه الدولة وتفاقمت أمورها وطلعت أعلام الإسلام بالنصرة (٦٤١) (لابي الفداء)

نظر في دولة اليونانيين وفلاسفتهم (من ٨٨٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٠ أما اليونانيون فكانوا أمة عظيمة القدر في الأمم. طائرة الذكر في الآفاق فخمة الملوك. منهم الإسكندر بن فيليفوس المقدوني (٣٣٦) الذي أجمع ملوك الأرض طرا على الطاعة لسلطانه. وكان من بعده من ملوك اليونانيين البطالسة (٣٠١ ـ ٣٠) دامت لهم الممالك وذلت لهم الرقاب. ولم يزل ملكهم متصلا إلى أن غلب عليهم الروم. وكانت بلاد اليونانيين في الربع الغربي الشمالي من الأرض... والقسم الأعظم منها في حيز المشرق والقسم الأصغر منها في حيز المغرب. ولغة اليونانيين أوسع اللغات وأجلها. وكانت عامة اليونانيين صابئة معظمة للكواكب دائنة بعبادة الأصنام. والفلاسفة

مِنهُم مِن أَرفَعِ النَّاسِ طَبَقَةً وَأَجَلِّ أَهلِ العِلمِ مَنزِلَةً لِمَا ظَهَرَ مِنهُم مِنَ الاعتِناءِ بِفُنونِ الحِكمَةِ وَمَعارِفِ السِّياساتِ المَنزِلِيَّةِ (لابي الفرج)

٤٤١ وَجَميعُ العُلومِ العَقلِيَّةِ مَأخوذَةٌ عَنِ اليونانِيّينَ مِثلُ العُلومِ المَنطِقِيَّةِ وَالطَّبيعِيَّةِ وَالإِلٰهِيَّةِ وَالرِّياضِيَّةِ. وَالعِلمُ الرِّياضِيُّ مُشتَمِلٌ عَلى عِلمِ الهَيئَةِ وَالهَندَسَةِ وَالحِسابِ وَاللُّحونِ وَالإِيقاعِ وَغَيرِ ذٰلِكَ. وَكانَ العالِمُ بِهٰذِهِ العُلومِ يُسَمّى فَيلَسوفًا وَتَفسيرُهُ مُحِبُّ الحِكمَةِ. وَمِن فَلاسِفَتِهِم (ثالِيسُ المِلطِيُّ ٦٣٩). (وَفيثاغورُسُ ٤٨٠) مِن كِبارِ الحُكَماءِ وَالفَلَكِيّينَ. كانَ يَقولُ: ما سَمِعتُ شَيئًا أَلَذَّ مِن حَرَكاتِ الأَفلاكِ وَلا رَأَيتُ شَيئًا أَبهى مِن صُورَتِها. وَمِنهُم بُقراطُ الحَكيمُ الطَّبيبُ المَشهورُ. وَمِنهُم (سُقراطُ ٤٧٠) وَكانَ حَكيمًا فاضِلًا زاهِدًا اشتَغَلَ بِالرِّياضَةِ وَأَعرَضَ عَن مَلاذِّ الدُّنيا. وَنَهى النّاسَ عَن عِبادَةِ الأَصنامِ فَثارَت عَلَيهِ العامَّةُ وَأَلجَأوا مَلِكَهُم إِلى قَتلِهِ فَحَبَسَهُ ثُمَّ سَقاهُ سُمًّا فَماتَ. وَمِنهُم (أَفلاطُونُ الإِلٰهِيُّ ٤٣٠) وَكانَ تِلميذًا لِسُقراطَ. وَلَمّا اغتيلَ سُقراطُ بِالسُّمِّ قامَ أَفلاطُونُ مَقامَهُ وَجَلَسَ عَلى كُرسِيِّهِ. وَمِنهُم أَرِسطو الشَّهيرُ (٣٨٤) وَكانَ تِلميذًا لِأَفلاطُونَ وَلَمّا صارَ عُمرُ أَرِسطو المَذكورِ سَبعَ عَشرَةَ سَنَةً أَسلَمَهُ أَبوهُ إِلى أَفلاطُونَ فَمَكَثَ عِندَهُ نَيِّفًا وَعِشرينَ سَنَةً ثُمَّ صارَ حَكيمًا مُبَرِّزًا يُشتَغَلُ عَلَيهِ. وَمِن جُملَةِ تَلامِذَةِ أَرِسطو المَلِكُ إِسكَندَرُ الَّذي مَلَكَ غالِبَ المَعمورِ مِنَ الغَربِ إِلَى الشَّرقِ وَأَقامَ الإِسكَندَرُ يَتَعَلَّمُ عَلى أَرِسطو خَمسَ سِنينَ وَبَلَغَ فيها

أحسن المبالغ ونال من الفلسفة ما لم ينل سائر تلاميذ أرسطو. ومنهم أقليدس (٣٢٠) صاحب كتاب الإستقصات المسمى باسمه وكان في أيام ملوك اليونان البطالسة. فلم يكن بعد أرسطو ببعيد. وأما بطلميوس وجالينوس فإن زمانهما متأخر عن زمن اليونان وكانا في زمن الروم وقد أدرك جالينوس زمن بطلميوس وبطلميوس هو المصنف المجسطي. ومنهم فرفوريوس (٢٦٠ للمسيح) وكان من أهل مدينة صور على البحر الرومي بالشام وكان بعد زمن جالينوس. وكان عالما بكلام أرسطو وقد فسر كتبه لما شكا إليه الناس غموضها وعجزهم عن فهم كلامه (لابن الاثير)

ملك اسكندر ذي القرنين (من ٣٣٦ الى ٣٢٣)

٤٤٢ ومن جملة ملوك اليونانيين الإسكندر بن فيليفوس المقدوني الذي أجمع ملوك الأرض طرا على الطاعة لسلطانه وملك ست سنين بعد قتله داريوش. وكان قد ملك قبل ذلك ستا أخرى وفتح بلادا كثيرة حتى بلغ ملكه إلى أقصى الهند وأوائل حدود الصين وسمي ذا القرنين لبلوغه قرني الشمس وهما المشرق والمغرب. وقتل خمسة وثلاثين ملكا وبنى اثنتي عشرة مدينة منها اثنتان في بلد خراسان وهما هراة ومرو وواحدة في بلد الصغد وهي سمرقند. وأخرى في بلد القبط وهي الإسكندرية. وفي عودته من الهند ووصوله إلى بابل مات مسموما ووضع في تابوت ذهب وحمل على أكتاف الملوك

وَالْأَشْرَافِ إِلَى إِسْكَنْدَرِيَّةِ الْقِبْطِ وَدُفِنَ بِهَا. وَبَعْدَ مَوْتِ الْإِسْكَنْدَرِ تَقَاسَمَ الْمَمَالِكَ أَرْبَعَةٌ مِنْ عَبِيدِهِ وَهُمْ بَطْلَمْيُوسُ بْنُ لَاغُوسَ وَأَرِيذَاوُسُ وَأَنْطِيُوخُوسُ وَسَلُوقُوسُ (لابي الفرج)

ذكر الرومانيين ومبادئ دولتهم الى زمان المسيحية (من ٧٥٤ الى ٥١٠ قبل المسيح)

٤٤٣ . هٰذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ أَشْهَرِ أُمَمِ الْعَالَمِ وَمَوَاطِنُهُمْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ خَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى بِلَادِ الْإِفْرَنْجَةِ فِيمَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْ شَمَالِيهِ. وَكَانَ مَقَرُّ مُلُوكِهِمْ رُومَةَ الْكُبْرَى قَبْلَ غَلَبَتِهِمْ عَلَى الْيُونَانِ. وَكَانَ الرُّومُ يَدِينُونَ بِدِينِ الصَّابِئِينَ وَلَهُمْ أَصْنَامٌ عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ يَعْبُدُونَهَا. وَكَانَ مَبْدَأُ أَمْرِهِمْ أَنَّ بُرْقَاشَ مَلِكَ اللَّطِينِيِّينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَجَازَ الْمُلْكَ إِلَى حَافِدَيْهِ وَهُمَا رُومُلُسُ وَرَامَاشُ وَاشْتُقَّ رُومُلُسُ اسْمَ رُومَةَ مِنْ اسْمِهِ (٧٥٤). وَكَانَتْ مِنْ أَحْفَلِ مُدُنِ الْعَالَمِ لَمْ تَزَلْ دَارَ مَمْلَكَةِ اللَّطِينِيِّينَ وَالْقَيَاصِرَةِ حَتَّى أَصْبَحَهُمُ الْإِسْلَامُ وَهِيَ فِي مُلْكِهِمْ. ثُمَّ بَعْدَ ابْتِنَاءِ رُومَةَ وَثَبَ رُومُلُسُ عَلَى أَخِيهِ فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ بَعْدَ قَتْلِهِ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَحْدَهُ وَاتَّخَذَ رُومُلُسُ بِرُومَةَ مَلْعَبًا عَجِيبًا. وَعُدَّ بَعْدَ رُومُلُسَ خَمْسَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ (والصحيح ستة) اغْتَصَبَ ابْنُ آخِرِهِمْ رَجُلًا فِي زَوْجِهِ فَقَتَلَتْ نَفْسَهَا. فَسَمَّ اللَّطِينِيُّونَ وِلَايَةَ الْمُلُوكِ وَأَجْمَعُوا أَنْ لَا يُوَلُّوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا وَقَدَّمُوا شُيُوخًا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ يُدَبِّرُونَ مُلْكَهُمْ. وَصَارَ هٰكَذَا أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَ الْوُزَرَاءِ (٥١٠). وَكَانَ لِلرُّومِ حُرُوبٌ مَعَ الْأُمَمِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُمْ مِنْ كُلِّ

جهة فأجازوا إلى أفريقية فملكوها وخربوا قرطاجنة ثم ملكوا جزيرة صقلية (٢٤١) ثم جزيرة الأندلس (٢٠٢) ثم حاربوا اليونانيين (١٤٦) ثم حاربوا الفرس من بعدهم واستولوا على الشام (٦٤) ومصر (٣٠)

الخبر عن تخريب قرطاجنة (من ٢٦٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٤ كان بناء قرطاجنة قبل بناء رومة بثنتين وسبعين سنة (والصحيح بمائة وثلاث سنين) على يدي ديدن. وكان بها أمير يسمى ملكون وهو الذي بعث إلى الإسكندر بطاعته عند استيلائه على طرسوس. ثم صار ملك أفريقية إلى أملقار من ملوكهم فافتتح صقلية وهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين بسبب أهل سردانية. ثم وقعت السلم بينهم ثم ولي بقرطاجنة أملقار ابنه أنيبل فأجاز إلى بلاد الإفرنج وغلبهم على بلادهم وزحف إليه قواد رومة فوالى عليهم الهزائم وبعث أخاه أشدربال إلى الأندلس فملكها وخالفه قواد الرومانيين إلى أفريقية بعد أن ملكوا من حصون صقلية أربعين أو نحوها ثم أجازوا إلى أفريقية فملكوها وقتلوا خليفة أنيبل فيها وافتتحوا مدينة جرذا. وخرج آخرون من قواد رومة إلى الأندلس فهزموا أشدربال واتبعوه إلى أن قتلوه (٢٠٧). وفر أخوه أنيبل عن بلادهم بعد ثلاث عشرة سنة من إجازته إليهم وبعد أن حاصر رومة وأثخن في نواحيها. فلحق بأفريقية ولقيه قواد أهل رومة الذين أجازوا إلى أفريقية فهزموه. وحاصروه بقرطاجنة حتى سأل الصلح

عَلَى أَنْ يَغْرَمَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافِ قِنْطَارٍ مِنَ الْفِضَّةِ فَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ وَسَكَنَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ. ثُمَّ ظَاهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِيبَلُ صَاحِبُ أَفْرِيقِيَةَ مُلُوكَ السُّرْيَانِيِّينَ عَلَى حَرْبِ أَهْلِ رُومَةَ فَهَلَكَ فِي حَرْبِهِمْ مَسْمُومًا (١٨٣). وَبَعْدَ أَنْ تَخَلَّصَ أَهْلُ رُومَةَ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ رَجَعُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَمَلَكُوهَا ثُمَّ أَجَازُوا الْبَحْرَ إِلَى قَرْطَاجَنَّةَ فَفَتَحُوهَا وَقَتَلُوا مَلِكَهَا وَخَرَّبُوهَا (١٤٦) (لابن خلدون)

حال اللطينيين الى وفاة اوغسطس (من ١٤٦ قبل المسيح الى ١٤ بعد المسيح)

٤٤٥ وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ هٰؤُلَاءِ اللَّطِينِيِّينَ رَاجِعًا إِلَى الْوُزَرَاءِ مُنْذُ سَبْعِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ عَهْدِ رُومَةَ تَقْتَرِعُ الْوُزَرَاءُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَخْرُجُ قَائِدٌ مِنْهُمْ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَا تُوجِبُهُ الْقُرْعَةُ فَيُحَارِبُونَ أُمَمَ الطَّوَائِفِ وَيَفْتَحُونَ الْمَمَالِكَ. حَتَّى إِذَا هَلَكَ الْإِسْكَنْدَرُ وَافْتَرَقَ أَمْرُ الْيُونَانِيِّينَ وَفَشِلَتْ رِيحُهُمْ وَقَعَتْ فِتْنَةُ هٰؤُلَاءِ اللَّطِينِيِّينَ مَعَ أَهْلِ أَفْرِيقِيَةَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. وَمَلَكُوا الْأَنْدَلُسَ وَمَلَكُوا الشَّامَ وَأَرْضَ الْحِجَازِ وَقَهَرُوا الْعَرَبَ بِالْحِجَازِ. وَافْتَتَحُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَسَرُوا مَلِكَهَا يَوْمَئِذٍ مِنَ الْيَهُودِ وَهُوَ أَرِسْطَابُولُسُ ثَامِنُ مُلُوكِ بَنِي حَشْمَنَايَ وَغَرَّبُوهُ إِلَى رُومَةَ. إِلَى أَنْ خَرَجَ يُولُسُ قَيْصَرُ وَمَعْنَاهُ شُقَّ عَنْهُ لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَلِدَهُ فَشَقُّوا بَطْنَهَا وَأَخْرَجُوهُ فَلُقِّبَ قَيْصَرَ وَصَارَ لَقَبًا لِمُلُوكِ الرُّومِ. فَسَارَ إِلَى جِهَةِ الْأَنْدَلُسِ وَحَارَبَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْإِفْرَنْجِ إِلَى أَنْ مَلَكَ بِرِطَانِيَةَ وَإِشْبُونَةَ وَرَجَعَ إِلَى رُومَةَ. وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ

أُكتَبيان أغسطس ابن أخيه . وكان للشيوخ نائب بناحية الشرق يقال له فمفيوس . فلما بلغه ذلك زحف بعساكره إليه . فخرج إليه يوليوس فهزمه (٤٨) ثم رجع إلى رومة وشعر الوزراء أنه يروم الاستبداد عليهم فقتلوه (٤٤) . فزحف أكتبيان ابن أخيه من الأندلس فأخذ بثاره وملك برومة (٤٢) . ثم عصى أنطونيوس على أغسطس وانهزم إلى مصر بسبب عشقه قلاوفطرا . فخرج أغسطس في السنة الثانية عشرة من ملكه من رومة بعساكر عظيمة في البر والبحر وسار إلى الديار المصرية وأسر ولدي قلاوفطرا المسمى أحدهما شمسا والآخر قمرا وقتلهما . ولما سمع أنطونيوس وقلاوفطرا بقتل الولدين وكانا محاصرين في بعض الحصون شربا سما وماتا (٣٠) . ولما ملك أغسطس ديار مصر والشام دخل بنو إسرائيل تحت طاعته كما كانوا تحت طاعة البطالسة فولى أغسطس ببيت المقدس على اليهود واليا منهم وكان يلقب بهيرودس . وفي أيام أغسطس ولد المسيح لثنتين وأربعين من ملكه (لابن العميد بتصرف)

دولة القياصرة بني اغسطس (١٤ — ٦٩)

٤٤٦ ثم ولي من بعد أغسطس طباريوش قيصر وكان جائرا واستولى على النواحي . وعلى عهده كان شأن المسيح وبغى اليهود عليه وأقام الحواريون من بعده واليهود يخبسونهم ويضطهدونهم . ثم افترقوا في الآفاق لإقامة الدين وحمل الأمم على عبادة الله . ومات طباريوش

لِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ (٣٧). ثُمَّ مَلَكَ غَايُسُ قَيْصَرُ (٣٧ ـ ٤١) وَأَمَرَ أَنْ تُنْصَبَ الْأَصْنَامُ فِي مَحَارِيبِ الْيَهُودِ وَوَثَبَ عَلَيْهِ بَعْضُ قُوَّادِهِ فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ قُلُودِيُوشُ (٤١ ـ ٥٤) وَوَقَعَتْ فِي أَيَّامِهِ شِدَّةٌ عَلَى النَّصَارَى وَقُتِلَ يَعْقُوبُ أَخُو يُوحَنَّا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ وَحُبِسَ شَمْعُونُ الصَّفَا. ثُمَّ خَلَصَ وَسَارَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ وَأَقَامَ بِهَا وَدَعَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ. ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى رُومَةَ وَدَبَّرَهَا وَنَصَبَ فِيهَا الْأَسَاقِفَةَ. وَتَنَصَّرَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ فَغَضِبَتِ النَّصَارَى. وَلَقِيَ الَّذِينَ بِالْقُدْسِ شَدَائِدَ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فَثَارَ الْيَهُودُ عَلَى مَنْ كَانَ بِالْمَقْدِسِ مِنَ النَّصَارَى وَقَتَلُوا أَسْقُفَهُمْ وَهَدَمُوا الْبِيعَةَ. وَأَخَذُوا الصَّلِيبَ وَالْخَشَبَتَيْنِ وَدَفَنُوهَا إِلَى أَنِ اسْتَخْرَجَتْهَا هِيلَانَةُ أُمُّ قُسْطَنْطِينَ. وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِ قُلُودِيُوشَ ابْنُهُ نِيرُونُ وَهُوَ خَامِسُ الْقَيَاصِرَةِ وَكَانَ غَشُومًا فَاسِقًا وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ سِيمُونُ السَّاحِرُ بِرُومَةَ. وَبَلَغَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ رُومَةَ أَخَذُوا بِدِينِ الْمَسِيحِ فَنَكَّرَ ذَلِكَ وَقَتَلَهُمْ حَيْثُ وَجَدُوا. وَقُتِلَ بُطْرُسُ مِنْ بَعْدِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مَضَتْ لِبُطْرُسَ فِي كُرْسِيِّهَا وَهُوَ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ وَرَسُولُ الْمَسِيحِ إِلَى رُومَةَ (٦٦). وَقُتِلَ مَرْقُسُ الْإِنْجِيلِيُّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ لِثَنْتَيْ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِ نِيرُونَ وَبَعَثَ نِيرُونُ قَائِدَهُ إِسْبَاشِيَانُوسَ وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْيَهُودِ وَخَرَابِ الْقُدْسِ. ثُمَّ إِنَّ نِيرُونَ قَيْصَرَ انْتَقَضَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ. فَرَجَعَ أَهْلُ أَرْمِينِيَةَ إِلَى طَاعَةِ الْفُرْسِ وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ أَهْلُ بِرْطَانِيَةَ

مِنْ جِهَةِ ٱلْجَوْفِ. فَبَعَثَ شُوَاطِيَانُسَ فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي ٱلْعَسَاكِرِ وَغَلَبَهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ. ثُمَّ ثَارَ بِنِيرُونَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ فَقَتَلُوهُ (٦٨) وَمَلَّكُوا غَلْبَانَ فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ أَشْهُرًا وَقَتَلُوهُ غِيلَةً وَقَدَّمُوا عِوَضَهُ أُتُونَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ خَلَعُوهُ وَمَلَّكُوا بَطَالِسَ وَكَانَ رَدِيَّ ٱلسِّيرَةِ. وَبَلَغَ إِسْبَاشِيَانُوسَ مَوْتُ نِيرُونَ وَهُوَ يُحَاصِرُ ٱلْقُدْسَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِٱلِٱنْصِرَافِ إِلَى رُومَةَ وَبَشَّرَهُ يُوسُفُ بْنُ كَرْبُونَ وَكَانَ أَسِيرًا عِنْدَهُ بِٱلْمُلْكِ فَٱنْطَلَقَ إِلَى رُومَةَ وَخَلَّفَ ٱبْنَهُ طِيطُسَ عَلَى حِصَارِ ٱلْقُدْسِ. وَٱنْقَطَعَ مُلْكُ آلِ يُولُسَ قَيْصَرَ لِمِائَةٍ وَسِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ مَبْدَإِ دَوْلَتِهِمْ وَٱسْتَقَامَ مُلْكُ إِسْبَاشِيَانُوسَ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِ ٱلرُّومِ وَتَسَمَّى قَيْصَرَ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ (٦٩) (لابن خلدون بتصرف واختصار)

دولة فلابيوس اسباشيانوس وبنيه الفلابيين (٦٩ — ٩٦)

٤٤٧ وَمَلَكَ إِسْبَاشِيَانُوسُ عَشْرَ سِنِينَ وَهُوَ بَنَى قُوقُلُسَ أَيْ مَنَارَةَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ طُولُهَا مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ خُطْوَةً. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِهِ ٱفْتَتَحَ طِيطُسُ ٱبْنُهُ مَدِينَةَ أُورَشَلِيمَ وَقَتَلَ فِيهَا زُهَاءَ سِتِّينَ أَلْفَ نَفْسٍ وَسَبَى نَيِّفًا وَمِائَةَ أَلْفِ نَفْسٍ وَمَاتَ فِيهَا مِنَ ٱلْجُوعِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَٱلْبَاقُونَ تَشَتَّتُوا فِي ٱلْبِلَادِ وَدَعَثَرَهَا وَأَخْرَبَ هَيْكَلَهَا. وَتَمَّتْ نُبُوَّةُ يَعْقُوبَ حَيْثُ قَالَ: لَنْ تُفْقَدَ هِرَاوَةُ ٱلْمُلْكِ مِنْ يَهُوذَا وَلَا ٱلْمُنْذِرُ أَيِ ٱلنَّبِيُّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ مَنْ لَهُ ٱلْغَلَبَةُ وَإِيَّاهُ تَتَوَقَّعُ ٱلشُّعُوبُ. وَتَمَّ أَيْضًا مَا أَنْذَرَ بِهِ ٱلْمُخَلِّصُ مُخَاطِبًا لِأُورَشَلِيمَ: أَنَّهُ سَيَأْتِي أَيَّامٌ تُحِيطُ

بِكِ أَعْدَاؤُكِ وَيَكْسُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ. وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ صَلْبِ ٱلْمَسِيحِ (٧٠)

وَذَكَرَ يُوسِيفُوسُ ٱلْعِبْرِيُّ أَنَّهُ ظَهَرَ قَبْلَ خَرَابِ أُورَشَلِيمَ عَلَامَاتٌ فَظِيعَةٌ وَذٰلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فَوْقَ ٱلْمَدِينَةِ نَجْمٌ طَوِيلٌ كَثِيفٌ مِنْ نَارٍ يَلْمَعُ. وَأَبْوَابُ ٱلنُّحَاسِ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَى بَابِ ٱلْهَيْكَلِ وَلَمْ تَكُنْ تُغْلَقُ وَتُفْتَحُ دُونَ ٱجْتِمَاعِ عِشْرِينَ رَجُلًا وُجِدَتْ نِصْفَ ٱللَّيْلِ مَفْتُوحَةً مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ. وَكَانُوا عَامَّةَ ٱلسَّنَةِ يَسْمَعُونَ فِي ٱلْهَيْكَلِ أَصْوَاتًا مُخْتَلِفَةً تَقُولُ: إِنَّا سَنَنْتَقِلُ مِنْ هُنَا

وَلَمَّا مَلَكَ طِيطُسُ بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ رَجَعَ ٱلنَّصَارَى ٱلَّذِينَ كَانُوا عَبَرُوا إِلَى ٱلْأُرْدُنِّ فَبَنَوْا كَنِيسَةً بِٱلْمَقْدِسِ وَسَكَنُوا وَكَانَ ٱلْأُسْقُفُ فِيهِمْ شِمْعَانَ بْنَ كَلَاوُفَا وَهُوَ ٱلثَّانِي مِنْ أَسَاقِفَةِ ٱلْمَقْدِسِ. ثُمَّ هَلَكَ إِسْبَاسِيَانُوسُ لِتِسْعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَمَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ طِيطُسُ قَيْصَرُ سَنَتَيْنِ وَكَانَ مُتَفَنِّنًا فِي ٱلْعُلُومِ مُلْتَزِمًا لِلْخَيْرِ عَارِفًا بِٱللِّسَانِ ٱلْغَرِيقِيِّ وَٱللَّطِينِيِّ. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ لِمُلْكِهِ ٱنْشَقَّ جَبَلٌ بِٱلرُّومِ وَخَرَجَ مِنْهُ شُهُبُ نَارٍ أَحْرَقَتْ مُدُنًا كَثِيرَةً وَوَقَعَ بِرُومَةَ حَرِيقٌ كَثِيرٌ. ثُمَّ مَلَكَ دُومِطْيَانُوسُ قَيْصَرُ (٨١–٩٦) وَنَفَى مِنْ رُومَةَ ٱلْمُنَجِّمِينَ وَأَصْحَابَ ٱلزَّجْرِ وَٱلْفَأْلِ وَٱلْعِيَافَةِ وَٱلطِّيَرَةِ وَأَمَرَ أَنْ لَا يُغْرَسَ بِرُومَةَ كَرْمُ ٱلْبَتَّةَ. ثُمَّ ٱضْطَهَدَ ٱلنَّصَارَى ٱضْطِهَادًا شَدِيدًا وَمَعَ هٰذَا كَانَ ٱلنَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱلْمَسِيحِ أَفْوَاجًا وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ تَمَسُّكًا أَشَدَّ. وَٱسْتَنَارَ

فطرفيلس المحصل واختار اتباع النصارى بالسيرة الحسنة وترك الدنيا وملاذها يفيدهم الأيد بالقول والعمل . وفي هذا الزمان عرف أفولونيس الطلسماطيقي وكان يضاد التلاميذ بأفاعيله المخالفة لأفاعيل المسيح ويقول : الويل لي ان سبقني ابن مريم . ونفى دومطيانوس يوحنا الإنجيلي إلى بعض الجزائر وكتب إليه ديونوسيوس أسقف أثينا كتابا يقول فيه: لا يعترينك الضجر والملل فإنه لا يطول سجنك فالله يعمل لك الخلاص فألهم نفسك بالصبر . وبعد قليل قتل دومطيانوس قيصر على بساطه في مجلسه (لابن العبري وابن العميد بتصرف)

دولة الانطونيين (٩٦ — ١٩٣)

٤٤٨ وملك بعده نروا وأحسن السيرة وأمر برد من كان منفيا من النصارى وخلاهم ودينهم فرجع يوحنا الإنجيلي إلى أفسس بعد ست سنين . ولم يكن له ولد فعهد بالملك إلى طريانس من عظماء قواده فولي بعده (٩٨) وتسمى قيصر وقتل شمعان بن كلاوفا أسقف بيت المقدس . واغناطيوس أسقف أنطاكية رمي للسباع (١٠٧) . وتتبع أئمتهم بالقتل واستعبد عامتهم وفيلينوس صاحب الشرط لما عجز من قتل النصارى لكثرتهم طالع قيصر أن أهل هذا المذهب عاملون بجميع سنن الفلاسفة غير أنهم لا يكرمون الأصنام . فأمر قيصر أن لا يجد في أذاهم إلا إذا وجد منهم من يتفوه بسب الآلهة فليدن .

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى طَرْيانُوسَ خارِجِيٌّ بِبابِلَ فَهَلَكَ فِي حُرُوبِهِ

٤٤٩ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَدْرِيانُوسُ (١١٧) وَفِي الرَّابِعَةِ مِنْ مُلْكِهِ بَطَلَ الْمُلْكُ مِنَ الرُّهَا وَتَداوَلَتْهَا الْقُضَاةُ مِنَ الرُّومِ. وَبَنَى أَدْرِيانُوسُ بِمَدِينَةِ أَثِينَا بَيْتًا وَرَتَّبَ فِيهِ جَمَاعَةً مِنَ الْحُكَمَاءِ لِمُدَارَسَةِ الْعُلُومِ. وَبَلَغَ أَدْرِيانُوسَ أَنَّ الْيَهُودَ يَرُومُونَ الِانْتِقَاضَ وَأَنَّهُمْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْكَوْكَبِ أَضَلَّ الْيَهُودَ مُدَّعِيًا أَنَّهُ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ كَالْكَوْكَبِ لِيُخَلِّصَهُمْ مِنْ عُبُودِيَّةِ الرُّومِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْعَسَاكِرَ وَتَتَبَّعَهُمْ بِالْقَتْلِ وَخَرَّبَ مَدِينَتَهُمْ حَتَّى عَادَتْ صَحْرَاءَ. وَأَمَرَ أَنْ لَا يَسْكُنَهَا يَهُودِيٌّ وَأَسْكَنَ الْيُونَانَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. وَكَانَ هٰذَا الْخَرَابُ لِخَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً مِنْ خَرَابِ طِيطُسَ الَّذِي هُوَ الْجَلْوَةُ الْكُبْرَى. وَامْتَلَأَ الْقُدْسُ مِنَ الْيُونَانِ. وَكَانَتِ النَّصَارَى يَتَرَدَّدُونَ إِلَى مَوْضِعِ الْقَبْرِ وَالصَّلِيبِ. فَمَنَعَهُمُ الْيُونَانُ مِنَ الصَّلَاةِ وَبَنَوْا هُنَالِكَ هَيْكَلًا عَلَى اسْمِ الزُّهَرَةِ

وَخَلَفَ أَدْرِيانُوسَ طِيطُوسُ أَنْطُنِيانُسُ قَيْصَرُ الْمُسَمَّى بَارًّا وَأَبَا الْبَلَدِ (١٣٨) وَأَزَالَ عَنِ النَّصَارَى الِاضْطِهَادَ وَأَبَاحَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَدَيَّنُوا بِأَيِّ دِينٍ شَاؤُوا. وَفِي هٰذَا الزَّمَانِ نَبَغَ فِي الْبِيعَةِ مِنَ الْمُخَالِفِينَ شَخْصٌ اسْمُهُ وَالِنْطِيانُوسُ. وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ الْمَسِيحَ أَنْزَلَ مَعَهُ جَسَدًا مِنَ السَّمَاءِ وَاجْتَازَهُ بِمَرْيَمَ كَاجْتِيَازِ الْمَاءِ بِالْمِيزَابِ أَيْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا. وَظَهَرَ رَجُلٌ يُسَمَّى مَرْقِيُونَ وَقَالَ إِنَّ الْآلِهَةَ ثَلَاثَةٌ عَادِلٌ وَصَالِحٌ وَشِرِّيرٌ. وَلَمَّا رَأَى الصَّالِحُ الْعَالِمَ قَدِ انْجَذَبَ إِلَى جِهَةِ الشِّرِّيرِ أَرْسَلَ ابْنَهُ لِيَدْعُو

النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ أَبِيهِ الصَّالِحِ فَأَتَى وَنَسَخَ التَّوْرَاةَ الْمُتَضَمِّنَةَ سُنَّةَ الْعَدْلِ بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي هُوَ مُتَضَمِّنٌ سُنَّةَ الْفَضْلِ. فَلَمَّا أَظْهَرَ مَرْقِيُونُ هٰذِهِ الْخُزَعْبِلَةَ وَعَظَتْهُ الْأَسَاقِفَةُ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ خُزَعْبِلَتِهِ وَتَمَادَى فِي أَبَاطِيلِهِ فَنَفَوْهُ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَصَارَ لُعْنَةً (لهما بتصرُّف)

٤٥٠ لَمَّا هَلَكَ أَنْطُونِيُوسُ لِثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ مَرْقُوسُ أُورَالِيُوسُ (١٦١). وَكَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ مَعَ أَهْلِ فَارِسَ وَبَعْدَ أَنْ غَلَبُوا عَلَى أَرْمِينِيَةَ وَسُورِيَّةَ مِنْ مَمَالِكِهِ فَدَفَعَهُمْ عَنْهُمَا وَغَلَبَهُمْ فِي حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ. وَأَصَابَ الْأَرْضَ عَلَى عَهْدِهِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ وَقَحْطُ النَّاسُ وَاسْتَسْقَى لَهُمُ النَّصَارَى فَأُمْطِرُوا وَارْتَفَعَ الْوَبَاءُ وَالْقَحْطُ بَعْدَ أَنْ كَانَ اشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى (والصحيح أَنَّ ذلك وقع في بعض حروب اوريليوس) وَمَعَ كُلِّ هٰذَا قَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَهِيَ الشِّدَّةُ الرَّابِعَةُ مِنْ بَعْدِ نِيرُونَ. وَوَلِيَ مَكَانَهُ قُومُذُوسُ ابْنُهُ وَمَاتَ مُخْتَنِقًا (١٨٠ـ١٩٢). وَفِي هٰذَا الْوَقْتِ ظَهَرَ فِي بِلَادِ آسِيَا مُنْطَانُسُ الْقَائِلُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ الْفَارَقْلِيطُ الَّذِي وَعَدَ الْمَسِيحُ أَنْ يُوَجِّهَهُ إِلَى الْعَالَمِ (لابن خلدون)

دولة القياصرة السوريين (١٩٢ — ٢٣٥)

٤٥١ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ فَرْطِينَخُوسُ وَمُلْكُهُ بِاتِّفَاقِ الْمُؤَرِّخِينَ شَهْرَانِ وَقَتَلَهُ بَعْضُ قُوَّادِهِ. ثُمَّ وَلِيَ سُورِيَانُوسُ (١٩٣ـ٢١٢) وَاشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى الشِّدَّةَ الْخَامِسَةَ وَفَتَكَ فِيهِمْ. وَاعْتَسَفَهُمْ بِالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ وَالْأَكْلِ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ. ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ غَزْوِهِ الصَّقَالِبَةَ. وَفِي أَيَّامِهِ بَحَثَتِ

ٱلْأَسَاقِفَةَ عَنْ أَمْرِ ٱلْفِصْحِ وَأَصْلَحُوا رَأْسَ ٱلصَّوْمِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ أَنْطُونِيُسُ (كَرَكَلَا) فَقُتِلَ لِسِتِّ سِنِينَ لِمُلْكِهِ مَا بَيْنَ حَرَّانَ وَٱلرُّهَا . (٢١٨) ثُمَّ مَلَكَ أَلْيُوغَالِي أَرْبَعَ سِنِينَ . ثُمَّ مَقْرِينُ وَقَتَلَهُ قُوَّادُ رُومَةَ لِسَنَةٍ مِنْ مُلْكِهِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ٱلْإِسْكَنْدَرُوسُ (٢٢٢ ـ ٢٣٥) وَكَانَتْ أُمُّهُ مَامَا نَصْرَانِيَّةً وَكَانَتِ ٱلنَّصَارَى مَعَهُ فِي سَعَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ مِنْ مُلْكِ هٰذَا ٱلْإِسْكَنْدَرُوسِ قَيْصَرَ ٱبْتَدَأَتْ مَمْلَكَةُ ٱلْفُرْسِ ٱلْأَخِيرَةُ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِبَيْتِ سَاسَانَ . ثُمَّ ثَارَ أَهْلُ رُومَةَ عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ

الحكم الفوضوي (٢٣٥ — ٢٦٨)

٤٥٢ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ مَخْشِمْيَانُ (٢٣٥) وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ ٱلْمُلْكِ وَإِنَّمَا وَلَّوْهُ لِأَجْلِ حَرْبِ ٱلْإِفْرَنْجِ . وَٱشْتَدَّ عَلَى ٱلنَّصَارَى ٱلشِّدَّةَ ٱلسَّادِسَةَ مِنْ بَعْدِ نِيرُونَ . وَقُتِلَ ٱلشَّهِيدَيْنِ سَرْجِيُوسَ فِي سَلَمْيَةَ وَبَاخُوسَ فِي بَالِسَ عَلَى ٱلْفُرَاتِ وَقُوفِرْيَانُسَ ٱلْأَسْقُفَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ هَلَكَ مَخْشِمْيَانُ وَمَلَكَ بَعْدَهُ غُرْدِيَانُوسُ قَيْصَرُ (٢٣٨) وَطَالَتْ حُرُوبُهُ مَعَ ٱلْفُرْسِ وَكَانَ ظَافِرًا عَلَيْهِمْ وَقَتَلَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى نَهْرِ ٱلْفُرَاتِ . ثُمَّ مَلَكَ فِيلِبُّوسُ قَيْصَرُ سِتَّ سِنِينَ وَآمَنَ بِٱلْمَسِيحِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ ٱلرُّومِ فَأَحْسَنَ إِلَى ٱلنَّصَارَى ثُمَّ رَامَ ٱلْإِجْتِمَاعَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسْقُفُ : لَا يُمْكِنُكَ ٱلدُّخُولُ إِلَى ٱلْبِيعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ عَنِ ٱلْمَحَارِمِ وَتَقْتَصِرَ عَلَى زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ ذَوَاتِ ٱلْقُرْبَى . فَكَانَ يَحْضُرُ وَقْتَ ٱلصَّلَاةِ وَيَقِفُ خَارِجَ ٱلْبِيعَةِ مَعَ ٱلَّذِينَ أَلِفُوا ٱلدِّينَ وَلَمْ يَكْمُلُوا فِيهِ بَعْدُ .

وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِمُلْكِهِ ظَهَرَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ الْبِدَعِ قَائِلِينَ إِنَّ مَنْ كَفَرَ بِلِسَانِهِ وَأَضْمَرَ الْإِيمَانَ بِقَلْبِهِ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ. وَفِي هٰذَا الزَّمَانِ بَدَأَتْ أَعْمَالُ الرُّهْبَانِ عَلَى يَدَيْ أَنْطُونِيُوسَ وَفُولِي الْمِصْرِيَّيْنِ. وَهُمَا أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ لُبْسَ الصُّوفِ وَالتَّخَلِّيَ فِي الْبَرَارِي. ثُمَّ مَلَكَ ذُوقِيُوسُ قَيْصَرُ (٢٤٩) وَلِبُغْضِهِ فِيلِبُّوسَ قَيْصَرَ الْمُحْسِنَ إِلَى النَّصَارَى عَادَاهُمْ وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ جِدًّا وَهِيَ الشِّدَّةُ السَّابِعَةُ. فَكَفَرَ كَثِيرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ قُتِلَ فَقَدَّمُوا التَّوْبَةَ. وَكَانَ نَاباطِيسُ الْقِسِّيسُ لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ قَائِلًا: إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ أَخْطَأَ فَزَيَّفَ الْأَسَاقِفَةُ تَعْلِيمَهُ. وَفِي زَمَانِ ذُوقِيُوسَ كَانَ الْفِتْيَةُ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فَأَلْقَى اللهُ عَلَيْهِمْ سُبَاتًا إِلَى يَوْمِ انْبِعَاثِهِمْ مِنْ رُقَادِهِمْ فِي أَيَّامِ تَاوُدَاسِيُوسَ. وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ الْقُوطُ مِنْ بِلَادِهِمْ وَتَغَلَّبُوا عَلَى بِلَادِ الْغَرِيقِيِّينَ ثُمَّ وَلِيَ وَالِرْيَانُوسُ وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَلَقِيَ النَّصَارَى مِنْهُ شِدَّةً. ثُمَّ سَارَ فِي عَسَاكِرِ الرُّومِ لِغَزْوِ الْفُرْسِ فَانْهَزَمَ وَحُمِلَ أَسِيرًا إِلَى كِسْرَى بَهْرَامَ فَقَتَلَهُ. فَوَلِيَ ابْنُهُ غَلِينُوسُ (٢٦٠) وَأَزَالَ الِاضْطِهَادَ عَنِ النَّصَارَى خَوْفًا مِمَّا نَزَلَ بِأَبِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ

دولة القياصرة الإيريين الى قسطنطين الملك (٢٦٨ — ٣٠٧)

٤٥٣ ثُمَّ مَلَكَ أَقْلُوذِيُوسُ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ (٢٦٨) وَفِي مُلْكِهِ ظَهَرَتْ بِدْعَةُ بُولُسَ الصَّمَيْصَاطِيِّ. وَكَانَ يُنْكِرُ أَنَّ الْمَسِيحَ كَلِمَةُ اللهِ وَأَنَّهُ قَدْ (وُلِدَ) مِنْ عَذْرَاءَ. وَذَكَرَ أُوسَابِيُوسُ الْمُؤَرِّخُ عَنْ هٰذَا بُولُسَ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِامْرَأَةٍ يَهُودِيَّةٍ اسْمُهَا زَيْنَبُ رَأَسَهَا قَيْصَرُ عَلَى الشَّامِ. وَكَانَتْ تَسْتَحْسِنُ

عِلْمَهُ وَكَلَامَهُ وَفَوَّضَتْ إِلَيْهِ بَطْرَكِيَّةَ أَنْطَاكِيَةَ . فَاجْتَمَعَ الْأَسَاقِفَةُ وَرَدُّوا مَقَالَتَهُ وَحَرَمُوهُ وَأَتْبَاعَهُ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أُورِيلِيَانُسُ (٢٧٠ ـ ٢٧٥) وَحَارَبَ الْقُوطَ فَظَفِرَ بِهِمْ وَجَدَّدَ بِنَاءَ رُومَةَ . وَاشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى تَاسِعَةً بَعْدَ نِيرُونَ وَهَمَّ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ. وَفِي هٰذَا الزَّمَانِ عُرِفَ مَانِي الثَّنَوِيُّ هٰذَا كَانَ يُظْهِرُ النَّصْرَانِيَّةَ ثُمَّ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ وَسَمَّى نَفْسَهُ مَسِيحًا . وَكَانَ يَقُولُ بِعِلْمِ الثَّنَوِيَّةِ . وَهُوَ أَنَّ لِلْعَالَمِ إِلٰهَيْنِ أَحَدُهُمَا خَيْرٌ وَهُوَ مَعْدِنُ النُّورِ وَالْآخَرُ شَرٌّ وَهُوَ مَعْدِنُ الظُّلْمَةِ . فَقَتَلَهُ سَابُورُ وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَحَشَاهُ تِبْنًا وَصَلَبَهُ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي الدَّعَاوِيَ الْعَظِيمَةَ وَعَجَزَ عَنْ إِبْرَاءِ ابْنِهِ مِنْ مَرَضٍ عَرَضَ لَهُ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أُورِيلِيَانُسَ قَارُوسُ ثُمَّ فُرُوفُسُ وَقُتِلَ بِسِرْمِينَ ثُمَّ قَارُوسُ. وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِمُلْكِهِ قُتِلَ قُزْمَا وَدَمْيَانِي الشَّهِيدَانِ ثُمَّ أَبْرِقَ فَاسْتَظْلَمَهُ وَمَاتَ . ثُمَّ اسْتَبَدَّ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ بِالْمُلْكِ (٢٨٤ ـ ٣٠٥) وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْأَمْرِ مَخْشِمْيَانَ وَكَانَ مُقِيمًا بِرُومَةَ . وَلِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِهِ عَصَى عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَسَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ رُومَةَ وَغَلَبَهُمْ وَأَنْكَى فِيهِمْ . وَانْتَقَضَ عَلَى دِيُوقْلَاسِيَانُوسَ أَهْلُ مَمَالِكِهِ وَثَارَ الثُّوَّارُ بِبِلَادِ الْإِفْرَنْجَةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَأَفْرِيقِيَّةَ . فَدَفَعَ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ إِلَى هٰذِهِ الْحُرُوبِ كُلِّهَا مَخْشِمْيَانَ هِرْكُولِيسَ وَصَيَّرَهُ قَيْصَرَ . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ مَخْشِمْيَانُ صِهْرَهُ قُسْطَنْطِسَ فَمَضَى إِلَى الْأَلْمَانِيِّينَ فِي نَاحِيَةِ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ فَظَفِرَ بِهِمْ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ . ثُمَّ أَمَرَ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ بِغَلْقِ كَنَائِسِ

النصارى بإغراء مخشميان وكان أشد كفرا منه. ولقي النصارى منهما شدة وقتل ماري جرجس وكان من أكابر أبناء البطارقة. وفي عاشرة ملكه قدم ماري بطرس بطركا بالإسكندرية. ثم قام بعد موته تلميذه إسكندروس وكان كبير تلامذته آريوش كثير المخالفة له. وفي أيام ديوقلاسيانوس رأى قسطنطش هيلانة وكانت تنصرت على يد أسقف الرها فأعجبته وتزوجها. وولدت له قسطنطين فأجمع ديوقلاسيانوس على قتله فهرب إلى الرها. ثم جاء بعد موت ديوقلاسيانوس فوجد أباه قسطنطش قد ملك على الروم فتسلم الملك من يده (لابن العميد)

ملك قسطنطين (٣٠٦–٣٣٧)

٤٥٤ ثم استعد قسطنطينوس لغزو مكسنطيس بن مخشميان لأنه عصى ولم يبايعه وغلب على رومة. وكان قسطنطينوس يتفكر إلى أي الآلهة يلجئ أمره في هذا الغزو. فبينما هو في هذا الفكر رفع رأسه إلى السماء نصف النهار فرأى راية الصليب في السماء مثال النور وكان فيه مكتوب: أن بهذا الشكل تغلب. فصاغ له صليبا من ذهب وكان يرفعه في حروبه على رأس الرمح. ثم إنه غزا رومة فخرج إليه مكسنطيس ووقع في نهر فاختنق. فافتتح قسطنطينوس مدينة رومة واعتمد في هذا الوقت برومة من اليهود وعبدة الأصنام زهاء اثني عشر ألف نفس خلا النساء والصبيان (٣١٢). ثم حصل لقسطنطينوس برص. فأشار عليه خدم الأصنام أن يذبح أطفال

ٱلْمَدِينَةِ وَيَغْتَسِلَ بِدِمَائِهِمْ فَيَبْرَأَ مِنْ مَرَضِهِ . فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْأَطْفَالِ لِيَذْبَحَهُمْ فَصَارَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ فَأَحْجَمَ عَنْ قَتْلِهِمْ . وَفِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ رَأَى فِي مَنَامِهِ بُطْرُسَ وَبُولُسَ يَقُولَانِ لَهُ : وَجِّهْ إِلَى سِلْوِسْطُرُسَ أُسْقُفِ رُومَةَ فَجِئْ بِهِ فَهُوَ يُبْرِئُ مَرَضَكَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجَّهَ فِي طَلَبِهِ فَأَتَوْهُ بِهِ وَوَعَظَ ٱلْمَلِكَ وَأَوْضَحَ لَهُ سِرَّ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ فَتَعَمَّدَ وَذَهَبَ مَرَضُهُ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ كَنَائِسِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَهْدُومَةِ (٣١٣) . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ لِمُلْكِهِ أَمَرَ فَبُنِيَ لِبُوزَنْطِيَةَ سُورٌ فَزَادَ فِي سَاحَتِهَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ وَسَمَّاهَا قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَنَقَلَ ٱلْمُلْكَ إِلَيْهَا (لابي الفرج)

ثُمَّ شَخَصَتْ هِيلَانَةُ أُمُّ قُسْطَنْطِينَ لِزِيَارَةِ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ . فَسَأَلَتْ عَنْ مَوْضِعِ ٱلصَّلِيبِ فَأَخْبَرَهَا مَقَارِيُوسُ ٱلْأُسْقُفُ أَنَّ ٱلْيَهُودَ أَهَالُوا عَلَيْهِ ٱلتُّرَابَ وَٱلزِّبْلَ . ثُمَّ ٱسْتُخْرِجَتْ ثَلَاثَةٌ مِنَ ٱلْخَشَبِ وَسَأَلَتْ أَيَّتُهَا خَشَبَةُ ٱلْمَسِيحِ . فَقَالَ لَهَا ٱلْأُسْقُفُ : عَلَامَتُهَا أَنَّ ٱلْمَيِّتَ يَحْيَا بِمَسِيسِهَا فَصَدَّقَتْ ذٰلِكَ بِتَجْرِبَتِهَا . وَٱتَّخَذَ ٱلنَّصَارَى ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ عِيدًا لِوُجُودِ ٱلصَّلِيبِ . وَبَنَتْ عَلَى ٱلْمَوْضِعِ كَنِيسَةَ ٱلْقُمَامَةِ وَأَمَرَتْ مَقَارِيُوسَ ٱلْأُسْقُفَ بِبِنَاءِ ٱلْكَنَائِسِ (رواه ابن خلدون عن ابن الراهب)

مجمع نيقية (٣٢٥)

٤٥٥ وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ كَانَ بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِسْكَنْدَرُوسُ ٱلْبَطْرَكُ وَكَانَ بِمَعْهَدِهِ آرِيُوشُ . وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى حُدُوثِ ٱلِٱبْنِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَ ٱلْخَلْقَ بِتَفْوِيضِ ٱلْآبِ إِلَيْهِ فِي ذٰلِكَ . فَمَنَعَهُ إِسْكَنْدَرُوسُ

ٱلدُّخولَ إلى ٱلكَنيسةِ وأعلَمَ أنَّ إيمانَهُ فاسِدٌ . وكَتَبَ بذٰلكَ إلى سائرِ ٱلأساقفةِ وٱلبَطاركةِ في ٱلنَّواحي وفَعَلَ ذٰلكَ بأسقُفَينِ آخَرَينِ على مِثلِ رأيِ آريُوشَ . فرَفَعوا أمرَهُم إلى قُسطَنطينَ وأحضَرَهُم جميعًا لتِسعَ عشرَةَ مِن دَولَتِهِ وتَناظَروا . ولَمّا قالَ آريُوشُ إنَّ ٱلإبنَ حادِثٌ وإنَّ ٱلآبَ فَوَّضَ إليهِ بالخَلقِ . وقالَ ٱلإسكَندَروسُ ٱلخَلقُ ٱستَحَقَّ ٱلأُلوهيَّةَ فٱستَحسَنَ قُسطَنطينُ قَولَهُ وأذِنَ لهُ أن يُشيدَ بكُفرِ آريُوشَ . وطَلَبَ ٱلإسكَندَروسُ ٱجتِماعَ ٱلنَّصرانيَّةِ لتَحريرِ ٱلمُعتَقَدِ ٱلإيمانيِّ . فجَمَعَهُم قُسطَنطينُ وكانوا ثَلاثَ مِائةٍ وثَمانيَةَ عَشَرَةَ أُسقُفًا وذٰلكَ في مَدينَةِ نيقيَةَ فسُمِّيَ ٱلمُجتَمَعُ مُجتَمَعَ نيقيَةَ . وكانَ رَئيسُهُم ٱلإسكَندَروسُ بَطرَكُ إسكَندريَّةَ ومقاريوسُ أُسقُفُ بَيتِ ٱلمَقدِسِ . وبَعَثَ سُلطوسُ (سلوسطروس) بَطرَكُ رُومَةَ بقِسّيسٍ حَضَرَ معَهُم لذٰلكَ نيابَةً عَنهُ . فتَفاوَضوا وتَناظَروا وٱتَّفَقوا على رأيٍ واحِدٍ . فصارَ قُسطَنطينُ إلى قَولِهِم وأعطى سَيفَهُ وخاتَمَهُ وبارَكوا عليهِ ووَضَعوا لهُ قَوانينَ ٱلدينِ وٱلمُلكِ . ونَفَى آريُوشَ . وكَتَبوا ٱلعَقيدَةَ ٱلَّتي ٱتَّفَقَ عليها أهلُ ذٰلكَ ٱلمُجتَمَعِ (لابن خلدون)

قسطنطين في مجمع نيقية

٤٥٦ وكانَ في هٰذا ٱلمُجتَمَعِ أُسقُفٌ يُرى رأيَ نَاباطيسَ . فقالَ لهُ ٱلمَلِكُ : لِمَ لا تُوافِقُ ٱلجُمهورَ في قَبولِ مَن تابَ عَن مَعاصيهِ مُنيبًا إلى ٱللهِ . فأجابَهُ ٱلأُسقُفُ : إنَّهُ لا مَغفِرَةَ لِمَن فَرَطَت مِنهُ كَبيرَةٌ بَعدَ ٱلإيمانِ

وَٱلْعِمَادِ بِدَلِيلِ قَوْلِ فُولُسَ ٱلرَّسُولِ حَيْثُ يَقُولُ: لَا يَسْتَطِيعُ ٱلَّذِينَ ذَاقُوا كَلِمَةَ ٱللهِ أَنْ يَدْنَسُوا بِٱلْخَطِيئَةِ لِيَطْهُرُوا بِٱلتَّوْبَةِ ثَانِيَةً. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ هَازِئًا بِهِ: إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا تَزْعَمُ فَٱنْصِبْ لَكَ سُلَّمًا لِتَرْقَى فِيهِ وَحْدَكَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ. وَنَهَضَ بَعْضُ ٱلْأَسَاقِفَةِ فَرَفَعَ إِلَى ٱلْمَلِكِ كِتَابًا فِيهِ سِعَايَةٌ بِبَعْضِ ٱلْأَسَاقِفَةِ. فَلَمَّا قَرَأَهُ ٱلْمَلِكُ أَمَرَ أَنْ يُحْرَقَ ٱلْكِتَابُ بِٱلنَّارِ وَقَالَ: لَوْ وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ ٱلْكَهَنَةِ فِي رِيبَةٍ لَسَتَرْتُهُ بِأَرْجُوَانِيَّتِي

موت قسطنطين وملك بنيه

٤٥٧ وَلَمْ يَزَلْ دِينُ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ يَظْهَرُ وَيَقْوَى إِلَى أَنْ دَخَلَ فِيهِ أَكْثَرُ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُجَاوِرَةِ لِلرُّومِ مِنَ ٱلْجَلَالِقَةِ وَٱلصَّقَالِبَةِ وَٱلرُّوسِ وَٱللَّانِ وَٱلْأَرْمَنِ وَٱلْكُرْجِ وَجَمِيعِ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ ٱلْقِبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَجُمْهُورِ أَصْنَافِ ٱلسُّودَانِ مِنَ ٱلْحَبَشَةِ وَٱلنُّوبَةِ وَسِوَاهُمْ. وَآمَنَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ أَصْنَافٌ مِنَ ٱلتُّرْكِ أَيْضًا. وَبَنَى قُسْطَنْطِينُوسُ بِيعَةً عَظِيمَةً بِٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَسَمَّاهَا أَجِيَا صُوفِيَا أَيْ حِكْمَةَ ٱلْقُدُّوسِ. وَبِيعَةً أُخْرَى عَلَى ٱسْمِ ٱلسَّلِيحِيِّينَ. وَبَنَى بِيعَةً بِمَدِينَةِ بَعْلَبَكَّ. وَبَنَى بِأَنْطَاكِيَةَ هَيْكَلًا ذَا ثَمَانِي زَوَايَا عَلَى ٱسْمِ ٱلسَّيِّدَةِ. وَفِي أَيَّامِهِ غَزَا سَابُورُ بِلَادَ ٱلرُّومِ فَنَهَضَ قُسْطَنْطِينُوسُ لِمُحَارَبَتِهِ. وَعِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى نِيقُومُوذِيَا أَدْرَكَتْهُ ٱلْمَنِيَّةُ وَفِي مَرَضِهِ قَسَّمَ ٱلْمُلْكَ عَلَى أَوْلَادِهِ ٱلثَّلَاثَةِ وَمَلَّكَ ٱلْكَبِيرَ ٱلْمُسَمَّى بِٱسْمِهِ قُسْطَنْطِينُوسَ عَلَى بِلَادِ إِفْرَنْجَةَ. وَرَتَّبَ ٱلْآخَرَ ٱلْمُسَمَّى قُسْطَنْسِيُوسَ عَلَى مِصْرَ وَٱلشَّامِ وَمَا بَيْنَ ٱلنَّهْرَيْنِ وَأَرْمِينِيَةَ. وَرَتَّبَ ٱلصَّغِيرَ ٱلْمُسَمَّى

قُسطَنطِس عَلَى رُومَةَ وَإِسبَانِيَا وَمَا يَلِيهَا مِن نَاحِيَةِ ٱلمَغرِبِ . ثُمَّ إِنَّ قُسطَنسِيُوس صَارَ إِلَى نِيقُومُوذِيَا فَأَخَذَ جَسَدَ أَبِيهِ فَحَنَّطَهُ . وَوَضَعَهُ فِي صُندُوقِ ذَهَبٍ وَحَمَلَهُ إِلَى قُسطَنطِينِيَّةَ وَوَضَعَهُ فِي هَيكَلِ ٱلسَّلِيحَينِ . وَفِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ صَعِدَ سَابُورُ مَلِكُ ٱلفُرسِ فَغَزَا نَصِيبِينَ لَمَّا بَلَغَهُ وَفَاةُ قُسطَنطِينُوسَ ٱلقَاهِرِ فَحَاصَرَهَا ثَلَاثِينَ يَوماً وَرَجَعَ عَنهَا إِلَى مَمْلَكَتِهِ خَائِبًا وَذٰلِكَ بِدُعَاءِ مَارِي يَعقُوبَ أُسقُفِهَا وَمَارِي إِفرَامَ تِلمِيذِهِ . فَإِنَّ ٱللهَ ٱستَجَابَ دُعَاءَهُ وَأَرسَلَ عَلَى جَيشِ ٱلفُرسِ بَقًّا وَهَمَجًا هَزَمَ فِيلَتَهُم . ثُمَّ إِنَّ سَابُورَ ٱضطَهَدَ ٱلنَّصَارَى ٱلَّذِينَ فِي بُلطَانِهِ جِدًّا . أَمَّا قُسطَنطِينُوسُ وَهُوَ ٱلأَخُ ٱلكَبِيرُ فَقُتِلَ فِي حَربٍ وَقَعَ بَينَهُ وَبَينَ أَخِيهِ ٱلصَّغِيرِ قُسطَنطِس صَاحِبِ رُومَةَ وَخَلَّفَ ٱبنَينِ غَالُوس وَيُولِيَانُوس . ثُمَّ بَعدَ قَلِيلٍ قُتِلَ قُسطَنطِسُ صَاحِبُ رُومَةَ . وَأَمَّا ٱلأَخُ ٱلأَوسَطُ قُسطَنسِيُوسُ صَاحِبُ مِصرَ وَٱلشَّامِ فَنَصَبَ غَالُوسَ مَلِكًا عَلَى قُسطَنطِينِيَّةَ مَكَانَ أَبِيهِ . فَعَصَى عَلَى عَمِّهِ فَسَيَّرَ عَمُّهُ عَلَيهِ جَيشًا وَقَتَلَهُ غِيلَةً . ثُمَّ مَاتَ أَيضًا قُسطَنسِيُوسُ وَٱستَقَلَّ يُولِيَانُسُ بِٱلمُلكِ (لابي الفرج)

٤٥٨ ثُمَّ مَلَكَ يُولِيَانُس قَيصَرُ (٣٦١) وَسُمِّيَ ٱلمَارِقَ لِأَنَّهُ خَلَعَ رِبقَةَ ٱلنَّصرَانِيَّةِ مِن عُنُقِهِ وَعَبَدَ ٱلأَصنَامَ . وَلِذٰلِكَ وَثَبَ ٱلوَثَنِيُّونَ عَلَى ٱلنَّصَارَى وَوَقَعَ بَينَهُم بَلَاءٌ عَظِيمٌ بِٱلإِسكَندَرِيَّةِ وَقُتِلَ مِنَ ٱلمَكَانَينِ خَلقٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ إِنَّ يُولِيَانُوسَ ٱلمَلِكَ مَنَعَ ٱلنَّصَارَى مِنَ ٱلِٱشتِغَالِ فِي شَيءٍ مِن كُتُبِ ٱلفَلسَفَةِ . وَسَلَبَ آنِيَةَ ٱلكَنَائِسِ وَٱلدِّيُورَةِ وَٱستَصفَى

مَالَ مَنْ لَمْ يُطِعْهُ مِنَ النَّصَارَى فِي أَكْلِ ذَبَائِحِ الْأَصْنَامِ وَأَهْلَكَ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ الْفُرْسِ وَدَخَلَ عَلَى أَفُولُونَ الْحَبْرِ الْخَادِمِ لِلصَّنَمِ لِيَسْتَعْلِمَ مِنْهُ هَلْ يَنْجَحُ فِي غَزْوِهِ أَمْ لَا. فَحَكَمَ لَهُ أَنَّهُ يَقْهَرُ أَعْدَاءَهُ عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ فَاسْتَكْبَرَ لِذَلِكَ يُولِيَانُوسُ وَصَالَ جِدًّا. وَجَمَعَ جُيُوشَهُ وَغَزَا الْفُرْسَ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ وَأَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا نَكَسَ رَأْسَهُ سَاجِدًا لِآلِهَةِ الْحَرَّانِيِّينَ فَسَقَطَ تَاجُهُ عَنْ رَأْسِهِ وَصَرَعَ فَرَسُهُ الَّذِي كَانَ تَحْتَهُ فَقَالَ لَهُ خَادِمُ الصَّنَمِ: إِنَّ النَّصَارَى الَّذِينَ مَعَكَ هُمْ جَلَبُوا عَلَيْكَ هٰذِهِ الْبَلَايَا. فَأَسْقَطَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ زُهَاءَ عِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ. وَسَارَ حَتَّى وَافَى الْمَدَائِنَ وَلَمَّا نَشِبَ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفُرْسِ عَلَى الدِّجْلَةِ صَارَ يَسِيرُ فِي صُفُوفِ مُقَاتِلِيهِ وَيُنَشِّطُهُمْ لِلْحَرْبِ. فَرَمَاهُ بَعْضُ الْفُرْسِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ جَنْبَهُ فَسَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ. وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَعَذَّبُ أَخَذَ مِلْءَ حُفْنَتِهِ دَمًا مِنْ دَمِهِ فَرَشَّهُ فِي الْجَوِّ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: إِنَّكَ غَلَبْتَنِي يَا ابْنَ مَرْيَمَ فَرِثْ مَعَ مُلْكِ السَّمَاءِ مُلْكَ الْأَرْضِ

ملك يوفيانس (٣٦٣) وولنطنيانس ووالنس (٣٦٤)

٤٥٩ لَمَّا قُتِلَ يُولِيَانُوسُ الْمَارِقُ بَقِيَ عَسْكَرُ الرُّومِ بِغَيْرِ مَلِكٍ وَكَانَ مُقَدَّمُ الْعَسَاكِرِ يُوفِيَانُوسَ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَبَايَعُوهُ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ وَجَرَى الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفُرْسِ. وَلَمَّا وَلِيَ نَزَلَ لِلْفُرْسِ عَنْ نَصِيبِينَ وَنَقَلَ الرُّومَ الَّذِينَ بِهَا إِلَى آمِدَ. وَرَجَعَ إِلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِمْ فَرَدَّ الْأَسَاقِفَةَ إِلَى الْكَنَائِسِ وَرَجَعَ فِيمَنْ رَجَعَ أَثَنَاسِيُوسُ

بَطْرَكُ إِسْكَنْدَرِيَّةَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ أَمَانَةَ أَهْلِ مَجْمَعِ نِيقِيَةَ . فَجَمَعَ الْأَسَاقِفَةَ وَكَتَبُوهَا وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِلُزُومِهَا ثُمَّ إِنَّ يُوفِيَانُسَ (٤٥٩) هَلَكَ بِالْفَالِجِ لِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مُلْكِهِ . وَافْتَرَقَ الْقُوطُ فِي أَيَّامِهِ فِرْقَتَيْنِ عَلَى مَذْهَبِ آرِيُوشَ وَأَمَانَةِ نِيقِيَةَ . وَفِي أَيَّامِهِ وَلِيَ دَامَاشُ بَطْرَكًا بِرُومَةَ . وَلِنْطِينَانُ مَلَكَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً وَوَلَّى وَالَنْشَ أَخَاهُ عَلَى الْمَشْرِقِ وَكَانَ شَرِيكَهُ فِي الْمُلْكِ . ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِأَهْلِ أَفْرِيقِيَّةَ فَأَجَازَ إِلَيْهِمِ الْبَحْرَ وَحَارَبَهُمْ فَظَفِرَ بِالثَّائِرِ وَقَتَلَهُ بِقَرْطَاجَنَّةَ وَرَجَعَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَحَارَبَ الْقُوطَ وَالْأُمَمَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهَلَكَ فِي حُرُوبِهِمْ فَاسْتَقَلَّ وَالَنْشُ وَحْدَهُ بِالْمُلْكِ . وَكَانَ وَلِنْطِينَانُ يَدِينُ بِالْأَمَانَةِ وَوَالَنْشُ يَدِينُ بِمَذْهَبِ آرِيُوشَ . فَاشْتَدَّ عَلَى أَهْلِ الْأَمَانَةِ وَقَتَلَهُمْ . وَبَعْدَ وَفَاتِهِ عُقِدَ الْمَجْمَعُ الثَّانِي بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ (٣٨١) (لابن العميد)

تتمّة تاريخ الروم الى ظهور الملّة الاسلاميّة

ملك اغراتيانوس (٣٧٥) وتاوداسيوس (٣٧٩)

٤٦٠ ثم ملك بعده أغراتيانوس قيصر سنة واحدة وأشرك معه في ملكه رجلاً اسمه تاوداسيوس واستعمله على المشرق فملك الكثير منها ثم همّ خارجيٌّ على أغراتيانوس فقتله . فاستقلّ تاوداسيوس بملك القياصرة سبع عشرة سنة وردّ جميع ما نفاه والَنْش قبله من الاساقفة الى كرسيهم وخلّى كل واحد مكانه . وفي السنة الخامسة لملكه خرج عليه مكسيموس الخارجيّ فوجّه اليه جيوشاً فقتل . وكان لتاوداسيوس ولدان أرقاذيوس وأونوريوس . ولمّا كبرا وضعهما تحت تدبير أرسانيوس . ثمّ هرب أرسانيوس الى مصر وترهّب . فرغّبوه بالمال فأبى وأقام في مغارة بالجبل المقطّم حتى مات . فبنى أرقاذيوس على قبره كنيسة . ثم ولّى تاوداسيوس قبل وفاته أرقاذيوس على القسطنطينيّة وأونوريوس على رومة (٣٩٥) (للمسبحي)

ملك ارقاذيوس (٣٩٥—٤٠٨) وانوريوس (٣٩٥—٤٢٣)

٤٦١ أرقاذيوس قيصر ملَك ثلاث عشرة سنةً وفي أيامهِ قام يوحنَّا فم الذهب بطركًا على قسطنطينيَّة . ووضع تفسير الإنجيل وهو ابن ثماني وعشرين سنةً . ومنع الكهنة من أُمورٍ كثيرةٍ من الفساد فحسدوهُ وجعلوا يطلبون عليهِ عثرةً . ونهى للملكة أُودكسيا امرأة أرقاذيوس عن اختلاسها كرم امرأةٍ أرملةٍ . ولاحها أيت رشقها في بعض خطبهِ ذات يومٍ وشبَّهها بإيزَبل امرأة آحاب ملك اسرائيل التي أخذت كرمًا ايضًا من أرملةٍ . فركبت يومًا من الأيام وأخذت معها تسعةً وعشرين أسقفًا ممَّن عادى يوحنَّا فم الذهب واجتمعوا بمدينة خلقيدونية . وحرموهُ وأسقطوهُ من مرتبتهِ بحجَّة أنهُ لم يدع النظر في كتب أوريغانيس فاضطرب أهلُ القسطنطينيَّة لذلك وهمّوا باحراق دار الملك فخافهم الملك وبعث الى فم الذهب وردَّهُ الى مرتبتهِ . فلمَّا رجع رفع تمثالًا كان للملكة بالقرب من الكنيسة . وخطب ذات يومٍ وسمَّى الملكة هيروذيا أي الملكة التي قتلت يحيى بن زكريَّا المعمدان . فغضبت غضبًا شديدًا ووجَّهت الى بعض الأساقفة فجمعتهم الى قسطنطينيَّة فحرموهُ ثانيًا ونفَوهُ . وكان ذلك في السنة الثامنة لأرقاذيوس. فنُفي الى بلدةٍ بعيدةٍ فتُوفّي هناك لثماني واربعين سنةً من عمرهِ . وثارت الفتن بين الروم والمصريين بسبب عظام يوحنَّا فم الذهب حتى اتوا بها بعد ثلاث وثلاثين سنةً لموتهِ . فدفنوها بقسطنطينيَّة وأثبتوا اسمهُ في سفر الحياة مع باقي الآباء القدّيسين . ثم ان ارقاذيوس مات وهو ابن ثلاثين سنةً وخلَّف ابنهُ تاودوسيوس ابن ثماني سنين (لابي الفرج)

تاودوسيوس الاصغر (٤٠٨—٤٥٠) ومرقيان (٤٥٠—٤٥٧)

٤٦٢ وملَك من بعدهِ تاودوسيوس الأصغر وفي زمانهِ كثر النصارى في سلطان الفُرس وظهرت النصرانيَّة جدًّا على يدي مروثا أُسقف ميَّافارقين الذي أُرسِل من تاودوسيوس الصغير الى الفُرس . وفي السنة العاشرة لتاودوسيوس الصغير عُرِف شمعون صاحب العمود بأنطاكية وكان يُظهر الآيات والعجائب . وكان في هذا الزمان مار إسحاق تلميذ مار إقرام صاحب الميامر المنظومة . وفي هذا الزمان انبعث أصحاب الكهف من رقدتهم التي رقدوا على عهد ديقيانوس الملك . فخرج تاودوسيوس الملك مع أساقفةٍ وقسّيسين وبطارقةٍ فنظر اليهم وكلَّموهم فلمَّا انصرفوا من عندهم ماتوا في مواضعهم . وانتقض لعهدهِ قومس أفريقية وخالف طاعة القياصرة فحدثت بافريقية فتنة لذلك . ثم زحف القوط الى رومة وفرَّ عنها أنوريوس فحاربوها ودخلوها عَنوةً واستباحوها ثلاثًا وتجافوا عن أموال الكنائس . ثم صالحوا الروم على أن يكون لهم الأندلس فانقلبوا اليها وتركوا رومة . وفي السابعة عشرة من ملك تاودوسيوس قدم نسطوريوس بطركًا بالقسطنطينيَّة فاقام أربع سنين وظهرت عنهُ العقيدة التي دان بها . وكان يقول باتحاد المشيَّة دون نفس الكلمة فبلغت مقالتهُ الى كيرلُّوس بطرك الإسكندريَّة فخاطب

في ذلك بطرك رومة وأنطاكية وبيت المقدس ثمَّ اجتمعوا بمدينة أفَس في مائتي أسقف وأجمعوا على كفر نسطوريس ونفوه (٤٣١) . وأخذ بمقالته نصارى الجزيرة والموصل الى الفرات ثمَّ العراق وفارس الى المشرق . ثمَّ ملك مرقيان بعده ستَّ سنين وتزوَّج أخت تاودوسيوس الصغير . وكان في أيَّامه المجمع الرابع بخلقيدونية . وأنهُ كان بسبب ديسقرس بطرك الإسكندريَّة وما أحدث من البدعة في الامَّة . فقالوا بالطبيعتين والأقنوم الواحد واجمعوا على نفيه . وافترقت النصارى الى مَلكيَّة . وهم أهل الأمانة فنُسبوا الى مرقيان قيصر الملك . والى يعقوبيَّة وهم أهل مذهب ديسقرس . وانما دُعوا يعاقبة نسبةً الى بعض تلامذة ديسقرس اسمهُ يعقوب كان يطوف البلاد داعياً الى مقالة ديسقرس . والى نُسطوريَّة وهم نصارى المشرق . ثم ملك بعد مرقيان لاون الكبير (٤٥٧) ثم لاونطيوس (٤٧٥) ثم زينون (٤٧٦) وكان يعقوبياً

ملك انسطاس (٤٩١) ويوسطينوس (٥١٨) ويوسطينيانس (٥٢٧)

٤٦٣ أنسطاس قيصر ملك سبعاً وعشرين سنةً . وفي أوَّل ملكهِ قتل كثيرين من صبيان المكتب لأنَّهم همجوهُ . واجاز البربرُ من المغرب الى رومة وغلبوا عليها . وفي السنة الثالثة لهُ بُنيت دارا التي فوق نصيبين . ثمَّ إنَّ أنسطاس الملك أراد أن يوضع في البيعة قول المؤمنين في صلواتهم : إنَّك صُلبت من أجلنا . فاضطرب أهل القسطنطينيَّة كلهم وأخذوا الحجارة ليرجموهُ بها . فهالهُ أمرهم وجبن عنهم . فوضع تاجهُ عن راسهِ قائلاً : اني انتهي الى أمركم فيما تُريدون . فكفَّ الشعب عنهُ . ثم ملك يوسطينوس قيصر تسع سنين وكان أصلهُ من رومة . هذا أصلح جميع البيَع وردَّ كل مَن نفاهُ الملوك قبلهُ . وفي السنة السابعة لملكهِ اقتتل الروم والفرس على شاطيء الفرات وغرق من الروم خلق كثير . وفي هذه السنة سقط ثلج كثير وجليد وأفسد عامَّة الأشجار مع الكروم . وبعد سنةٍ قلَّت الأمطار وعزَّت الغلاَّت ونقص الماء في الينابيع ثمَّ تبع ذلك حرٌّ قويٌّ ووباءٌ شديدٌ ودام ستَّ سنين . وفي السنة التاسعة من ملكهِ أشرك نعمهُ في المُلك يوسطينيانس الصغير وكان ابن أُختهِ وبعد ثلاثة اشهر مات وفي هذا الوقت غزا كسرى ملك الفرس مدينة الرُّها وقتل فيها خلقاً كثيرًا . ثمَّ ملك بعده يوسطينيانس قيصر ثماني وثلاثين سنةً . وفي ثالثة ملكهِ غزا الفرس بلادَ الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة . وزحف كسرى في آخرها للثاني من مُلك يوسطينيانس ومعهُ المُنذِر ملك العرب فبلغ الرها وغلب الروم وغرق من الفريقين في الفرات خلق كثير . وحمل الفرس أسارى الروم وسباياهم ثمَّ وقع الصلح بينهما . وفي خمسٍ وثلاثين من ملك يوسطينيانس عهد بان يُتخذ عيد الميلاد في خامسٍ وعشرين من كانون الأوَّل وعيد الدنح لستَّة أيَّام من كانون الأخير . فامتثلوا أمرهُ خلا الأرمن فانَّهم داوموا على تعييد العيدَين في يومٍ واحدٍ . وكانت كنيسة بيت لحم صغيرةً فامر بان يُوسَّع فيها فبُنيت كما هي لهذا العهد . وفي عهدهِ كان المجمع الخامس بقسطنطينيَّة (٥٥٣)

ثم ملك بعده بوسطينوس قيصر (٦٦٥) ثم طيباريوس (٥٧٨)

موريقي (٥٨٢) وفوقاس (٦٠٢) وهرقل (٦١٠ — ٦٤١)

٦٦٤ موريقي قيصر ملك عشرين سنة . وكان حسن السيرة سهل المعاملة كثير الصدقة . وكان في كل سنة يحيّ طعاماً للفقراء والمساكين ستين مرّة ويقوم هو وزوجته من ملكها فيتولّيان خدمتهم وإطعامهم وإسقاءهم . وفي السنة الرابعة لموريقي عرض وباء شديد بقسطنطينيّة ومات من أهلها زهاء أربع مائة ألف نفس . ولعهده انتقض على هرمز كسرى قريبهُ بَهرام وخلعهُ واستولى على ملكه وقتلهُ . وسار ابنهُ أبَرويز الى موريقي قيصر صريخاً . فمث معهُ العساكر وردَّ أبَرويز الى ملكه وقتل بهرام الخارج عليه . وبعث اليه بالهدايا والتحف كما فعل ابوهُ من قبلهِ مع القياصرة وخطب أبَرويز من موريقي قيصر ابنتهُ مريم فزوَّجهُ إياها وبعث معها من الجهاز والأنعمة والأقمشة ما يضيق عنهُ الحصر . ثم وثب على موريقي بعض ماليكه بداخلة قريبهِ البطريق فوقاس فدسَّهُ عليهِ فقتلهُ وملك على الروم وتسمّى قيصر . وقتل أولاد موريقي . وبلغ أبرويز كسرى ما جرى على موريقي وأولادهِ . فجمع عساكرهُ وقصد بلاد الروم ليأخذ ثار صهرهِ وبعث عساكرهُ مع مرزبانهِ خزرويه الى القدس وعهد اليهِ بقتل اهلها وخراب البلد . وجاء بنفسهِ في عساكر الفرس الى القسطنطينيّة وحاصرها وضيَّق عليها . ولمَّا خزرويه المرزبان فسار الى الشام وخرَّب البلاد . واجتمع يهود طبرية والخليل وناصرة وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس . فنهبوا الأموال وأخذوا قطعةً من الصليب وعادوا الى كسرى بالسبي وفيهم زخريا بطرك المقدس . ولما انتهى أبرويز في حصار القسطنطينيّة نهايتهُ وضيَّق عليها اجتمع البطارقة بملوقيا وبعثوا السفن مشحونةً بالأقوات مع بَرَقْل احد بطارقة الروم ففرحوا بهِ ومالوا اليهِ وداخلهم في المُلك . وثاروا على فوقاس سبب هذه الفتنة وقتلوهُ . وملَّكوا هرقل فارتحل أبرويز عن القسطنطينيّة راجعاً الى بلادهِ . وملك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة وكان ملكهُ أوَّل سنة من الهجرة . وفي السابعة للهجرة بعث عساكر الفرس ومقدَّمهم مرزبانهُ شهربار قد وَنخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينيّة ثم تعيَّر لهُ . فكتب الى المرازبة معهُ بالقبض عليهِ واتَّفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث بهِ الى شهربار فانتقض ومن معهُ وطلبوا هرقل في المُدد فخرج معهم بنفسهِ في ثلاث مائة ألف من الروم وأربعين ألفاً من التركان وسار الى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدائنهم التي كان ملكها كسرى من قبل وفيها افتتح أرمينية . ثم سار الى الموصل فلقيهُ جموع الفرس وقائدهم المرزبان فانهزموا . وقُتل وأُجفل أبرويز عن المدائن واستولى هرقل على ذخائر ملكهم . وكان شيرويه بن كسرى محبوساً فأخرجهُ شهربار وأصحابهُ وملَّكوهُ وعقدوا مع هرقل الصلح واسترجع الصليبَ (لابن العميد)

تمَّ بحولهِ تعالى

فهرس الجزء الثاني من كتاب مجاني الادب

	وجه
الباب الاوّل في التدين	٣
في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه	٣
تنزيه الخالق تعالى	٤
عظمة الخالق	٥
رحمة الله	٦
محبة الخالق	٧
حمد الله	٨
الرجا بالله والتوكل عليه	٩
الدعاء الى الله	٩
العفو من الله	١٠
اغراء بايثار الدين	١١
ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال	١٣
الحجّاج والاعرابيّ	١٥
الصلاة	١٥
لذّات الجنّة	١٧
الباب الثاني في الزهد	١٧
حد الزهد	١٧
ذلّة الدنيا	١٨
الراهب والمسافر	١٨
زوال الدنيا	٢٣
خطبة ابي الدرداء في اهل الشام	٢٤
نوائب الدهر	٣٠
ذكر الموت	٣٣
في الخوف	٣٩
في التوبة	٤٠
دعاء	٤٣
المراثي	٤٤
الباب الثالث في الحكم	٤٦
نخبة من ارجوزة ابن مكانس	٥٩
حكم لعبد اللطيف البغدادي	٦٣
الباب الرابع في الامثال السائرة	٦٧
من نثر اللآلئ لعليّ بن أبي طالب	٦٧
نبذة من كتاب غرر الحكم	٦٩
نخبة امثال انتقاها الابشيهي	٧٢
نخبة امثال اوردها جاء الدين العاملي	٧٤
ابيات تتمثّل بها العرب لشعراء مختلفين	٧٥
الباب الخامس في الامثال عن السنة	
الحيوانات	٧٩
الثعلب والديك	٧٩
الاسد والثعلب والذئب النائم	٧٩
رحل وقترة	٨٠
الكلب والطبل الصيّاد والصدفة	٨١
العصفور والفخّ	٨٢
الغراب والسنور والتمر	٨٣
العايد والدرّتان بطنان وسلحفاة	٨٤
اعمى ومقعد الحمامتان	٨٦
العايد والكلب	٨٧
تاجر ومستودع عندهُ	٨٩
يراعة وقرود	٨٩
شريكان	٩٠
رجل وابن عرس	٩١

	وجه
فيلة وارنب	٩٢
أرنب واسد	٩٤
الباب السادس في الفضائل والنقائص	٩٦
الصبر	٩٦
الحلم	١٠٠
العدل	١٠٣
الوفاء	١٠٤
الصداقة والخلّة	١٠٥
المشورة	١٠٩
كتمان السرّ	١١٠
الصمت وحفظ اللسان	١١١
الكذب	١١٤
التواضع والكبر	١١٥
الحسد	١١٧
ذمّ الغيبة	١١٨
المزاح	١١٩
الكرم	١٢٠
الشكر	١٢٢
القناعة البطنة	١٢٣
ذمّ النبيذ العزلة	١٢٥
الباب السابع في الذكاء والادب	١٢٧
العقل	١٢٧
العلم وشرفهُ	١٢٨
شرائط العلم آفات العلم	١٣٠
الادب	١٣٣
تأديب الصغير	١٣٥
ما ينبغي للوالد في تربية ابنهِ	١٣٦
الادب في الظاهر والحديث والاستماع	١٣٧
الادب في المجالسة	١٣٨
الادب في المأكلة والاكل	١٤٠
الكتاب والقلم الشعر	١٤١
الباب الثامن في اللطائف	١٤٢
الاعرابي والسنور	١٤٣
دعوة اكثم بن صيفيّ لاولادهِ	١٤٥
الاعرابي الشاعر والخليفة	١٤٦
شقيق والبطيخة	١٤٧
ابرهيم الموصلي عند البرامكة	١٤٨
الروم بموت احد الخلفاء	١٤٨
الرشيد والذكي	١٤٩
الملك وسائق الحمار	١٥٠
عمر والصعصعة ابراهيم الموصلي والرشيد	١٥١
ازهر وابو جعفر المنصور	١٥٢
المستعطي بالحلم	١٥٣
السائل وعبيد الله بن عباس	١٥٤
الدجاجة المدفونة في بقعة مباركة	١٥٧
وعد عرقوب	١٦٠
عين ابصرت بقلعها	١٦٣
الفلاح الحكيم	١٦٤
عفو معن بن زائدة عن اسراهُ	١٦٤
المتنبي والكتاب	١٦٥
ذكاء المأمون	١٦٧
عبد الملك بن مروان والحجّاج	١٦٨
ان للعالم خالقاً	١٧٠
الباب التاسع في الحكايات	١٧١

	وجه
بزرجمهر في حبسه	١٧٢
المدعو الى الوليمة والسائل	١٧٢
علي بن ابي رافع وابنة علي	١٧٢
الحلاوة المدّخرة	١٧٤
جرام جور والراعي	١٧٥
الملك المتّعظ بمجنون	١٧٥
الشاب السارق	١٧٦
المأمون والفقير	١٧٧
الادب يرفع بالحامل	١٧٨
عدالة انوشروان في بناية الإيوان	١٨٠
الغلام والثعلب	١٨٠
الثوب المبيع	١٨١
كسرى انوشروان والمؤدّب	١٨٢
الهادي والخارجيّ	١٨٣
المنصور وابو عبد الله	١٨٣
القاضي والنصراني المحسن	١٨٤
اجارة ممن لرجل استغاث به	١٨٦
ملك الفرس وصاحب المطبخ	١٨٧
الرشيد والدمشقي	١٨٨
استقامة رجل اشتكي عليه ظلماً	١٩٥
غيلان بن سلمة عند كسرى	١٩٧
المأمون ورائي البرامكة	١٩٨
الباب العاشر في الحكايات	٢٠٣
العائد والمريض	٢٠٣
المطبخ المفضّل	٢٠٤
الاعرابي وجرو الذئب عدل غريب	٢٠٥
ابو دلامة وابن سليمان في الصيد	٢٠٥

	وجه
الفتى والحمار	٢٠٦
ابو دلامة في بيت الدجاج	٢٠٧
الادب او الطبع اغلب على الرجل	٢٠٨
المستخبر عن وفاة ابيه	٢٠٩
المحب الايجاز البقرة الغارقة	٢١٠
السائل والبخيل	٢١١
الاصبع المقطوعة السفط المقفل	٢١٢
الحمار المحبوس البرهان القاطع	٢١٤
المتظلم من خصمه	٢١٤
سليمان بن عبد الملك والاعرابي	٢١٥
الباهليّ والاعرابي	٢١٧
ابان بن عثمان والاعرابي	٢١٧
الباب الحادي عشر في النوادر	٢٢٠
وضع الشطرنج	٢٢٠
المريض والحتفساء النمان وسنمار	٢٢١
الوزير الحاسد	٢٢٢
كلب جاد بنفسه	٢٢٤
ابرهيم الخوّاص والسبع	٢٢٥
المطيب اسم الله الدواء الشافي	٢٢٦
ذكر الامم التي دخلت في دين النصارى	٢٢٦
ذكر امم الهنود وعوائدهم	٢٢٨
نبذة من عوائد السودان	٢٣١
فائدة فيما خُصّت به كل بلدة	٢٣٣
المقعق السارق	٢٣٥
قصة اصحاب الكهف	٢٣٦
الباب الثاني عشر في الاسفار	٢٤٧
مدح السفر	٢٤٧

		وجه
ذم السفر		٢٥٠
سفر ابن بطوطة الى القسطنطينية		٢٥١
الباب الثالث عشر في عجائب المخلوقات		
في سكان السماوات وهم الملائكة		٢٦٤
في حقيقة العناصر وطباعها وترتيبها		٢٦٥
فصل في فوائد الجبال وعجائبها		٢٦٥
	المعدنيات	٢٦٦
الذهب	الحديد	٢٦٧
	الشجر	٢٦٧
البلسان		٢٦٩
الجمّيز	العنبة	٢٧٠
الموز	الفلفل	٢٧١
	النجوم	٢٧٢
البامية	القلقاس	٢٧٣
	جنس الحيوان	٢٧٤
الانسان		٢٧٥
	النعم	٢٧٥
الجاموس	البقر	٢٧٦
ظبي المسك	الفرس	٢٧٧
	السباع	٢٧٨
ابن آوى	الخنزير	٢٧٨
الذئب	السنور	٢٧٩
النمر		٢٨١
	الطيور	٢٨١
ابو براقش		٢٨
الديك	الصقر	٢٨٢
القبرة		٢٨٣
	الهوامّ والحشرات	٢٨٣

	وجه
حيّة	٢٨٣
السنجاب المقرب القنفذ	٢٨٥
النمل	٢٨٦
السمك الدلفين	٢٨٧
الباب الرابع عشر في التأريخ	٢٨٨
ذكر دولة الكلدانيين	٢٨٨
ذكر الفرس ودولهم	٢٨٩
نظر في دولة اليونانيّين وفلاسفتهم	٢٩١
ملك اسكندر ذي القرنين	٢٩٣
ذكر الرومانيين ومبادئ دولتهم	٢٩٤
الخبر عن تخريب قرطاجنة	٢٩٥
حال اللطينيين الى وفاة اغسطس	٢٩٦
دولة القياصرة بني اغسطس	٢٩٧
دولة فلابيوس اسباشيانوس وبنيه	٢٩٩
دولة الانطونيين	٣٠١
دولة القياصرة السوريين	٣٠٣
الحكم الفوضوي	٣٠٤
القياصرة الاكيريين الى قسطنطين الملك	٣٠٥
ملك قسطنطين	٣٠٧
مجمع نيقية	٣٠٨
قسطنطين في مجمع نيقية	٣٠٩
موت قسطنطين وملك بنيه	٣١٠
ملك يوفيانس وولنطنيانس ووالنس	٣١٢
ملك اغراتيانوس وتاوداسيوس	٣١٣
ملك ارقاذيوس وانوريوس	٣١٤
تاودوسيوس الاصغر ومرقيان	٣١٤
انسطاس ويوسطينوس ويوسطينيانس	٣١٥
موريقي وفوقاس وهرقل	٣١٦

تمّ طبع هـذا الكتاب في المطبعة
الكاثوليكية ، بيروت ، في السـابع
والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٤

Library of

Princeton University.

Princeton University Library
32101 043490240

المكتبة الشرقية - بيروت